# الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٢٢ - ربيع الآخر ١٤٢٤ هـ - يونيو ٢٠٠٣م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 322 -JUN. 2003











المؤلفات الهندسية التراثية
في زخرفة المباني

أثر النصوص الأصيلة
في تعليم اللغات

أضواء على تقرير التنمية
الإنسانية العربية

أمريكا بين سطوة القوة
وغرور الهيمنة

ظاهرة العصر:
صعود اللاعقلانية

الظواهر الببليوجرافية
وإشكالياتها في ترجمة
المسرحيات الأجنبية

البترول وحديث النقم

آنّا ماري شيمل:
السفير الثقافي بين الشرق
والغرب



# نقرب المسافات مهما بعدت

على مدار الساعة وبأكثر من مائتي رحلة يومياً تجوب
طائرات اسطولنا الحديث أجواء بلادنا المترامية الأطراف لتربط بين خمسة وعشرين
مطاراً ناقلة عملائنا الذين يتمتعون بالخدمات التي تتواجد عادة على الرحلات الدولية وفي كل درجات السفر.

عالم جديد من الاختيارات



SAUDI ARABIAN AIRLINES الخطوط الجوية العربية السعودية



www.saudiairlines.com



الناشر: دار الفيصل الثقافية

## المحتويات


**رسائلكم** ٤

**تراث**

المؤلفات الهندسية التراثية في زخرفة المباني — لطف الله قاري ٦

**لغة**

أثر النصوص الأصيلة في تعليم اللغات — لطيفة هباشي ٢١

**قضايا معاصرة**

أضواء على تقرير التنمية الإنسانية العربية — فاطمة السويدي ٢٨

أمريكا بين سطوة القوة وغرور الهيمنة — بركات محمد مراد ٣٤

ظاهرة العصر: صعود اللاعقلانية — إلياس بلكا ٤٤

**مسرح**

الظواهر البيليوجرافية وإشكالياتها في ترجمة المسرحيات الأجنبية — أمين سليمان سيدو ٥٦

**مكتبات**

مكتبة الإسكندرية استئناف الدور الحضاري — عبدالسلام سيد محمد ٦٢

**بيئة**

البترول وحديث النقم — خالد حسن ٧٥

**قصائد**

جذوة — عبدالله سعد اللحيدان ٨٤

رسالة إلى إنسان العصر — مأمون فريز جرار ٨٥

ملحمة الحجر — فوزية العلوي ٨٦

**قصص قصيرة**

حدث في أوان السمان — خالد السروجي ٨٧

الرجل الذي كان يخشى الماء: ميخائيل زوشنيكو — ترجمة: هاشم حمادي ٩٠

**ردود وتعقيبات**

المغرب الكبير: إسلامي عربي لا فرنسي — إسماعيل بلقاسم قراري ٩٢

أخطاء تاريخية في قلاع الطائف — خليل محمود الصمادي ٩٣

**قراءات**

البدع: تاريخها وآثارها — حوى النبي علي صالح ٩٧

البربر عرب قدامى — سعد بوفلاقة ١٠٥

**أعلام**

آنّا ماري شيمل: السفير الثقافي بين الشرق والغرب — صادق العبادي ١١١

**الملف الثقافي** ١٢١

## ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدراً من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصاً القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

**الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.**

### السعر الإفرادي

السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٥٠ فلس - الإمارات ٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٧٥٠ فلس - عُمان ٧٥٠ بيسة - الأردن ٥٠٠ فلس - اليمن ٦٠ ريالاً - مصر جنيهان - السودان ٧٠ ديناراً - المغرب ٨ دراهم - تونس دينار واحد - الجزائر ٨٠ ديناراً - العراق ٤٠٠ فلس - سورية ٣٠ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنك - لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

### الموزعون

السعودية - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع - هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر - مؤسسة توزيع الأهرام - شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ - فاكس ٣٣٩١٠٩٦ - ٢٠٢٠٠، سورية - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٣٥٠١ هاتف ٢١٢٨٢٤٨- فاكس ٢١٢٢٥٣٢ - ١١- ٠٠٩٦٣، تونس - الشركة التونسية للصحافة - ٣نهج المغرب - ص.ب ٧١٩- فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ - ٧١ - ٠٠٢١٦، قطر - دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع - ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ - فاكس ٤٦٦١٨٦٥ - ٠٠٩٧٤، الأردن - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ - فاكس ٤٦٣٥١٥٢ - ٦- ٠٠٩٦٢، البحرين - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ - فاكس ٥٣١٢٨١ - ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة - مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ - ٤ - ٠٠٩٧١، الكويت - شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٣٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ - فاكس ٢٤١٧٨٠٩ - ٠٠٩٦٥، المغرب ، الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ - ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية - القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ - ٣ - ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧










## مكتبة الإسكندرية
## واستئناف الدور الحضاري

**ظلت مكتبة الإسكندرية خلال قرون طويلة قبلة للعلماء والمفكرين، منذ تأسيسها في عهد البطالمة، ومع أنها تعرضت للحريق أكثر من مرة، إلا أنها كانت تعود دائماً إلى استئناف دورها الحضاري، وقد قامت حملة واسعة في القرن الماضي لإعادة بناء المكتبة بما يليق بمكانتها التاريخية والحضارية. وتكللت الجهود بافتتاح رسمي للمكتبة مع بدايات القرن الحادي والعشرين، فما قصة هذه المكتبة عبر التاريخ؟ وكيف تبدو اليوم؟**

### إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

### المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ -
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

### الاشتراك السنوي:

١٥٠ ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

### الإعلانات:

هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ - ٠٢٥٨

## لماذا صنعاء؟

نشكر لكم الجهود الكبيرة التي تبذلونها من أجل إخراج المجلة بشكل جديد، وقد تكللت هذه الجهود بالنجاح بدليل أن مجلة الفيصل تحتل مكان الصدارة بين المجلات في عالمنا العربي.

أما بالنسبة إلى المسابقة الشهرية فهي مسابقة قيمة، وتحث المشترك على البحث عن الإجابة الصحيحة. ولو ألقينا نظرة على الأعداد الماضية لوجدنا معظم الفائزين من أبناء العواصم العربية وبالذات اليمن.

فالفائزون من المشاركين من صنعاء وأحياناً تعز، أما المشاركون من المحافظات الأخرى فلا نصيب لهم، ولا أعني أن تحجب الجوائز عن المشاركين من العواصم، وإنما إعطاء الفرصة للجميع. لذا وجب التنبيه ليس إلا.

**أحمد رجب با كثير**
**سيؤن ـ اليمن**
**ص.ب ٩٤٩٤**

**التحرير:**

**لقد كررنا مرات كثيرة أن القرعة هي الفيصل في تحديد أسماء الفائزين، لذا لا تتدخل المجلة بالحجب أو المنح، وتمنياتنا أن يكون الحظ حليفاً لأبناء المحافظات الأخرى في اليمن، وغيره من الدول العربية في المرات القادمة.**

## شكر واحترام

يسعدني جداً أن أخبركم أنه بعدما وصلني العدد (٢٩٩) من مجلتنا الغالية «الفيصل» أخذتُ ـ كعادتي دائماً ـ في تقليب صفحاتها من باب إلقاء نظرة سريعة على محتواه، فإذا أنا أمام ما يملؤني فرحاً وسروراً؛ ذلك أني وجدت في الصفحة الثالثة رسالتي التي بعثتها إلى مجلتنا الغالية الحبية منشورة بكاملها، وقد زادني ذلك ثقة بالمجلة، والساهرين عليها، ويسرني كثيراً أن أرسل إليكم من هنا ـ على تحقيق ظننا فيكم وتلبية رغبتنا ـ قوافل تحمل إليكم منا حمولة هائلة من الشكر والثناء آملين لكم مزيداً من التقدم في عملكم النبيل، ومزيداً من التطور لمجلتكم الغراء حتى تحقق ـ إن شاء الله ـ كل المهام المنوطة بها في ساحة التوعية، والتثقيف، وتنوير الرأي العام، فلكم منا أجمل الشكر وأعظم التقدير.

ثم لي سؤال، واستفسار واقتراح، أرى ضرورة إرسال جميعها إليكم:

أولاً: أسألكم، كيف يمكن لي أن أحصل على الأعداد السابقة من الفيصل، من أولها إلى العدد ٢٨٨، أرجوكم أرشدوني إلى ذلك، لأنني متعطشة إلى مطالعتها، وأعدّها مدرسة لي لا يمكن الاستغناء عنها، وإذا كانت تلك الأعداد لديكم، هل تتفضلون بإرسالها كلياً إليّ إن أمكن أو بعضها وكل رجائي منوط بكم.

ثانياً: جاء في العدد (٢٩٠) في باب «رسائلكم» رسالة للأخ أحمد محمد الإبراهيم من حلب أبدى فيها استعداده لتزويد كل قارئ لمجلة الفيصل بعنوان أي إذاعة في العالم فراسلته في الأمر، فلم أتلق الجواب حتى الآن، ولا أعرف السبب في ذلك، فهل لكونها لم تصل إليه لنقص أو خطأ في العنوان؟ أم تسلّمها وأهمل الجواب. على أي حال فهذا صدى مني أطلقته راجياً أن يصل إلى آذان الأخ ليتفضل بإرسال ما طلبته منه إليّ.

ثالثاً: لقد كنت حقاً واحداً من الذين تعولهم الفيصل، وقد مضى على انضوائي تحت لوائها عام كامل، وأشكر الله على هدايته لي إليها، لذا أحب أن يكون لي إسهام ـ إن صح التعبير ـ في تطويرها بما اقترحه عليكم؛ ذلك أنني أرى أهمية أن تُطالب المجلة كتّابها بإرسال صورهم الشخصية مع موضوعاتهم لتنشر في مقدمة مقالاتهم، ليكون ذلك تكميلاً لصورتها العلمية وتحسيناً لوجهها الثقافي. وتقبلوا فائق الشكر والتقدير.

**محمد التراوي**
**المغرب**

**التحرير:**

**نشكر لك اهتمامكم بالكتابة إلى المجلة، ونشير إلى أنه حرصنا على نشر ما يتفضل به الإخوة القراء من اقتراحات وآراء يأتي تحقيقاً للتواصل الحميم بين المجلة وقرائها، واحتراماً لما يبذلونه من جهد في سبيل إيصال تلك الاقتراحات والآراء.**

**وبخصوص الحصول على الأعداد السابقة للمجلة، تجد رداً في زاوية «ردود سريعة» يتعلق بذلك، واقتراحك بأن تكون هناك صور شخصية للكتّاب يمكن النظر فيه في إطار التطوير المنشود في المرحلة القادمة، وإن كنا نرى مبدئياً أن المهم ما يطرحه الكاتب لا صورته الشخصية، ولكم ولجميع القراء تقديرنا.**

## كتاب في مجلة

أبعث رسالتي هذه بعد قراءتي لبعض أعداد المجلة التاريخية الأثرية الثقافية، وتصفح أوراقها، ودعتني كلماتها وعناوينها البارزة إلى أن أطّلع على الموضوع مقالاً كان أم استطلاعاً على الرغم من أن بعض الموضوعات طويلة جداً، يتثاقل القارئ من قراءتها، ولكن تهز ذاكرته وتثيره تلك العناوين البارزة، فأقول ومن دون مبالغة: إنها مجلة وكتاب يحتفظان بتاريخ عظيم وآثار مدفونة تحت الرمال فتنبثق كالبراكين والصخور المتطايرة على صفحات مجلتكم الغراء الفيصل.

فهي تدّخر في كيانها تلك المعلومات الجديدة من مدينة ما، فللفيصل وجميع العاملين فيها الشكر والتقدير. وأتمنى لكم التقدم والازدهار دوماً،،.

**يعقوب محمد جبارة**
**الحديدة - اليمن**

**التحرير:**

**نشكر لك إطراءك، ونتمنى أن تكون المجلة مرضية لجميع قرائها، مع ترحيبنا بملاحظاتهم وآرائهم التي نستنير بها في الاتجاه نحو التطوير.**

## الفن الإسلامي في المغرب

يسعدني أن أقول كلمة صدق عن مجلتنا التي يراها كل قارئ سليم الذّوق المنهل العذب المَوْرِد، والإشراقة المتعة مع مطلع كل شهر بعد ترقب وانتظار؛ لأنها بحق تحيي القلوب، وتشرح الصدور، وتدفع بالنشء إلى المثابرة، والمخاطرة، والمغامرة من أجل الصعود إلى أعلى القيم والمراتب: مثلما قرأت فانتشيت في «حياة عظيم» ص٨٨ من العدد الذي بيدي الحامل للرقم(٣٢٠).

ويخجلني أن أبدي ملاحظة عن المقال المعنون «الخزف والقيشاني الإسلامي» ص٥٣ في العدد نفسه، وكغيرة على بلادي، وهذا واجب ولا عتب فيه ولا عتاب، إذ لم تتعرضوا لما لدى المغرب من الروائع والبدائع في فن الخزف والقيشاني.

فمدينة فاس مثلاً لديها الشيء الكثير، وكذلك مدينة أسفي التي تملك معامل فخارية يفخر الفن الإسلامي بها. حتى إن الدوله تساهم بنصيب وافٍ من مساعدات مادية ومعنوية، وتدعو السياح إلى زيارته تقديراً لما تنتجه هذه المعامل من ذخائر قديمة تقلدها، وأخرى حديثة من ابتكاراتها.

ويُعرض الكثير من هذه البدائع في المعارض الدولية. سطرت هذا للتذكير لا للتنبيه؛ لأنكم تعرضتم من قبل لهذا الفن في بلادنا.

وأخيراً لابد من زف الشكر، وتسطير الاعترافات على ما تبذلونه من أياد بيضاء ناصعة لأمتنا وعروبتنا، ونتمنى للمجلة المزيد من الانتشار وللقائمين عليها من المولى سبحانه العون والسداد.

**عبدالرحيم بوشعيب أحمد**
**المحمدية - المغرب**

**التحرير:**

**نشكر لك إطراءك وملاحظتك، وبخصوص المقالة، فقد كان الموضوع عاماً عن خصائص الفن الإسلامي في ميدان الخزف والقيشاني، لذا لم يكن هناك التفصيل الذي تقصده، ونعتز عموماً بإضافاتك، وليتك تعدّ استطلاعاً مصوراً عن هذه المدينة؛ وإسهامها في ازدهار الفن الإسلامي.**

### ردود سريعة

**الأخ إبراهيم المعتصم - المغرب:**

**تم تحويل خطابكم الخاص بطلب قائمة بالموضوعات التي تناولت مصطلح (الخلو) ومرادفاته إلى القسم المختص، وسوف تصل إليك القائمة قريباً بإذن الله. مع التمنيات لك بالتوفيق وأنت تسعى للحصول على الدكتوراه.**

**الأخت سارة عبدالعظيم السيد الطنطاوي - شبين الكوم - مصر:**

**نطمئنك بأننا سنأخذ في الحسبان مسألة تأخر وصول المجلة إلى الإخوة القراء في الفترة الأخيرة، وذلك فيما يتعلق بالمسابقة، ونتمنى وصول مشاركات لك تغني المجلة.**

**الأخوان محمد عبده محمد سعيد - تعز - اليمن، كمال أبو اليزيد شبارة - كفر الزيات - مصر:**

**لا تتدخل المجلة في اختيار الفائزين، كما سبقت الإشارة أكثر من مرة، ولا تعني مشاركة القارئ مدة طويلة ضرورة فوزه؛ لأن الأمر يخضع للحظ ونتيجة القرعة، وزيادة الجوائز أو تعديل قيمتها من المقترحات التي تخضع للدراسة في إطار السعي إلى تجديد المسابقة شكلاً ومضموناً.**

**وعموماً، نشكر لكما هذا الحرص على اقتناء المجلة، ومقابلة ما ينشر فيها.**

# المؤلفات الهندسية التراثية في زخرفة المباني

**لطف الله قاري**
ينبع الصناعية - السعودية

**كانت مهنة البناء في الأصل صناعة الحرفيين الذين لم ينالوا قدرًا عاليًا من التعليم. ولكن مع انتشار الحضارة والتأنق في البنيان والتفنن في التصاميم الباهرة صارت الحرفة بحاجة إلى مهارات وحساب وعلم. فهذا التدرج في نوعية البناء، واعتماده التدريجي على العلوم والرياضيات حصل عمومًا في جميع مراحل الحضارات المختلفة، كما حصل للعرب والمسلمين الذين بدأ البناء عندهم بسيطًا، ثم وصل إلى مرحلة بناء المباني العملاقة الباهرة في الهند وإستانبول وغرناطة وغيرها.**

وهذا التدرج ينطبق على تاريخ التأليف في مجال العمارة عند العرب والمسلمين. فقد أخذ العرب اصطلاح هندسة من كلمة «أندازه» بالفارسية، وهي تعني المقياس. وطبّقت هذه الكلمة في البداية على علم الهندسة geometry أحد فروع الرياضيات. وصارت كلمة مهندس تطلق على من أبدعوا في هذا العلم، مثل إقليدس قبل الإسلام، وأبي الوفاء البوزجاني من أهل القرن الرابع الهجري (١٠م). وبعد أن انتشر تطبيق الرياضيات بكل فروعها في مهنة الهندسة engineering صارت كلمة مهندس تعني الممارس بتطبيق الرياضيات في مهنته، كما تعني اليوم. فالناظر في كتاب مثل «أعلام المهندسين في الإسلام» لأحمد تيمور يجد أن كل


جامعة بغداد
مركز إحياء التراث العلمي العربي

ما يحتاج إليه الصانع من علم الهندسة

لأبي الوفاء محمد بن محمد البوزجاني

حققه و قدم له
الدكتور
صالح أحمد العلي
استاذ بكلية الآداب - جامعة بغداد
رئيس مركز احياء التراث العلمي العربي وكالة

مطبعة جامعة بغداد - ١٩٧٩

صورة غلاف كتاب أبي الوفاء البوزجاني

من اشتغل بعلم الهندسة والرياضيات في أول عصر النهضة العلمية في الإسلام لقّب بالمهندس. وفي العصور التالية أطلقت اللفظة على مطبقي الرياضيات في هندسة الأبنية والآلات الميكانيكية والمساحة والري.

وقد ميّز الفارابي (ت ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م) جيدًا الفرق بين علم الهندسة ومهنة الهندسة، فقال: «وأما علم الهندسة فالذي يعرف بهذا العلم علمان: هندسة عملية وهندسة نظرية. فالعملية منهما ينظر في خطوط وسطوح، وفي جسم خشب إن كان الذي يستعملها نجارًا، أو في جسم حديد إن كان حدادًا، أو في جسم حائط إن كان بناء، أو في سطوح أرضين ومزارع منذرعات إن كان ماسحًا. وكذلك كل صاحب هندسة

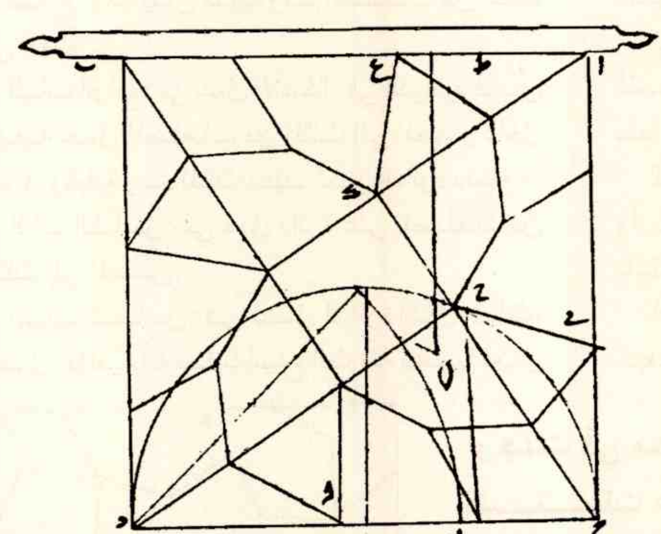
عملية، فإنه إنما تصوّر في نفسه خطوطاً وسطوحاً وتربيعاً وتثليثاً وتدويراً في جسم المادة التي هي موضوعة لتلك الصناعة العملية. والنظرية إنما ينظر في خطوط وسطوح وفي أجسام على الإطلاق والعموم، وعلى وجه يعم جميع الأجسام. ويتصوّر في نفسه الخطوط بالوجه الأعم، والذي لا يبالي في أي جسم كان. ويتصور المجسمات بالوجه الأعم، ولا يبالي في أية مادة كانت وفي أي محسوس كان....»، إلى آخر ما قاله عن الهندسة النظرية المجردة. وفي موضع آخر يتحدث الفارابي أيضا عن علوم الحيل الهندسية قائلاً: «وهي كثيرة: منها صناعة رئاسة البناء، ومنها الحيل الهندسية في مساحة أصناف الأجسام، ومنها حيل في صنعة آلات نجومية وآلات موسيقية وإعداد آلات الصنائع كثيرة، مثل القسي وأصناف الأسلحة. ومنها الحيل المناظرية ....»، إلى آخر حديثه عن الحيل الهندسية.

وكتب أبو حيّان التوحيدي (ت نحو ٤٠٠هـ/ ١٠١٠م) عبارات مشابهة قائلاً: «وأما الناظر في الهندسة فإنه إن سلك الصنائع بها فهو نظير حافر الأنهار ومجري الأودية وباني الحمّامات، ومن قام بمصالح العباد وعمل البلاد. وإن سلك من يفرض المقادير فرضاً، ويتكلم عليها كلاماً، فهو العلم العاري عن العمل».

## كتاب أبي الوفاء

في هذا الجو المملوء بالبحوث في مجالات تطبيق علم الهندسة والرياضيات قام أبو الوفاء المهندس، وهو محمد بن محمد البوزجاني (٣٢٨ - ٣٨٧هـ/ ٩٤٠ - ٩٩٧م) بتأليف كتابه «ما يحتاج إليه الصانع من علم الهندسة». وهو يتكون من ثلاثة عشر باباً:

الباب الأول: في المسطرة والبركار (أي الفرجار)



ثبت این عقد تبرم از مخروطات که در اینجا مقصود عمل مثلث قایم الزاویه که عمود آن مثلث
با ضلع اقصر منقسم مثل وتر زاویه بود و ابن هیثم در عمل این مثلث رسالهٔ گفته است و عمل او در
مثلث مقطع مخروطات زاید و مکافی گفت اما اینجا از این مسطره کونیا مقصود حاصل می توان کرد
چنانکه گوییم در مقدمهٔ اول مقصود این عقد ما را چهار شکل است صنوبری قایم الزاویتین محیط بر
یک مربع متساوی الاضلاع قایم الزاویه مثل مربع صنوبری اب کح حح مد دم که
مثل کح محیط بر مربع کحمل اکنون چون زاویهٔ ح در مربع و شکل دو قائمه است
بضرورت خط کح د مستقیم باشد و مثلث اکج قائمة الزاویه بود و مثل مثلث
حج د باشد و این مثلث چون قائمه است در نصف قوس واقع شود پس نقطهٔ ح
بر قوس اه طلب باید کرد پس هرگاه که ما را در مسطرهٔ زاویهٔ ط قایمه باشد و
طرف اب مستقیم و منطبق بر ضلع اب از مربع و مسطره را والله
اعلم

صورة صفحة من رسالة «في تداخل الأشكال المتشابهة أو المتوافقة»

والكونيا (وهي قطعة مربعة لرسم الزوايا القائمة).

الباب الثاني: في الأصول التي ينبغي أن يقدّم ذكرها. فهو يتحدث هنا عن كيفية تقسيم كل من الخط والزاوية والقوس والكرة، وإخراج كل من الخطوط والزوايا، وأشياء تتعلق بكل من الدائرة والمثلثات، ويعرّف بالمرآة المحرقة، أي المقعّرة التي تركّز أشعة الشمس.

الباب الثالث: في عمل الأشكال المتساوية

الأضلاع. وهنا يبيّن كيفية رسم المضلعات من المثلث إلى المعشّر.

الباب الرابع: في عمل الأشكال في الدوائر. فيبيّن كيفية عمل المضلعات من المثلث إلى المعشّر داخل دائرة، وكيفية رسم المثلث بحيث تكون الدائرة داخله.

الباب الخامس: في عمل دائرة على المضلعات من المثلث إلى المسدس.

الباب السادس: في عمل الدائرة داخل المثلث، ويقول المؤلف بأنه يمكننا اتباع الطريقة نفسها لعمل الدائرة داخل المضلعات ذات الأضلاع المتساوية.

الباب السابع: في رسم المضلعات داخل أو على المضلعات الأخرى، ويصف المؤلف طريقة عمل عدد منها.

الباب الثامن: في قسمة المثلث إلى قسمين وثلاثة وأربعة أقسام، وعمليات هندسية أخرى تتعلق بالمثلثات.

الباب التاسع: في قسمة المربعات والدوائر. وفيه كيفية قسمة قطعة أرض مربعة أو مثلثة، مع شق طريق يمكّن المارة من الوصول إلى كل القطع.

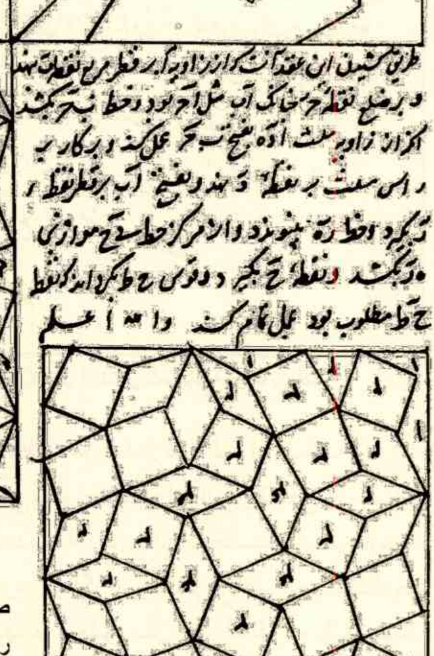
**وجدت في مدينة بخارى طوامير اشتملت على ثلاثة أنواع من الرسومات: مخططات معمارية، ومساقط لعقود مقرنصات، وزخارف هندسية مسطحة أو ثنائية الأبعاد**

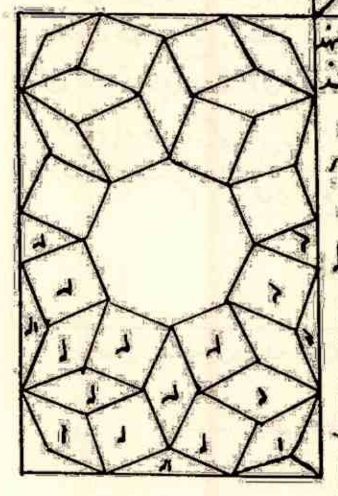
الباب العاشر: في مسائل تتعلق بالمربعات من تقسيمها وتركيبها من أجزاء مختلفة.

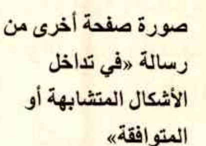
الباب الثالث عشر: في قسمة الكره إلى أجزاء وأشكال مختلفة، باختلاف الأغراض من فلكية وهندسية.

والنسخة المطبوعة ينقص منها الباب الحادي عشر، وهو في الأشكال المختلفة الأضلاع، والباب الثاني عشر، وهو في الدوائر المتماسّة.

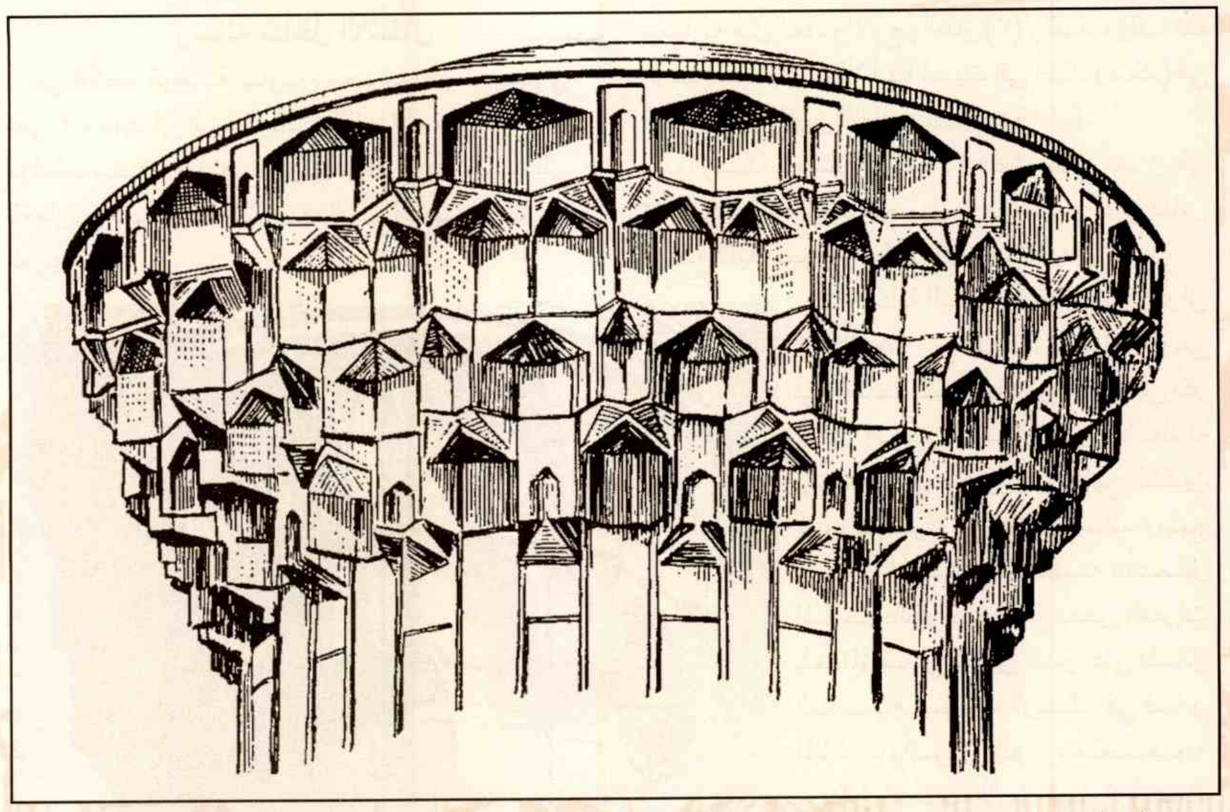
يضع المؤلف نفسه على الحياد بين المهندسين والصنّاع، أي: الحرفيين، فيقول: «قد غلط جماعة من المهندسين والصنّاع في أمر هذه المربّعات وتركيبها. أمّا المهندسون فلقلة دربتهم بالعمل، وأما الصناع فلخلوهم من علم البراهين؛ وذلك أن المهندس إذا لم تكن له دربة بالعمل صعب عليه تقريب ما يصح له بالبراهين الخطوطية على ما يلتمسه الصانع، فإن الصانع غرضه ما يقرّب عليه العمل،







صورة صفحة أخرى من رسالة «في تداخل الأشكال المتشابهة أو المتوافقة»



مقرنصة وظيفتها تجميل الانتقال التدريجي من جذع المئذنة إلى شرفتها التي يقف عليها المؤذن. وهذا الرسم مأخوذ من مئذنة جامع مدرسة ألُغ بك في سمرقند. وهذا النوع من المقرنصات قريب الشبه بالمقرنصات المنتشرة في جوامع الأقطار العربية مثل مصر.

ويظهر له صحة ما يراه في الحس والمشاهدة، ولا يبالي بالبرهان على الشيء المتوهم والخطوط؛ والمهندس إذا قام له بالبرهان على الشيء بالتوهم لم يبال صحة ذلك بالمشاهدة إذا لم يصح».

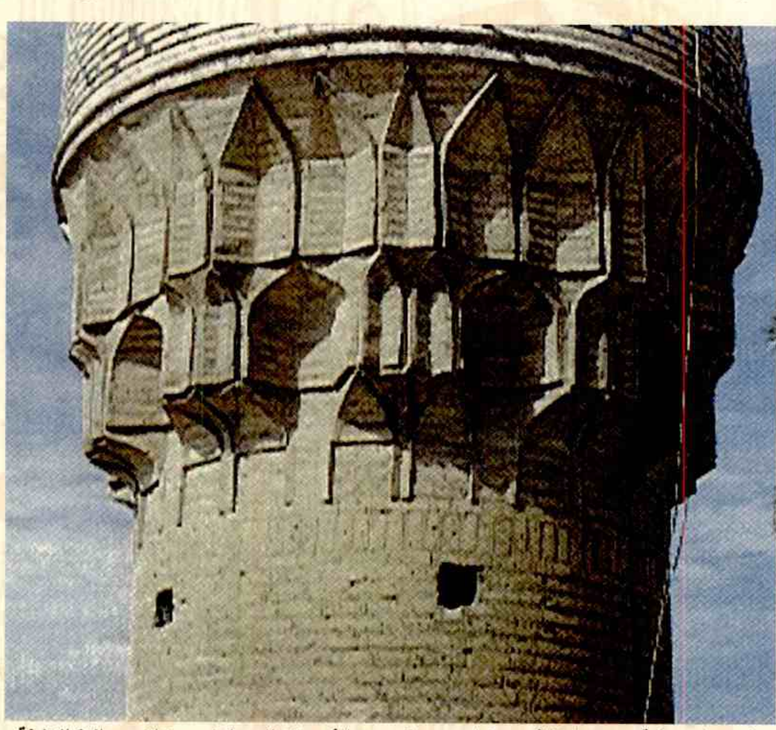
تم تأليف الكتاب في الفترة ما بين عامي ٣٨١ و٣٨٧هـ (٩٩٢ و ٩٩٧م)(١)؛ وذلك بناء على طلب من الأمير البويهي بهاء الدولة، على أثر مناقشات كانت تدور في مجلسه حول هذا الموضوع. فيقول المؤلف (ص٣٢): «قد امتثلت ما رسمه الملك ... من إثبات المعاني التي كان يتذاكر بحضرته العالية من الأعمال الهندسية التي يكثر استعمالها عند الصناع، مجرداً من العلل والبراهين، ليسهل على الصناع تداوله، وتقرب عليهم طريقته». ويذكر المؤلف (ص١٤٥) أنه حضر بعض المجالس (من دون أن يحدد أي مجلس) وفيه جماعة من الصناع والمهندسين، وسئلوا عن عمل مربع من ثلاثة مربعات. فقدم أحد المهندسين حلا للمسألة، ولكن لم يرض أحد من الصناع بعمله، واقترح الصناع عدة حلول، ناقشها المؤلف ليختار منها الصحيح ويترك غيره.

**فطومار إستانبول والطوامير التي تلته كانت المحصلة الناتجة من عملية تطوير الوحدات الزخرفية التي تم ابتكارها في عهد مؤلف رسالة «تداخل الأشكال»**

والكتاب مملوء بالمسائل المعقدة، وذلك بهدف واضح، وهو توضيح الطرائق الصحيحة لتقديم زخارف باهرة، من تلك الزخارف التي عرفتها العمارة الإسلامية على الجدران والأرضيات، وهي التي نقدم أمثلة منها في الصور المرفقة.

## رسالة تداخل الأشكال

في المكتبة الوطنية بباريس مجلد مخطوط، يحتوي على ٥٢ تأليفًا في الرياضيات والفلك(٢)، منها ستة (٦) مؤلفات مختلفة الحجم تتعلق بتطبيق الرياضيات على العمارة، وكلها باللغة الفارسية، إلا أن أغلبها مترجم من العربية.



مقرنصات مئذنة مسجد الخفافين ببغداد. وهو المسجد الذي بنته السيدة زمرد خاتون والدة الخليفة الناصر لدين الله، قبل وفاتها سنة ٥٥٩هـ/١٢٠٢م

**مادة طومار إستانبول هي الهندسة التي كانت تتحكّم بالزخارف المسطحة والمجسمة في العمارة التيمورية التركمانية، أي: العمارة التي اشتهر بها عصر حكام المغول في المشرق الإسلامي بين القرنين ٨ و ١٠م)**

الرسالة السابعة (الأوراق ٤٩ ظ - ٦٣ ظ) من ضمن الرسائل التي يضمها المجموع المذكور رسالة في المساحة، لقياس مساحة بعض السطوح وحجم بعض الأجسام. ومن مباحثها إيجاد عمق بئر وارتفاع جبل وعرض نهر، وحساب عدد قطع الآجر لبناء أجزاء معمارية مثل العقد والأزج والطاق(٣) والقبة. مؤلف هذه الرسالة مجهول، إلا أنها أهديت إلى أتابك (حاكم) في آذربيجان في القرن السادس الهجري (١٢م).

والرسالة العاشرة (٧٠ظ - ٨٩ظ) رسالة أخرى في المساحة، أيضا لمؤلف مجهول. وهي تحتوي على قياس أسطح القبة المجوفة والعقود والآزاج والطيقان.

والرسالة السادسة عشرة (الأوراق ١٠٨ و ١١٨ظ) عنوانها «أعمال». وهي في المساحة التطبيقية، من تأليف أبي بكر الخليل التاجر الرصدي الذي لا نعلم له ترجمة. وفيها يقارن بين منهج الفلكيين الذين يتبعون قوانين الحساب ومنهج معلّمي البناء الذي يسميه «أعمال المساحة بالتقريب». وفي بعض الفقرات يلجأ المؤلف إلى تطبيق الجبر على المسائل الهندسية. وتبحث الرسالة في قياس المثلثات وأقواس الدوائر، مصحوبة بجداول لحساب الأبعاد الهامة. وتبحث كذلك في قياس الحجوم. ومن مسائلها حساب البكرات والمرايا المحرقة وكيفية حساب ارتفاع جبل أو عمق بئر. وهذا كله مصحوب برسومات هندسية فنية.

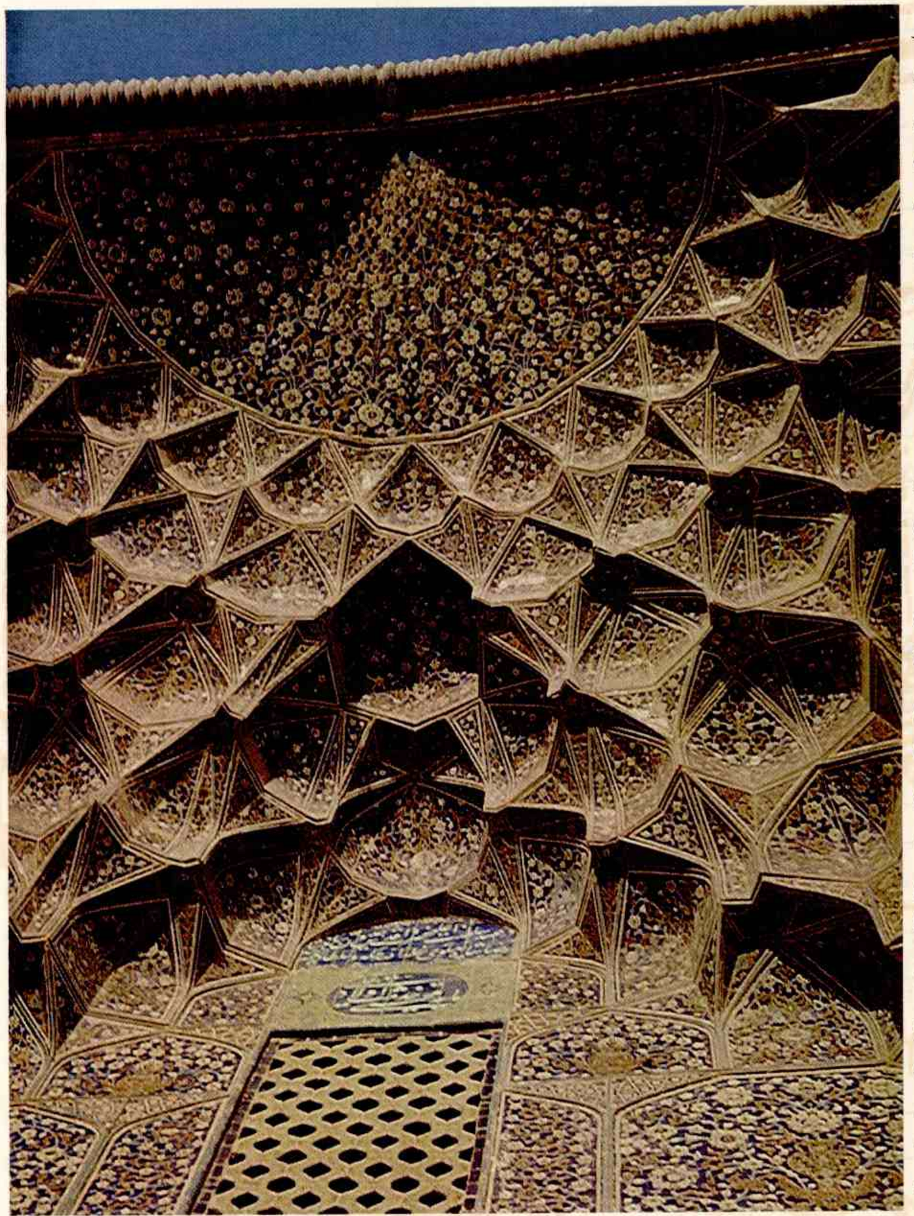
والرسالة التاسعة عشرة (١٢٤ظ - ١٢٨ظ) أيضا من تأليف أبي بكر المذكور، عن كيفية رسم مخمّس من نجمة خماسية.

الرسالة الثالثة والعشرون (١٤١ظ - ١٧٩ظ) هي ترجمة فارسية لكتاب أبي الوفاء السابق ذكره. وقد قام بترجمة الرسالة إلى الفارسية الفلكي ابن عراق، تلميذ أبي الوفاء، ولكن ترجمته أصلحت فيما بعد. والرسالة التي ضمن المجموع هي النسخة المصححة. وهي واحدة من ترجمات متعددة لكتاب أبي الوفاء.

أما الرسالة الرابعة والعشرون (١٨٠و ١٩٩ ظ) فهي رسالة مجهولة المؤلف، عنوانها «في تداخل الأشكال

المتشابهة أو المتوافقة». ويقدّر زمن تأليفها بين القرنين الخامس والسابع الهجريين (١١ - ١٣م)، وذلك حسب تقديرات مختلفة باختلاف الباحثين. ويدل تجميع هذه الرسائل كلها في مجلد واحد على أنها جمعت من أجل مهندس معماري على ما يبدو.

تتكون الرسالة الأخيرة من أربعين صفحة، تشتمل على ٦٨ تركيبًا زخرفيًا، منها ٦١ شكلاً مصحوبًا بالشرح لتبيين كيفية رسمها. وهي عبارة عن وحدات زخرفية يتم تكرارها لعمل تراكيب وأشكال هندسية. والأشكال المرسومة أشكال معقدة، ولكنها في الوقت نفسه أشكال صحيحة هندسيًا، ومصحوبة بإرشادات بسيطة كما ذكرنا. ويتبع المؤلف طرائق لرسم الأشكال غير الطرائق المعروفة في الرياضيات، وإنما هي طرائق بديلة اتبعها الصناع. والنتيجة تقريبًا واحدة، وهي الحصول على الشكل نفسه بطريقة مختلفة؛ وبرصّ الوحدات الزخرفية بعضها مع بعض بشكل تناظري ومتكرر نحصل على زخارف مطابقة للزخارف التي وجدت فيما بعد في المباني الأثرية، وفي طوامير(٤) المعلمين التي نذكرها بعد قليل.



مقرنصات سقف مدخل جامع الشيخ لطف الله بأصفهان

يطرح مؤلف الرسالة الأخيرة حلولاً لمسائل طرحها معلمو البناء في لقاءات بين مهندسين وحرفيين. ويدلّ تعدد الأشكال وتنوعها على أن الرسالة تم تأليفها من أجل تقديم تجارب لمعلّمي البناء. وبعض هذه الأشكال يمكن رسمها بمعادلات رياضية غير بسيطة، مثل المعادلات التكعيبية، إلا أن المؤلف يقدّم طرائق مبسطة لرسمها. وتدل الطريقة العشوائية التي يتبعها المؤلف لتجميع مادة الرسالة على أن المؤلف نفسه كان مشاركًا في ابتكار الطرائق المبسطة لرسم الأشكال المعقدة، وأنه

قام بكتابة الرسالة على أنها سجلّ آني متزامن مع تجارب تجري وقت التأليف، أي أن المؤلف كان يدوّن ملاحظاته حول تجارب كانت تجري من حوله. ويدل عدم اكتمال الرسومات في الرسالة على أن تأليفها تم في وقت كانت فيه الوحدات الزخرفية في مرحلة الإعداد والتطوير. وهذه الرسالة هي الوحيدة في التراث الإسلامي التي نجد فيها شرحاً لكيفية رسم الوحدة الزخرفية المسطحة(٥).

الرسومات في تلك الرسالة تعالج مسألة تقسيم سطح مستوٍ بنسب معينة إلى أشكال هندسية متشابهة أو متوافقة. ويعرف هذا الإجراء في الرياضيات بالتبليط tiling أو الترصيع بالفسيفساء tessellation. ومن ذلك كيفية تقسيم دائرة بواسطة شعاعات (أنصاف أقطار) متساوية الانفراج؛ وذلك من أجل رسم نجمات ومضلعات. ومن ذلك فصل حول كيفية رسم نسب شكل هندسي معلوم.

وتذكر الرسالة اسم أبي بكر الرصدي السابق ذكره مرتين. وفيها اقتباسات من أبي الوفاء. ومن ذلك مربع يحتوي مربعاً آخر يدور حول مركز الأول. وتمتد أضلاع الأصغر حتى تلامس الأول المحيط، فينتج من ذلك أربعة مثلثات مخروطية في كل جانب. وهذا التركيب الذي يمكن التعبير عنه بمعادلات جبرية أصبح وسيلة لإيجاد نسب بين الأشكال، واستخدمت هذه الوسيلة لوضع المخططات المعمارية على الأرض ورسم أشكال زخرفية. ولم تكن رسالة «تداخل الأشكال» الوحيدة التي اقتبسته من أبي الوفاء، وإنما نجده كذلك في طومار إستانبول الآتي ذكره.

بعض التراكيب الهندسية في تلك الرسالة يعرض أعلى درجات التطور التي أحرزت من قبل علماء الرياضيات المسلمين. فمثلاً ثلاثة من هذه تمثل في الحقيقة حلولاً لمسائل تتطلب معادلات جبرية من الدرجة الثالثة: أي المعادلات التكعيبية. وفي عهد مؤلف الرسالة كان علماء الإسلام يحلون مثل هذه المعادلات بوسائل القطع المخروطي. إلا أن الحلول النظرية تلك كانت من أجل بحوث علماء الرياضيات، من دون أن يكون لها تطبيقات عملية. أما التراكيب الثلاثة في الرسالة فهي من قبيل «علم الهندسة المتحرك» moving geometry، أي إجراءات تحريك أدوات الهندسة للخروج بتراكيب تمثل حلولاً للمعادلات الجبرية.

**كل من اشتغل بعلم الهندسة والرياضيات في أول عصر النهضة العلمية في الإسلام لقّب بالمهندس. وفي العصور التالية أطلقت اللفظة على مطبقي الرياضيات في هندسة الأبنية والآلات الميكانيكية والمساحة والري**



صورة غلاف كتاب "مفتاح الحساب" لجمشيد الكاشي (٨٣٠ - ١٤٢٧م)

## المقرنصات بعد الزخارف المسطحة

بعد مرحلة وضع رسومات زخرفية حسب قواعد هندسية، كما جاء في كتاب البوزجاني، وبعد ابتكار الوحدة الزخرفية حسب رسالة «تداخل الأشكال»، جاءت مرحلة الزخارف المجسمة الناتجة من مخططات مرسومة على الورق. وأشهر هذه الزخارف المجسمة هو المقرنص. وهو مجموعة من البروزات مرتبة في عدة صفوف متتالية، على شكل منشورات(٦) كثيرة الأوجه، ذات حدود مسطحة أو منحنية. ومن تركيب هذه المنشورات والخلايا يتكون شكل فني رائع يتكسر عليه الضوء والظل، فينتج من ذلك منظر بديع.

وقد بيّن معلمو البناء الخبراء في عمل المقرنصات أن الوحدة الزخرفية يمكن استعمالها لعمل الزخارف المسطحة والمجسمة أيضاً، فهي تمثل مساقط للزخارف المجسمة. وكان معلمو البناء في بعض مدن الشرق الإسلامي يصممون المقرنص على لوح من الجص فرش على أرضية الغرفة أسفل المقرنص المراد إنشاؤه، وذلك



طومار أو لفافة من نماذج الزخارف الهندسية، أعدها أحد معلّمي زخرفة المباني في إيران نحو سنة ٩٠٠هـ أو سنة ١٥٠٠م. وهي محفوظة الآن في متحف طوب قابي سراي بإستانبول

**كتاب أبي الوفاء مملوء بالمسائل المعقدة، وذلك بهدف واضح وهو توضيح الطرائق الصحيحة لتقديم زخارف باهرة، من تلك الزخارف التي عرفتها العمارة الإسلامية**

بعمل خطوط على ذلك اللوح.

على الرغم من أن رسالة «تداخل الأشكال» لا تحتوي على مساقط للمقرنصات إلا أن بعض وحداتها الزخرفية تتكون من مربعات ومعينات تشبه مساقط عقود مقرنصات متعامدة، مثل المقرنصات الموجودة في المبنى المسمى تخت سليمان ببلاد فارس. وهو مبنى من القرن السابع الهجري (١٣م). والمتأمل للرسومات الموجودة في طوامير المعلمين الآتي ذكرها يجدها مساقط لمقرنصات. فيمكننا القول: إن الابتكار في الوحدات الزخرفية أدى إلى الابتكار في المجسمات الجمالية لعناصر العمارة الإسلامية.

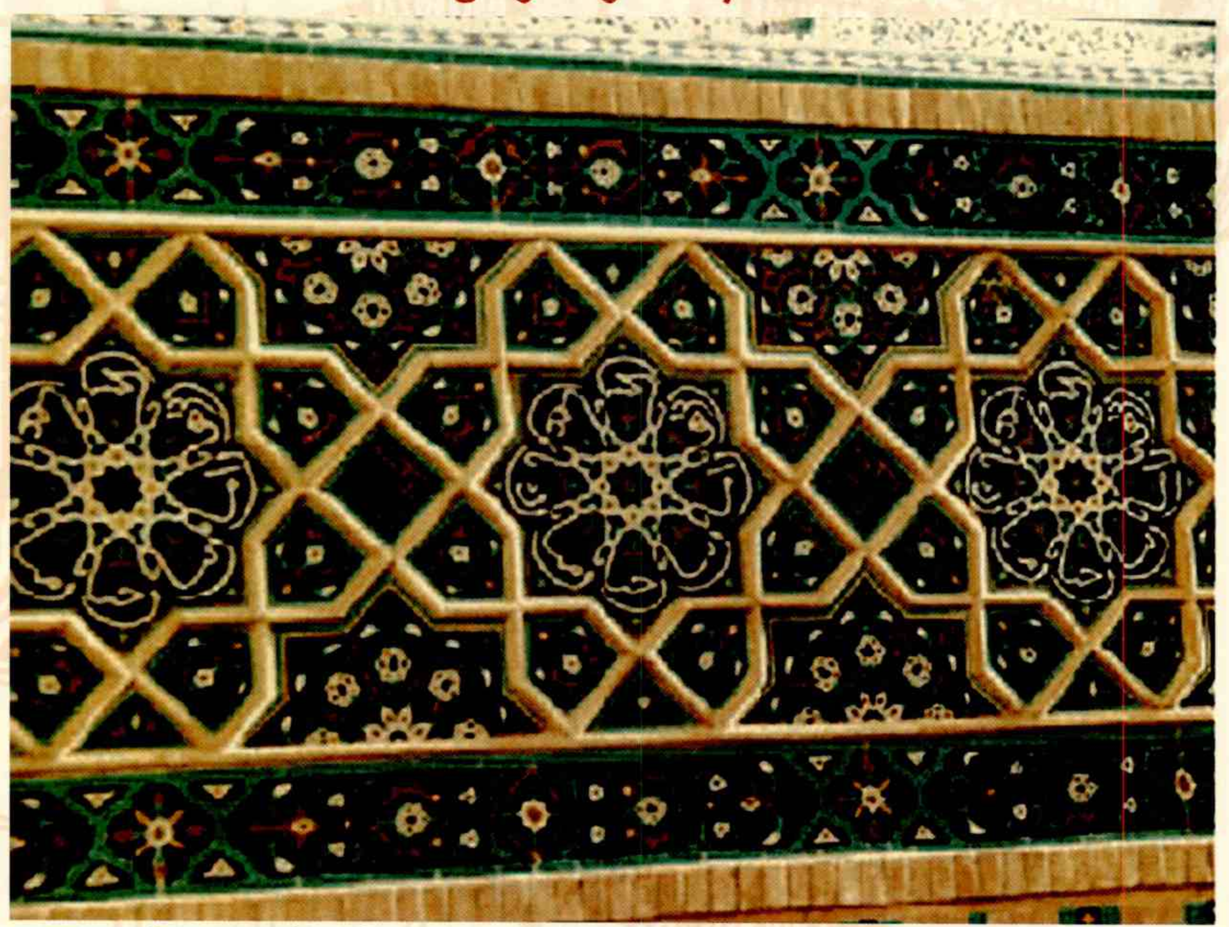
ومن ثم فإن المقرنص كان نتيجة ومحصلة لتجارب الزخارف الهندسية التي بلغت ذروتها بابتكار الوحدة الزخرفية المسطحة، وهي الوحدة التي انطوت على مفاهيم جمالية ناتجة من تناسب الأشكال الهندسية. ولم يظهر المقرنص هكذا فجأة دون تسلسل وتدرج في الابتكار والتطوير عند المعماريين المسلمين. ونستطيع أن نستنتج أنه انتشر فيما بعد بواسطة ورش متجولة وكتلوجات تصاميم ورسومات هندسية في المدن الإسلامية في المشرق والمغرب.

### كتاب جمشيد الكاشي

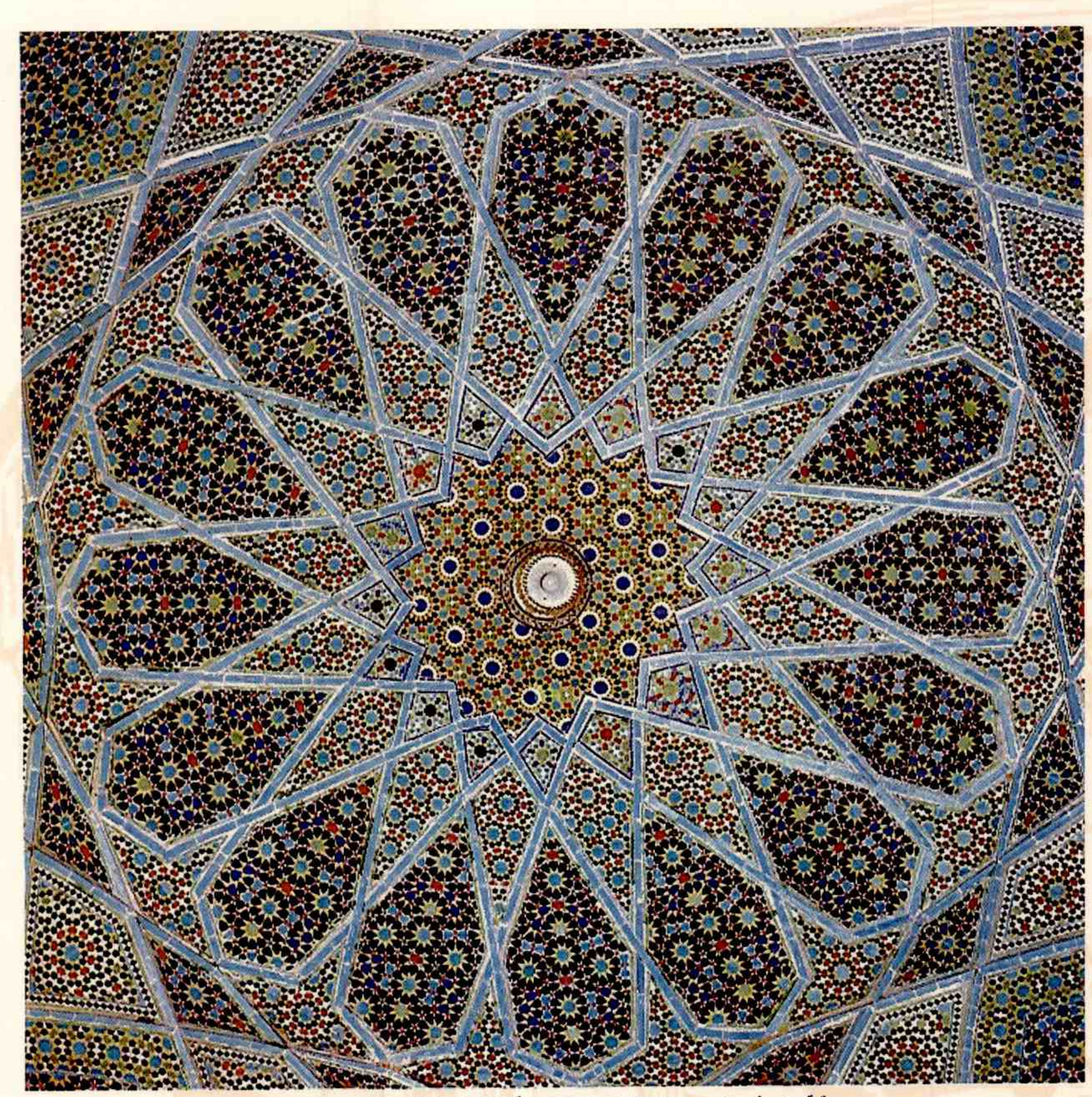
في عـام ٨٣٠هـ - ١٤٢٧م التحـق عـالم الرياضيات والفلك جمشيد بن مسعود الكاشي بالعمل رئيساً لمرصد سمرقند الذي أسسه العالم الفلكي الملك ألغ بك. وفي تلك السنة نفسها قام بتأليف كتابه «مفتاح الحساب». ويحتوي هذا الكتاب على ثروة من مباحث الرياضيات المتطورة بمقاييس زمانه. ومنها ابتكار الكاشي للكسور العشرية أول مرة. ولكن الباب التاسع من المقالة الرابعة، وهو الباب المختص بالحسابات المعمارية هو الذي اهتم به مؤرخو العمارة الإسلامية.

وفي مجال الزخرفة المعمارية يهمنا الفصل الثالث من ذلك الباب. وهو «في مساحة سطح المقرنس». وفيه يقول المؤلف: «وهو سقف كمدرج ذات أضلاع، وسط كل ضلع منه يتقاطع مع ما يجاوره على زاوية، إما قائمة أو نصف قائمة أو مجموع قائمة ونصف، أو غيرهما. وهما قائمتان في الوهم على سطح موازٍ للأفق، ومبنيّ على ما فوقهما سطح مستو غير موازٍ للأفق، أو سطحان مستويان أو منحنيان، هما سقفهما. ويقال لهما مع مسقفهما «بيت واحد». ويقال للبيوت المتجاورة التي قواعدها على سطح واحد موازٍ للأفق 'طبقة واحدة'.

**بعد مرحلة وضع رسومات زخرفية حسب قواعد هندسية، جاءت مرحلة الزخارف المجسمة الناتجة من مخططات مرسومة على الورق. وأشهر هذه الزخارف المجسمة هو المقرنص**



قطعة جدارية من مسجد السيدة جوهر شاد في مدينة مشهد بإيران، اعتمدت الزخارف الهندسية والنباتية والخطوط العربية

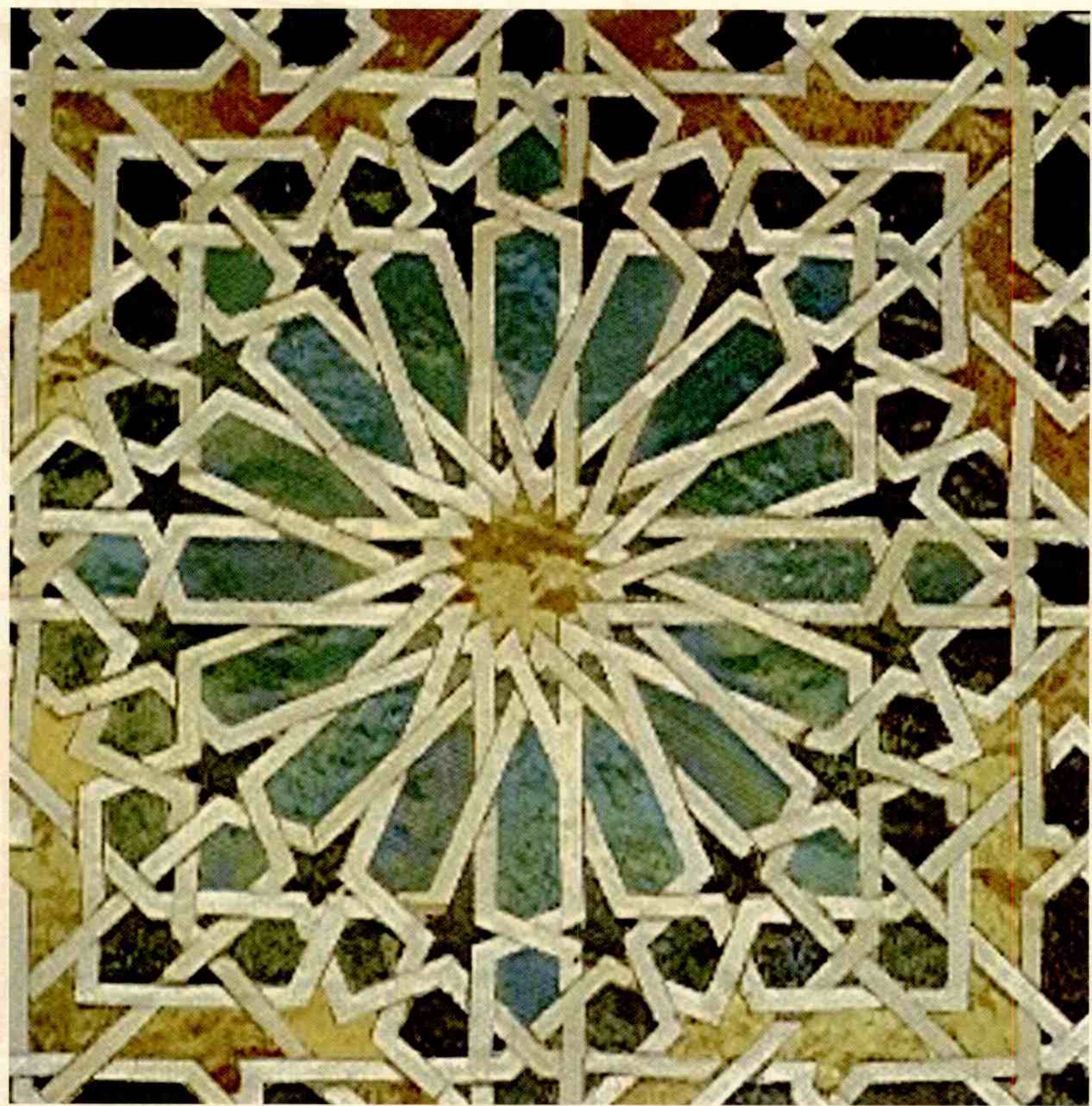


قبة مبنى في مشهد بإيران، الزخارف الهندسية تملؤها. والمنظر يتحدث عن نفسه

ويقال لمقدار قاعدة أعظم الأضلاع «مقياس المقرنس». وما شاهدناه أربعة: المقرنس الساذج - وهو الذي يدعوه البناؤون برومنبر - والمطيّن، والمقوّس، والشيرازي». وبعد ذلك يفصّل المؤلف كيفية إيجاد مساحة كل نوع، من أجل أن يعرف مهندسو البناء كمية المواد اللازمة لعملهم.

### طومار إستانبول

في متحف طوب قابي سراي بإستانبول (وهو المتحف الذي يضم مقتنيات السلاطين العثمانيين) طومار من الزخارف الهندسية المعمارية، كان من مقتنيات الخزينة السلطانية. وهو يتكون من صحيفة ملفوفة على قضيب خشبي، طولها ٢٩.٥ م، وعرضها بين ٣٣ و٣٤ سم. وتحتوي على ١١٤ رسمة داخل إطارات مربعة أو مستطيلة. وقد تمت دراستها بشكل مستفيض في كتاب الباحثة كَرلو نجيب أغلو المذكور في المراجع. واتضح



قطعة جدارية من الزليج المغربي اعتمدت الزخارف الهندسية لزخرفتها. والزليج هو التسمية التي أطلقت على البلاط الخزفي لدى صناع الأندلس والمغرب.

من دراسة محتويات الطومار ومقارنته بالطوامير الأخرى مع دراسة نوع الورق أن تاريخه يقدّر بنحو ٩٠٠هـ - ١٥٠٠م، وأنه من إعداد معلّم من بلاد فارس، أي إيران الحالية.

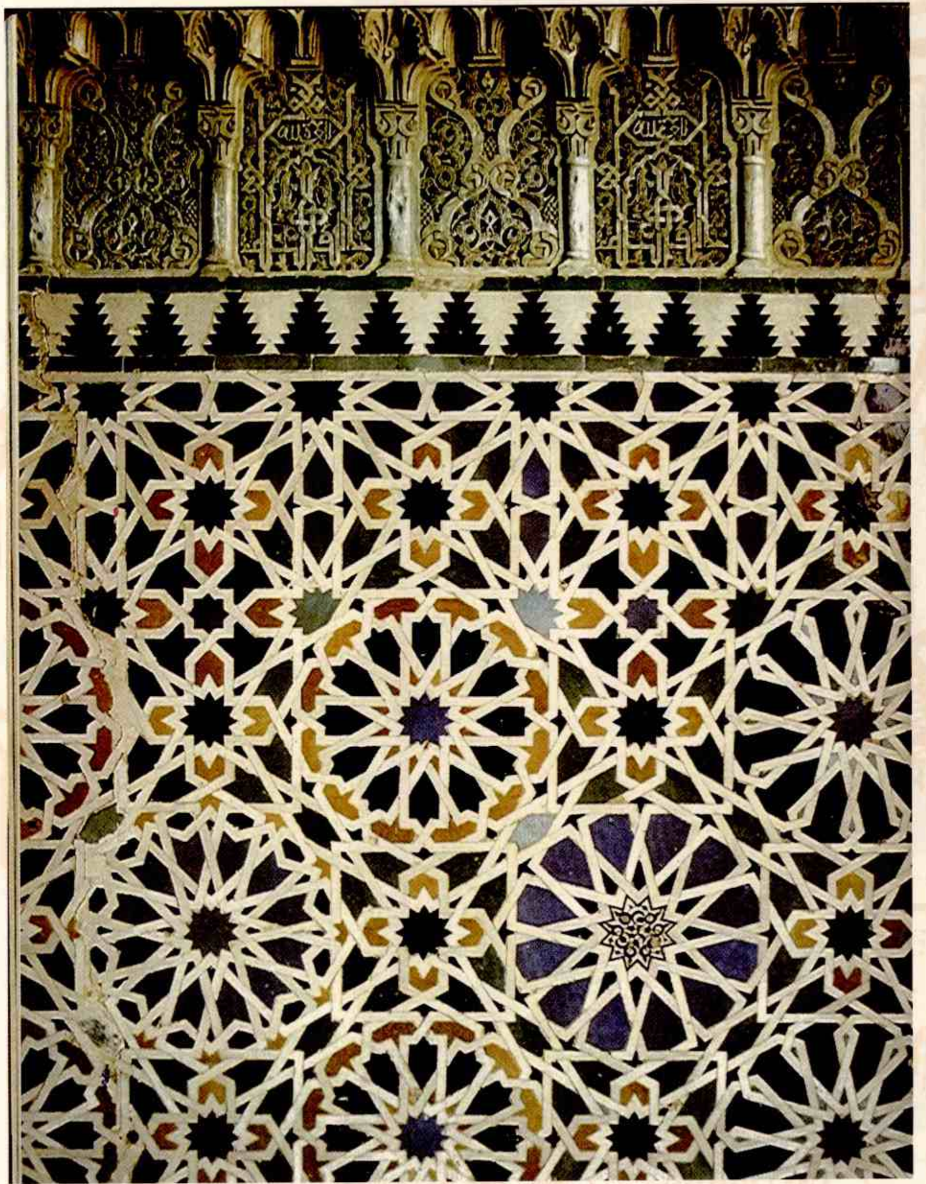
وقد اتضح أن بعض زخارف الطومار تشبه زخارف معمارية وجدت في بعض الأبنية الأثرية، مثل مسجد السيدة جوهر شاد (والدة الملك ألغ بك السابق ذكره). وهذا المسجد بني بين عامي ٨١٩، و٨٢١، و١٤١٦، و١٤١٨م.

مادة طومار إستانبول هي الهندسة التي كانت تتحكّم بالزخارف المسطحة والمجسمة في العمارة التيمورية التركمانية، أي: العمارة التي اشتهر بها عصر حكام المغول في المشرق الإسلامي بين القرنين ٨ و ١٠م) حيث كانت هذه الفترة هي فترة ازدهار

الزخارف الهندسية على الجص والبلاط الخزفي والمقرنصات. وذلك بشكل غير مسبوق في تاريخ العمارة الإسلامية.

مقارنة طومار إستانبول برسالة «تداخل الأشكال»:

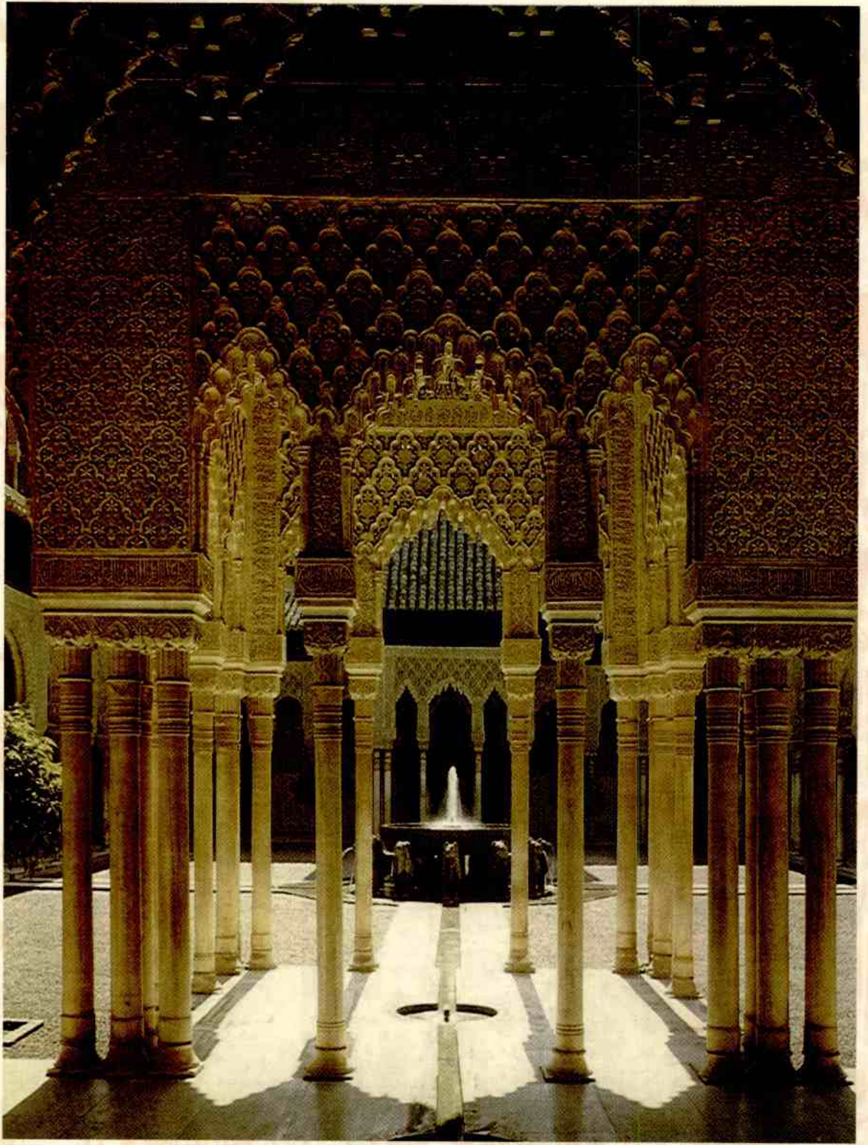
الطريقة التي اتبعها أبو الوفاء البوزجاني في كتابه هي رسم أشكال زخرفية بآلات الرسم الهندسي دون الاعتماد على المعادلات الجبرية. واتبع الطريقة نفسها مؤلف رسالة «تداخل الأشكال»، ولكن مع رسم أشكال أكثر تعقيداً وتفصيلاً. ومن ثم تطور الأمر إلى أن صار بعض معلمي الزخرفة يعدون طوامير تحتوي على الزخارف التي يقومون بنقشها على الأبنية أو رسمها على قطع الخزف. إذن يمكننا تتبع ثلاث مراحل متلاحقة، كل واحدة منها اعتمدت على سابقتها، فأدت إلى تطور تراث من تصميم الزخارف الهندسية.



الزليج الجداري في قاعة السفراء في قصر الحمراء بغرناطة، يعتمد على تداخل الأشكال الهندسية. والزليج هو التسمية التي أطلقت على البلاط الخزفي لدى صناع الأندلس والمغرب.

فطومار إستانبول والطوامير التي تلته كانت المحصلة الناتجة من عملية تطوير الوحدات الزخرفية التي تم ابتكارها في عهد مؤلف رسالة «تداخل الأشكال». ومع توارث الأجيال للتصاميم الزخرفية لم يعد الحرفيون بحاجة إلى كتب تعلمهم كيف يرسمونها، إذ صار الحرفي يكتفي بالنظر إلى الرسم، مع اكتساب خبرة عملية تعلمها من أستاذه في الحرفة. ولهذا نجد في القرون المتأخرة طوامير ولا نجد كتباً مؤلفة حول الموضوع.

ويلاحظ أن رسومات طومار إستانبول أبسط من الزخارف المعقدة المتطورة في رسالة «تداخل الأشكال». ولكن هذا لا يعني أي انحدار أو تراجع في مستوى الرسم الهندسي للطومار، إلا أن عمل الحرفيين في عهد طومار إستانبول كان بطبيعته متوسطاً بين البساطة والتعقيد.


منظر من قصر الحمراء الذي تجد فيه بحاراً لا تنتهي من الزخارف المجسمة والمقرنصات في كل مكان

فالأشكال الزخرفية الموجودة في الرسالة تشبه تلك التي وجدت في المباني المبنية بالآجر في مشرق بلاد الإسلام (آسيا الوسطى وخراسان وبلاد فارس) بين القرنين الخامس والسابع الهجريين (١١ - ١٣م). ففي تلك المباني كان التقسيم الزخرفي يعتمد على تقسيم الدوائر والأقواس بشعاعات أو أنصاف أقطار متساوية البعد. أما في المباني التي تمّ بناؤها بعد القرن السابع الهجري (١٣م) في المنطقة نفسها وغيرها فإن الأشكال الزخرفية بها أبسط من السابقة. ولهذا ترى أن بعض الأشكال في الرسالة تظهر في طومار إستانبول، وبعضها الآخر المعقد ألغي من الطومار. وبعض الوحدات الزخرفية المركّبة في الرسالة تمت تجزئتها في الطومار.

ومن الفروق بين الوثيقتين أن رسالة «تداخل الأشكال» لا تحتوي على مساقط لعقود مقرنصات من النوع المتحد المركز، بينما هذه من السمات الغالبة في طومار إستانبول وفي طوامير أخرى أتت بعده كما سنرى. وهذا يوضح لنا الهدف المحدد للمخطوطتين: فرسالة «تداخل الأشكال» كتاب تعليمي لمدرسة يتخرج منها مهندسو الزخرفة وحرفيوها. أما الطومار فهو مرجع عمل أو كتاب إرشادات لممارسي مهنة الزخرفة وعمل المقرنصات والنقوش الجمالية. وعلى الرغم من أن الزخارف الهندسية في الطومار وأمثاله من الطوامير الأخرى تبدو لنا معقدة، إلا أنها تعتمد على صيغ رياضية بسيطة. فهي تمثل استخلاص فوائد من علم الهندسة التطبيقية، تمت صياغتها بذكاء لتنسجم مع طرائق العمل المتبعة لدى معلمي البناء والزخرفة.

### طوامير طاشكند

وجدت في مدينة بخارى طوامير اشتملت على ثلاثة أنواع من الرسومات: مخططات معمارية، ومساقط لعقود مقرنصات، وزخارف هندسية مسطحة أو ثنائية

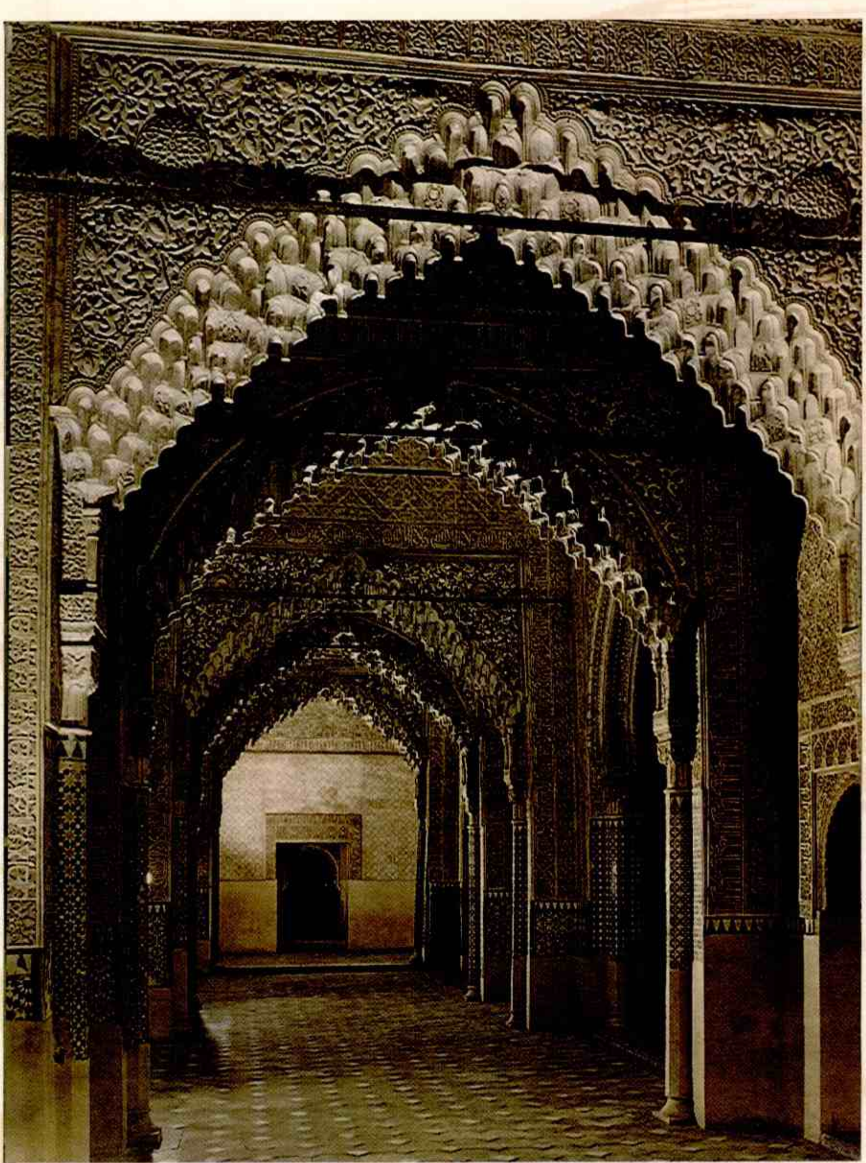
الهجري (١٦م) بناء على كونها رسمت على ورق سمرقندي مصنوع من الخرق أو قطع القماش. وقد وجد تطابق وتشابه شديد بينها وبين المباني الأثرية في آسيا الوسطى في تلك الفترة.

كانت الزخارف الهندسية تعتمد على الوحدة الزخرفية التي يسميها الباحثون في العمارة الإسلامية بوحدة«كره» كما مرّ بنا. وكان البناؤون في آسيا الوسطى يستعملون وحدة أخرى تسمى «إسليمي»(٧) للوحدات الزخرفية التي بها رسومات نباتية. والفرق بينهما أن الأولى مختصة بالزخارف الهندسية التي يلزمها دقة وقواعد وحسابات. أما الزخارف النباتية فهي عمل فني لا يتقيد بقواعد هندسية.

## الزخارف الهندسية في الغرب الإسلامي

وفي الغرب الإسلامي (أي الأندلس وشمال إفريقية) عرفت الزخارف المعمارية، المسطحة منها والمجسمة. فالبلاط الخزفي عرف في المغرب والأندلس باسم «الزليج». ونجد عليه الزخارف الهندسية والنباتية المتنوعة. أما الزخارف المجسمة فتتمثل بالمقرنصات والنقوش البديعة في قصور الحمراء وفي معالم أخرى بالمغرب.

لم يجد الباحثون حتى الآن طوامير أو مخططات معمارية تركها عرب الأندلس. إلا أن كتاباً إسبانياً ألّف بعد خروج المسلمين حول تصاميم خشبية لعرفاء البناء alarifes بالإسبانية، وهي الكلمة العربية نفسها، وذلك في عام ١٦٣٣م. وكان المؤلف اختصر كتابه هذا من كتاب مطول



منظر آخر من قصر الحمراء

الأبعاد. وهي الآن مجزأة إلى قطع ومحفوظة في معهد الدراسات الشرقية في طاشكند. وقد أشبعها الباحثون السوفييت بحثاً من ناحية مقارنتها بالآثار المعمارية الباقية في آسيا الوسطى، وتحليل زخارفها الهندسية رياضياً، واستخراج الأسس الرياضية للعمارة الإسلامية منها، ودراسة التوافق والانسجام الهندسي الذي انطوت عليه تلك الرسومات.

وقد تم تقدير زمن هذه الرسومات بالقرن العاشر

ألّفه سنة ١٦١٩م. ويظن بعض الباحثين اليوم أنه يحمل بصمات معلمي الأندلس؛ لأن تصاميمه من النوع الذي عرف بعمارة المدجنين .Mudejar architectureوعنوان الكتاب هو «مخطط تمهيدي موجز لأعمال نجارة خشبية ورسالة مؤلفة لعرفاء البناء»(٨).

## طوامير ودفاتر من القرنين الأخيرين

- في العقد الأخير من القرن التاسع عشر كان مهندس بريطاني يعمل في سفارة بلاده في طهران قد لاحظ أن معلمي البناء هناك يستعملون طوامير مملوءة بالرسومات الهندسية للتخطيط والزخرفة، شبيهة بطوامير إستانبول وطاشكند. فاشترى كمية منها. وهي اليوم محفوظة في مكتبة متحف جنوب كنسنكتن Kensington بلندن.

- ويحتفظ متحف فيكتوريا وألبرت بلندن أيضا بثمانية طوامير للمهندس مرزا أكبر مهندس الدولة القاجارية بإيران. ويعود زمن هذه الطوامير إلى حوالي عام ١٨٠٠م. بعضها ملفوف حاليًا بحالته الأصلية. والأخرى التي تعرضت للتلف قطعت إلى قطع سليمة ثبتت على ألواح. وهي تشمل رسومات هندسية زخرفية.

- ونشرت في طهران نحو عام ١٩٧٥م محتويات طومار فيه رسومات هندسية. وكان ذلك الطومار لدى أسرة شيرازية من معلمي البناء، توارثوها عن أجيال سابقة. فيقدّر زمن هذا الطومار بالقرن التاسع عشر الميلادي.

- وفي العصور الحديثة اكتشفت دفاتر عند معلمي البناء المغاربة، سجلت فيها زخارف معمارية كانت لهم مرجعاً يعملون به. فكانت الدفاتر تستعمل عندهم بدلاً من الطوامير. ومن هذه دفتر للمعلم البوري، ودفتر للمعلم مولاي حفيظ. وهما من النصف الأول للقرن العشرين الميلادي. وقد نشرت نماذج من محتويات هذه الدفاتر في المراجع الغربية.

### الهوامش والمراجع

- البوزجاني، أبو الوفاء محمد بن محمد: ما يحتاج إليه الصانع من علم الهندسة، تحقيق صالح أحمد العلي، بغداد: مركز إحياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد، ١٩٧٩م، ص ١٤٤م.
- التوحيدي، أبو حيّان: رسالة في العلوم، تحقيق برجيه Bergetفي مجلة المعهد الفرنسي للدرسات العربية بدمشق، ١٩٦٥م، ونشرت مصورة دون ترخيص في القاهرة.
- تيمور، أحمد: أعلام المهندسين في الإسلام، القاهرة: لجنة المؤلفات التيمورية، ١٩٥٧م.
- حيدر، كامل: العمارة العربية الإسلامية-الخصائص التخطيطية للمقرنصات، بيروت: دار الفكر اللبناني، ١٩٩٤م، ص ٥٩ و ١٥٣.
- الفارابي، إحصاء العلوم، تحقيق أنخيل كنسليس بلانسية، طبع بمدريد سنة ١٩٥٣م، ص ٥٦ ـ ٥٨ و٧٥.

- الكاشي، جمشيد بن مسعود: مفتاح الحساب، تحقيق الدمرداش والحنفي الشيخ ومراجعة عبد الحميد لطفي، نشر دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م. وصدر أيضا بتحقق نادر النابلسي، نشر وزارة التعليم العالي بسورية، دمشق، ١٩٧٧. ص ١٨٥ من طبعة مصر، ص٣٨١ من طبعة سورية.
×MICHELL, George (ed.): Architecture of the Islamic World, London: Thames and Hudson, 1978, 1987, p. 149.
* NECIPOGLU, Gurlu: The Topkapi Scroll, Santa Monica, California: The Getty Center for the History of Art and Humanities, 1995, several pages.
* OZDURAL, Alpay: "The Use of Cubic Equations in the Islamic Art and Architecture", Nexus Network Journal, vol 4 no. 3 (Summer 2002).
* Pugachenkova, G. A. "Urban Development and Architecture", in History of Civilizations of Central Asia, The Age of Achievement (750-1500), Part 2, Paris: The UNESCO, 2001.
* SPEISER, Werner; Oriental Architecture in Color, New York: The Viking Press, 1965, p. 119.

١ـ في الكتاب يذكر المؤلف أنه ألّفه بناء على اقتراح بهاء الدولة البويهي، ويلقبه بألقاب منها «غياث الأمة». وهذا اللقب أطلق على المذكور من قبل الخليفة في سنة ٣٨١هـ. وكما ذكرنا فقد توفي المؤلف سنة ٣٨٧هـ. وبالتالي يكون زمن تأليف الكتاب بين هذين التاريخين. انظر ترجمة بهاء الدولة في الموسوعة الإسلامية، الطبعة الجديدة EI2، الملحق ص ١١٨.

2 - MS Persan 169, Bibliotheque Nationale, Paris.

٣ـ الأزج والطاق: كل واحد منهما عبارة عن مبنى أو جزء من مبنى سقفه مقوّس. والفرق بينهما هو أن الأزج طول سقفه أطول من عرض قاعدته، والطاق بخلاف ذلك. انظر: لطف الله قاري، "الرسم الهندسي في التراث الإسلامي"، ضمن كتاب «إضاءة زوايا جديدة للتقنية العربية الإسلامية»، الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م.

٤ـ الطومار أو اللفافة (جمعه طوامير، ويدعى scrollبالإنجليزية): صحيفة يكتب فيها ثم تلف على شكل أسطوانة. انظر: حسن الكرمي، الهادي إلى لغة العرب، قاموس عربي-عربي، بيروت: دار لبنان، ١٩٩٢م، ج٣ ص ١٢٩ ـ ١٣٠.

٥ـ كانت الوحدة الزخرفية تسمى كِرِه girih، أي عقدة بالفارسية. وهذا هو الاصطلاح الذي استخدمه مؤرخو العمارة الإسلامية. ولكن نظراً لأن هذا مصطلح غريب على القارئ العربي فإننا هنا نستخدم مصطلح «وحدة زخرفية».

٦ـ المنشور في علم الهندسة هو جسم كثير السطوح، قاعدته أو طرفاه مضلعان متماثلان ومتوازيان. وكل سطح من سطوحه الأخرى الجانبية متوازي أضلاع. ومنه المنشور الزجاجي المثلث الذي يستخدم في علم البصريات لدراسة انكسار الضوء.

٧ـ معنى هذه الكلمة بالفارسية هو: الخطوط المعوجة في الرسوم أو الآثار. انظر "القاموس الفارسي"، تأليف محمد ألتونجي، بيروت: دار العلم للملايين، ط٢، ١٩٨٠م، ص ٦٨.

8 - Breve compendio de la carpenteria de lo blanco y tratado de alarifes, by: Diego Lopez de Arenas (1633).

# أثر النصوص الأصيلة في تعليم اللغات

**لطيفة هباشي**
عنابة - الجزائر

**يفرض علينا الواقع التعليمي في منظوماتنا التربوية ضرورة التغيير من أجل مسايرة مستحدثات الحضارة التي من بينها - إن لم نقل أهمّها - الإعلام والاتصال، اللذان أصبحا من الإستراتيجيات المتّبعة من طرف الدول العظمى للحفاظ على عظمتها، و لضمان نمائها؛ إذ يستغلان في مختلف الميادين السياسية منها والاقتصادية و الثقافية والاجتماعية والدينية، فما بالك بميدان تعليم اللغات، مع العلم أنّ الركيزة الأولى التي يتمّ بها الإعلام والاتصال هي اللغة.**

ومن جهة أخرى أصبح الذوق الأدبي الآن يميل إلى الواقعية في كل الأمور التي تحيط بالإنسان العصري، وهذه الواقعية يقول عنها مصطفى ناصف: «الحقيقة أن لدينا نمطين اثنين من الواقعية: واقعية العرض، وواقعية المحتوى، وليس بلازم - كما ترى - أن يتلازم هذان النمطان. واقعية المحتوى يعبّر عنها بلفظ آخر من قبيل مطابقة الحياة أو حقائقها؛ فإذا كنّا بصدد هذا النموذج فنحن غالبًا لا نتعشّق بذل جهد نفسي»(١).

من هذا المنطلق أصبح من الضروري استثمار النصوص الأصيلةTextes authentiques في التعليم؛ لأنها نصوص تشترك في خاصيتين أساسيتين هما:

- محتواها المستوحى من الواقع المعيش.
- لغتها هي اللغة المتداولة في واقع الحياة.

وما أحوجنا إلى إعادة ثقة المتعلمين بلغتهم الأم؛ و ذلك بإثبات قدرة اللغة العربية على التعبير عن واقعهم، لا إثبات قدرة لغتهم على التعبير عن واقع أجدادهم؛ لأن ذلك أصبح من البديهيات!

و معالجتنا لهذا الموضوع ستبدأ بمحاولة تحديد مفهوم مصطلح النصوص الأصيلة(٢)، ثم تقديم أنواعها وخصوصيات كل نوع، وبعدها نتطرّق إلى أهميتها في التعليم.

## مفهوم النصوص الأصيلة

عدنا من أجل هذا الغرض إلى معجم تعليمية اللغات لـ «غالسيون» galisson، وكوست coste، فوجدنا التعريف الآتي تحت عنوان: authentique: «أطلق هذا المصطلح في تعليمية اللغّات على كل نص منطوق أو مكتوب لم يوضع أساسًا لتدريس اللّغة في الفصل، وإنما لتأدية وظيفة تبليغيّة إخبارية أوتعبير لغوي حقيقي مثل: مقتطف من محادثة مسجلة أو مقال صحفي، أو صفحة من مؤلف لبلزاك، أو قصيدة شعرية، أو نبأ صحفي أو إرشادات، أو لوحة إشهارية.

وكلمة authentique يتعارض مفهومها مع وظيفة الوثائق الأصيلة في الفصل(٣)».

ما نستنتجه من خلال هذا التعريف الاصطلاحي هو أنّ:

- المصطلح خاص بتعليمية اللغات.
- يطلق على أي نص منطوق أو مكتوب.
- الغاية الأساسية من المستندات الأصيلة هي تأدية وظيفة تبليغية إخبارية.
- عندما تستغل في تعليم اللغات تفقد صفة الأصالة التي اكتسبتها من وظيفتها التواصلية.

وقد عرّف ويداوسن Widdowson النصوص الأصيلة بقوله: «هي ببساطة قطعة من خطاب حقيقي واقعي... تعرض على شكل وحدات تواصلية متعددة ومستقلة بنفسها عن الأغراض البيداغوجية، التي تنقص من صفة الأصالة في الخطاب(٤)».

ويضيف ويداوسن أنها: «أمثلة واقعية لاستعمال اللّغة، ولكن في التعليم يتعرض لها المتعلم بطريقة لا تتصل بنشاطه اللغوي العادي، ولهذا فهي لا تعد أمثلة واقعية في حقيقة الاستعمال(٥)».

المستندات الأصيلة تطرح - مع أنها واقعية وحقيقية - مشكلاً يتعلق بتقديمها على أنها مادة لتعليم اللغة، وذلك يؤدي إلى الحد من واقعيتها. ولكن الهدف البيداغوجي منها ليس هو إنكار واقعيتها، بل هو استدعاء حالة الوعي المتنامي لدى المتعلم(٦).

أما المفهوم المعاكس لمفهوم المستندات الأصيلة فهو المستندات المصطنعة التي توضع من أجل تحقيق أهداف بيداغوجية محددة، بمعنى أنها تصدر من العالم المدرسي للوصول إلى العالم الواقعي، على عكس المستندات الأصيلة التي تنتزع من العالم غير المدرسي لتنتهي إلى العالم المدرسي.

وقد ظهر مفهوم النصوص الأصيلة مع الاتجاه الوظيفي الذي قام على انتقادات الاتجاه البنوي. ومن بين الأفكار التي قام عليها هذا الاتجاه في المجال التعليمي التخلي عن الوثائق المصطنعة والبحث عن الوثائق الأصيلة؛ فالاتجاه البنوي يعتمد على الوثائق المصطنعة المعدة سلفًا لأمور تربوية محددة. أما الاتجاه الوظيفي فيعتمد على الوثائق الأصيلة المأخوذة من المحيط الاجتماعي، وليس من قاعة الدرس.

ولتطبيق تلك النصوص (الوثائق) في المجال التعليمي اعتمد الاتجاه الوظيفي على نظريتين:

الأولى اجتماعية، هدفها إكساب الملكة التبليغية la competence de communication، والتحكّم في كلّ أشكال الخطاب اليومي.

الثانية نفسية: مستوحاة من علم اللغة النفسي psyco-linguistique الذي يرى أن اكتساب اللغة نشاط مختلف تمامًا عن عمل اللغة في حد ذاتها(٧).

وكما قلنا سابقًا: مفهوم المستندات الأصيلة هو مفهوم وظيفي تبلور نتيجة فكرة مهمة تنبه لها مؤسسو هذا الاتجاه، وهي أهمية تعليم اللغة الوظيفية لا قواعد اللغة، وقد قسموا اللغة الوظيفية ثلاثة ميادين، وهي في الوقت نفسه مراحل يمر بها كل من يسعى لتعلم اللغة، وهي: اللغة اليومية، واللغة العلمية، العامة ولغة التخصّص.

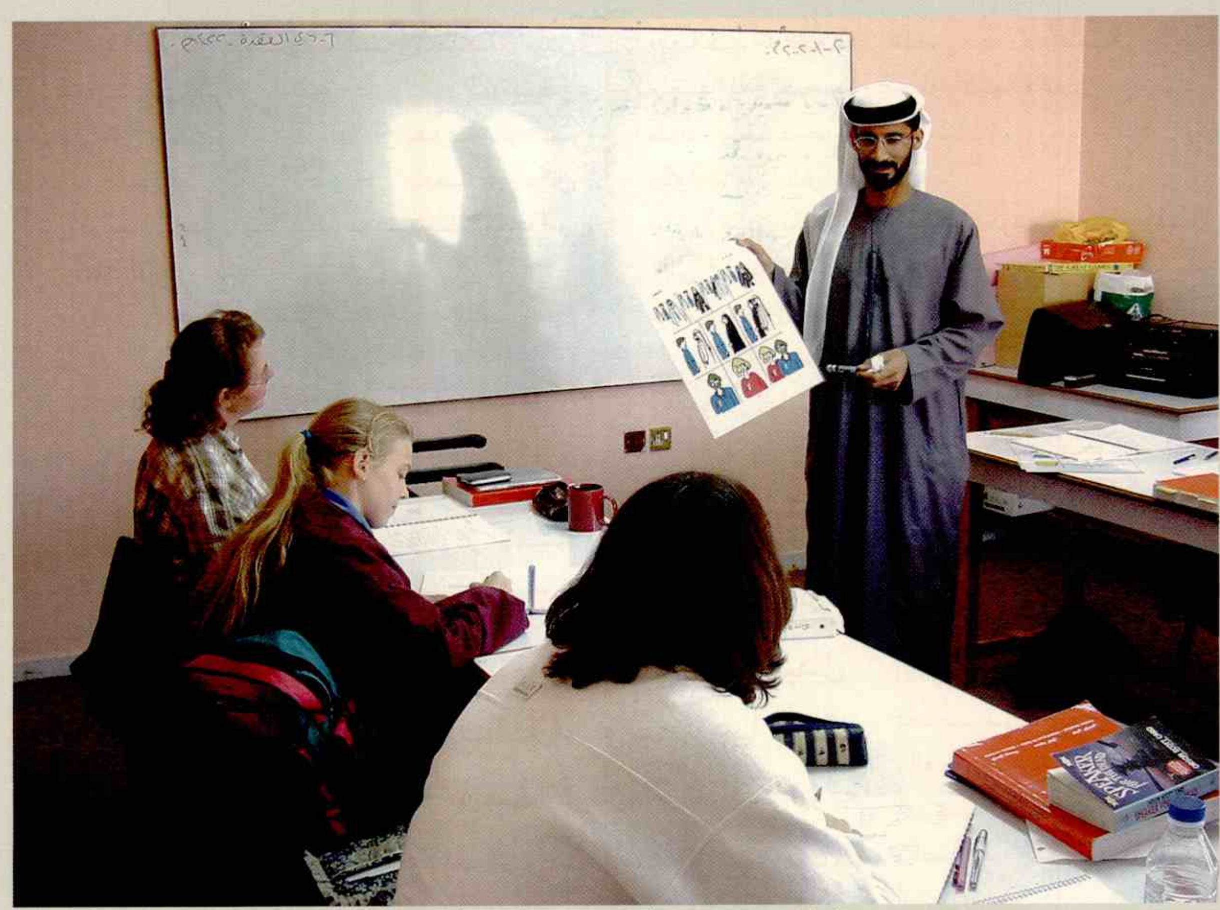
والنصوص الأصيلة لأنها تشتمل على مقالات صحفية وإشهارات ورسائل ومقالات متخصّصة، وإرشادات، فإن لغتها تتنوع إلى لغة أقرب إلى اللغة اليومية (مقالات، رسائل ) ولغة علمية عامة (إرشادات، إشهارات) ولغة تخصّص كـ(المقالات المتخصّصة).

**النصوص الأدبية: هي مجموع النصوص التي يشترط أن تتصف بخاصيتي واقعية المحتوى والعرض. ويمكن أن نجد هذه النوعية منشورة في المجلات والصحف والروايات ودواوين الشعر خاصة**

## أنواع النصوص الأصيلة(٨)

**١ـ النصوص الإعلامية:**

هي مختلف النصوص التي يمكن أن نحصل عليها من وسائل الإعلام المكتوبة والمسموعة، والهدف الأول



يفضل اختيار نصوص تجذب الاهتمام لاستثمارها في التعليم

منها هو الإعلام والإخبار. وتجتمع تلك النصوص في عامل الوقت، إذ إنها إنتاج متعلق بالزمن؛ الذي يكون إمّا يوميًا وإما أسبوعيًا وإما شهريًا؛ ولأنها تشكل المخزون الطبيعي للغة فهي تستعمل اللغة لأداء أغراض تواصلية مختلفة، ويمكن تصنيفها إلى أنواع تجيب عن الأسئلة الآتية:

١- ماذا حدث؟ كالأخبار، والحوادث، والقصص.

ماذا أرى؟ كرأي شخصي في قضية ما، أو نقد، أو حوار.

ماذا أحتاج؟ كالطلبات والرسائل.

- من هو؟ وكيف هو؟ كالتقارير الخاصة بشخصيات أو أماكن معيّنة.

وإذا أردنا استثمار هذه النصوص في التعليم فلا بد أن نحتكم إلى معايير معينة:

- اختيار نصوص استلهم الصحفيون أحداثها من المحيط الحياتي.

- اختيار نصوص مختلفة الحجم ولكن كاملة.

- من الأفضل اختيار نصوص تتناول قضايا وموضوعات تجذب اهتمام القرّاء والرأي العام مدّة طويلة؛ بمعنى أن تلك الموضوعات تحافظ على جاذبيتها مدة طويلة، كأن نختار - مثلا - موضوع هجرة الأدمغة الجزائرية إلى البلدان الغربية، أو غزو الفضاء.

- اختيار نصوص ذات عناوين موجبة، أي ذات أبعاد سيميائية وتأويلية مساعدة على تقديم عدة قراءات للنص.

- يجب التنويع في النصوص، كأن تكون مرة تقريراً ومرة أخرى خبراً، أو إعلاناً، أو مناقصة، أو إشهاراً.

**٢- نصوص المحيط اليومي:**

هي مجمل الكتابات الموجودة على جدران الشوارع

وفي الطرقات و المؤسسات والمطاعم، ومختلف الأماكن التي يتردد إليها الناس. وتكون قراءة هذه النصوص مقصودة لذاتها، كأن يريد أحد أن يعرف مواقيت الرحلات الجوية، أو أنواع الأطعمة، أو يبحث عن مكان معيّن في شارع ما. وتبعاً لذلك تنوعّت تلك النصوص بحسب الأغراض الآتية:

- من أجل الإعلام: كمواقيت النقل والفهارس، والإعلانات الحائطية.
- من أجل التحذير: كالبيانات، والإرشادات الطبيّة.
- من أجل الدعوة: كإعلانات الحفلات، والدعوات الإدارية.

وعند تعليم تلك النوعية من النصوص نركّز الاهتمام في ثلاثة جوانب:

- نية التواصل معها، أي: الغرض المرجو منها (بيع، دعوة، إعلام).
- نوعية التقديم (الألوان المستعملة، نوعية الورق، حجمه، أماكن الوجود...)
- مقروئيتها وجاذبيتها: إذ تظهر الكلمات المفاتيح بوضوح.

**٣ـ نصوص حوارية:**

يضمّ هذا النوع من النصوص كل الرسائل بنوعيها العائلية الحميمة، والرسمية، كالرسائل الإدارية، وكل أنواع الحوارات والاستجوابات. والصيغة المشتركة لها هي تضمّنها على مرسل ومرسل إليه، ومن مميزات هذا النوع استعمال اللغة على شكل أفعال كلامية، وخاصة في النصوص الحوارية؛ إذ تستعمل فيها اللغة لأداء طبيعي يتغير بتغيّر المواقف.

وإذا ما استعملت في تعليم اللغة فإنها تعلّم المتعلمين التوظيف الصحيح للغة في مقاماتها المختلفة.

**٤ـ النصوص المهنية:**

هي مختلف النصوص التي يكتبها أهل اختصاص في اختصاصهم أو مهنتهم، بمعنى أن تلك النصوص تتميّز بمعالجتها لموضوعات تخصّ مجالات علمية ومهنية، ولغتها لغة تخصّص يسيطر عليها قاموس مصطلحي خاص بالتخصص. وثالث ميزة هي وجود تفاعل بين مكونات ملكة القراءة، وهي:

أ – مكوّن المعارف اللغوية: تحتوي النصوص المهنية على قاموس لغوي، بالإضافة إلى جهاز اصطلاحي خاص بمجال معيّن.

ب – مكوّن المعارف المرجعية: لهذه النوعية من النصوص أيضا خلفية ينبغي أن تراعى عند تعليمها.

ج– مكوّن المعارف المنهجية: تنتظم النصوص المهنية وفق منهجية خاصّة بها؛ إذ تتميّز مثلا بدقة مفرداتها واقتصادها اللغوي وترابط أفكارها المنطقي.

**الذوق الجمالي قبلُ كان يستند إلى مقاييس الخيال، أما الآن فإنه يميل أكثر إلى الحقيقة، ويبحث عمّا يربطه بثقافته بوصفه فردًا من المجتمع. وبما أن المتعلم فرد من المجتمع فهو بحاجة دوما إلى ثقافة مجتمعية**

**٥ـ النصوص الأدبية:**

هي مجموع النصوص الأدبية التي يشترط أن تتصف بخاصيتي واقعية المحتوى والعرض. ويمكن أن نجد هذه النوعية منشورة في المجلات والصحف والروايات ودواوين الشعر خاصة.

والمنهجية الجديدة المقترحة لتدريسها تركز في ضرورة تجاوز الصعوبات المعجمية، والنحوية، وفي تقديم الحرية للمتعلم لتقديم قراءته، وفي الاعتماد على المؤشرات النصية.

## أهمية النصوص الأصيلة في تعليم اللغة

كان المعلم في وقت من الأوقات يعاقب إذا ما وجدت عنده صحيفة يطالعها داخل القسم، ولكن هذه النظرة تتغير مع ظهور الأفكار التربوية الحديثة، التي أصبحت تبحث عن الأساليب و التقنيات التي يتم من خلالها استثمار النصوص الأصيلة في تعليم اللغة، وخاصة مع الاتجاه الوظيفي عند الغربيين(٩).

وفي العالم العربي، قامت مدرسة النقراشي النموذجية الثانوية بالقاهرة بتجربة اتخذت فيها الصحف اليومية والمجلات مادة للقراءة والمناقشة، وقامت التجربة على

أساس أن التلاميذ يميلون إلى قراءة الصحف، ويقبلون على مادتها، فكانت نتائج التجربة مشجّعة؛ إذ إنّها:

- أثارت إعجاب التلاميذ.

- كانت فرصة لتدريب التلاميذ على مهارة السؤال والحوار.

- هيّأت التلاميذ لمواجهة نماذج من المواقف الحياتية(١٠).

ومع أن هذه التجربة لاقت استحساناً ونجاحاً، إلاّ أنّها لم تعمّ على بقية الثانويات. ولكن الفكرة في حدّ ذاتها لم تمت؛ إذ هناك بعض العلماء واللغويين العرب الذين تفطّنوا إلى ضرورة الاستفادة من لغة الإعلام، ومن الواقعية التي تتميز بها النصوص الإعلامية. فهذا عبده الراجحي يقول: «والنمط الذي يجب أن يكون مصدر اختيار المحتوى هو المزج بين الفصيحة المعاصرة وفصيحة التراث، أما الفصيحة المعاصرة فيهمّنا منها أوّلاً ذلك النمط العام الذي تمثّله لغة وسائل الإعلام واللغة المستعملة في الخطب العامة وفي المحاضرات، ثم النمط الفني الذي يمثّله الإنتاج الأدبي على مختلف أنواعه. و أما فصيحة التراث فهي من أهم ما ينبغي العناية به؛ لأنها هي التي تحمل ثقافة الأمة الإسلامية(١١).

فدعوة عبده الراجحي - من خلال هذا القول - صريحة إلى ضرورة اختيار محتوى دراسي، لغته مزيج بين الفصيحة المعاصرة المستعملة في الواقع، وفصيحة التراث، وهذا لا يتحقّق إلاّ من خلال اختيار نصوص من التراث وأخرى معاصرة مأخوذة من الإنتاج الأدبي المعاصر، ومن الإنتاج الإعلامي المتمثّل في النصوص الأصيلة. فالحاجة ماسّة إذن إلى واقعية العرض، والشيء نفسه بالنسبة إلى واقعية المحتوى.

وبعيداً عن المجال التعليمي، نلاحظ في الحياة العامة أنّ كثيراً من القرّاء يبتهجون إذا ما رأوا ما يقرؤون واقعيًا، وإذا ما رأوا مواقف تذكرهم بما صنعوا بالأمس. وهذا ما أكّده مصطفى ناصف حين قال: «فالذوق العام اليوم ربما يشدّد في طلب واقعية المحتوى على خلاف أجيال مضت... هناك كثير من القراء، في دنيا



واقعية المحتوى تبهج القراء

التخصّص الأدبي وخارجه، يرفعون هذه الظاهرة إلى رتبة المبدأ... إننا نميل إلى اعتبار نوع من صدق الحياة أو صحتّها مطلبًا عاليًا يتجاهل سائر المطالب، ولكن الزمن قد تغير، ولم يعد أحد يطيّق كثيراً تصوّر قدّيس أو بطل أو إنسان شاذ يحارب كل شيء في جسارة وسذاجة(١٢)».

(فالذوق الجمالي قبلُ كان يستند إلى مقاييس الخيال، أما الآن فإنه يميل أكثر إلى الحقيقة، ويبحث عمّا يربطه بثقافته بوصفه فرداً من المجتمع. وبما أن المتعلم فرد من المجتمع فهو بحاجة دومًا إلى ثقافة مجتمعية. فالإعلان مثلاً والمقال أو الخبر في الصحيفة أو التلفاز، أو اللوحة

الإشهارية، كل ذلك مرتبط بثقافته.

وعلى هذا تعدّ النصوص الأصيلة عنصراً من عناصر التفاعل الاجتماعي والثقافي، أو بتعبير آخر يمكن أن نعدّها ظاهرة ثقافية(١٣). والسبب الذي يستدعي تدريس النصوص الأصيلة لارتباطها بثقافة المتعلم، هو أن تلك الثقافة تساعد على فهم معاني النصوص وإدراكها، وأكثر من ذلك.

فمن العوامل المهمّة المتدخلة في الفهم، ومعرفة المتعلم حقائق الحياة وتجربته الحياتية(١٤)، وبناء على الفرضية القائلة: إن المتعلم يعرف بعض الأشكال التواصلية المكتوبة، تقترح صوفي موارون أن نقدّم له نصوصاً تؤدي فيها تجربته السابقة دوراً مهماً، فتلك الأشكال التواصلية المكتوبة هي بمنزلة المخزون الثقافي الذي اكتسبه المتعلم من خلال معاشرته لأفراد مجتمعه، ومن خلال قراءته للنصوص(١٥).

تلك إذن بعض الآراء التي بيّنت أهمية النصوص الأصيلة بشكل مباشر أو غير مباشر، فبالإضافة إلى أن الذوق العام في وقتنا الحالي يميل إلى الواقعية أكثر منها إلى الخيال. وكذلك تدخل خبرات القارىء وتجربته في فهم النصوص، نذكر جملة من الأسباب والدوافع والمزايا التي تمدّ النصوص الأصيلة بالفاعلية الكافية في تدريس اللغة:

١ـ نفور المتعلمين من درس الأدب واللغة، وخاصة الأدب القديم. إذ يرى عباس الصوري(١٦) أن العوامل المؤدّية إلى ذلك هي:

ـ فقدان الأدب لجاذبيته ومكانته، بعد ظهور علوم جديدة استقلت بالمعارف التي كان يحتكرها الأدب القديم.

ـ اقتناع التلاميذ بعدم ارتباط المعرفة الأدبية بالحياة الفعلية وانجذابهم نحو المعرفة العلمية.

ج ـ الاعتماد على القراءات الأحادية القائلة لإبداعية النصوص في أثناء تحليلها.

وبسبب ذلك النفور وعدم إعطاء درس الأدب ما يستحقه من الاهتمام نرى أنه يجب البحث عن بديل، نتنوّع من خلاله النصوص المقدّمة حتى نجذب اهتمام المتعلمين، ونعيد المكانة المستحقة إلى درس اللغة والأدب معاً.

٢ – اكتساب التواصل باللغة المكتوبة الأهمية أكبر مما كان عليه، إذ بعد أن كان الإنتاج اللغوي المكتوب يقتصر على المؤلفات الأدبية والرسائل، أصبح يظهر في ميادين مختلفة ومرتبطة بحياة الإنسان العادية، ولذلك وجب الاهتمام بالأنواع الأخرى من الإنتاج اللغوي المكتوب، تلك الأنواع التي تمثّلها النصوص الأصيلة.

٣ – الصحف والمجلاّت تطالعنا دائماً بموضوعات طريفة وموضوعات جديدة. والتجديد من عوامل الإثارة والتشويق، كما أن موضوعات الصحف هي موضوعات الساعة التي تشغل الرأي العام، والمتعلمون يهمهم ويشوقهم أن يعيشوا موضوعات واقعهم، ليشاركوا في مناقشة تلك الموضوعات واقتراح حلول لمشكلاتهم، فيحسّون أنهم ذوو شأن ومكانة في مجتمعهم (١٧).

**أطلق مفهوم النصوص الأصيلة في تعليمية اللغّات على كل نص منطوق أو مكتوب لم يوضع أساسا لتدريس اللّغة في الفصل، وإنما لتأدية وظيفة تبليغيّة إخبارية أوتعبير لغوي حقيقي**

٤ ـ النصوص الأصيلة بواقعيتها تلك تجعل المتعلم يندمج في الموضوع، ويتفاعل معه إلى حد معايشة أحداثه؛ وذلك ناتج من تقلّص الفروقات بين إحساسات المتعلم والإحساسات التي يحملها النص.

٥ – كما أنها تهيّئ المتعلم للتعامل مع نصوص أخرى خارج واقعه المدرسي، وخصوصاً أنه سوف يصطدم بعدة نماذج من النوع نفسه، مما يحفزه إلى إخضاعها لقراءته(١٨).

٦ـ يكمن دور واقعية العرض التي تتميز بها النصوص الأصيلة في كونها تساعد على الانغماس في اللغة وممارستها في أوضاعها ومواقفها الطبيعية(١٩).

٧ ـ النصوص الأصيلة بمختلف جوانبها اللسانية وغير اللسانية تعطي الأهمية للقراءة الواعية، التي تجعل المتعلم ينتبه ليس فقط للمعطيات النصية بل حتى

للمعطيات غير النصيّة، ويستفيد منها في قراءة النصوص الأخرى(٢٠).

٨ـ تستجيب تلك النوعية من النصوص للرغبة في إرضاء حاجات المتعلم، وفي العمل على آليات تتصل بالوظيفة الحقيقية للغة سواء أكانت تواصلية أم إخبارية أم تعبيرية.

٩ - تساهم أيضا في تنمية الفضول العلمي عند المتعلم وترغيبه في القراءة، حتى الأطفال تربي فيهم الفضول العلمي وحبّ الاستطلاع، والتطلّع إلى تجاوز مستوياتهم المعرفية، وتحدّي قدراتهم العقلية، وقراءة الموضوعات المخصّصة للكبار، ومن ثمة النهوض بمستوياتهم الفكرية واللغوية(٢١).

١٠ـ إذا ما اختيرت النصوص الأصيلة وفق أسس ثقافية فإنها تبعث على إثراء الرصيد الثقافي لدى المتعلم بشكل أفضل.

١١ـ تقدّم لهم فكرة عن كيفيات كتابة مختلف الوثائق، كالتقارير والطلبات والرسائل الرسمية والمقالات الصحفية.

بعد أن تكلمنا عن أهمية النصوص الأصيلة في تعليم اللغة، لابد من الإشارة إلى أن هذه النوعية من النصوص استثمرت أكثر عند الغربيين في تعليم اللغة الأجنبية، ولكن ذلك لا يمنع من استخدامها لتعليم اللغة الأم وفقاً للقواعد العلمية لذلك.

وإذا ما بحثنا نحن العرب في واقعنا اللغوي فإننا سنركز في تعليم العربية بوصفها لغة أمًا قبل تركيزنا في تعليمها على أنها لغة أجنبية تماشيًا مع المثل القائل: «فاقد الشيء لا يعطيه». ومن هذا المنطلق تتأكد أهمية النصوص الأصيلة وفاعليتها في تعليم ونشر اللغات خاصة إذا ما أدركنا أن استعمال تلك النصوص ذات المحتوى التعليمي قد خضع للتجربة، وأثبتته سرعة تعليم اللغة الفرنسية والإنجليزية والألمانية.

ومحصول الحديث أن مطلب استثمار النصوص الأصيلة ذات المحتوى التعليمي هو مطلب فرضه الواقع العربي والحاجة العالمية، و لكن إلى جانب هذا المحتوى لابد من توافر محتوانا التراثي المتمثّل خاصة في النصوص الأدبية حتى لا يتسم واقعنا التعليمي بالإفراط و لا التفريط.


المراجع

١ـ اللغة والتفسيروالتواصل، مصطفى ناصف: عالم المعرفة، الكويت، العدد ١٩٣، يناير١٩٩٥م، ص٣١١.
٢ـ قمت بمحاولة ترجمة مصطلح Textes authentiques بالنصوص الأصيلة؛ لعدم عثوري على ترجمة عربية لهذا المصطلح.
3 - Galaisson. R et Coste. D: Dictionnaire de didactique des langue, Hachett, paris p59.
4 - Eneignement delangue tra: une approche communicativ de I H.Widdowsson.
٥ـ انظر اللغة والتفسير والتواصل، ص ٩٣.
٦ـ المرجع السابق، ص٩٤.
٧ـ انظر مقال: لغة وظيفية أم تعليم وظيفي؟ الشريف بوشحدان ، مجلة الفيصل، المملكة العربية السعودية، العدد ٢٣٥، مايو ١٩٩٦م، ص ٤٥.
٨ـ انظر Cicurel, F: Lecture Interactive en langue etrangere, Hachette, 1991, p25.
٩ـ انظر، الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، عبد العليم إبراهيم، دارالمعارف، القاهرة، ط١٣، ١٩٨٤م، ص ٣٨٧.
١٠ـ علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية، بيروت، ١٩٩٨م، ص٩٤ و ٩٥.
١١ـ اللغة والتفسير والتواصل، عالم المعرفة، مصطفى ناصف، الكويت العدد ١٩٣، يناير١٩٩٥، ص ٣١٢.
١٢ـ انظر، توظيف النظرية التبليغية في تدريس النصوص بالمدارس الثانوية الجزائرية، بشير أبرير، أطروحة دكتوراه، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر،٢٠٠٠م، ص ١٥٧.
١٣ـ انظر، تعليم القراءة وفهم النصوص للكبار الجزائريين المتعلمين بلغة أجنبية، بشير أبرير، ماجستير، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، ١٩٩٠م، ص٢٥٧.
١٤ـ انظر، ديداكتيك القراءة المنهجية، محمد مكسي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ص ,٨٦
١٥ـ انظر، تدريس الأدب، محمّد حمود، دارالخطابي للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ١٩٩٣م، ص٦٨.
١٦ـ انظر، الموجه الفني، ص٣٨٧ .
١٧ـ انظر، تعليم القراءة وفهم النصوص، بشير أبرير، ص١٤٨.
١٨ـ انظر اللغة والتفسير والتواصل، ص١٥٠.
١٩ـ انظر المرجع السابق، ص١٥٠.
20 - R: Dhier a aujourdhui, la didactique Generale des langue, etrangere, etrangere Galisson; Cle international, Paris, 1980.
٢١ـ انظر، الحصيلة اللغوية (أهميتها، مصادرها، وسائل تنميتها)، أحمد محمد المعتوق، عالم المعرفة، الكويت، العدد ٢١٢، أغسطس ١٩٩٦م. ص,١٢٥.

# أضواء على تقرير التنمية الإنسانية العربية

**فاطمة السويدي**
الدوحة - قطر

**لم يشهد العالم العربي - خلال العقدين السابقين - تقريراً أكثر جدلاً من تقرير التنمية الإنسانية العربية للعام ٢٠٠٢م وذلك لعدة أسباب منها:**

*** الصراحة التامة التي طرح بها التقرير الوضع الراهن للعالم العربي.**
*** النظرة التشاؤمية للواقع العربي واحتمالاته المستقبلية.**
*** التساؤل حول دقة البيانات والمؤشرات التي استند إليها التقرير.**

ويبين التقرير أنه على الرغم من الإنجازات التي حققتها البلدان العربية على أكثر من صعيد في مضمار التنمية الإنسانية خلال العقود الثلاثة الأخيرة، تبقى السمة الغالبة على مشهد الواقع العربي الراهن هي تغلغل نواقص محددة في البنية المؤسسية العربية تعوق بناء التنمية الإنسانية، وهي كما يراها فريق التقرير:

**- نقص الحريات.**
**- نقص تمكين المرأة.**
**- نقص توظيف القدرات الإنسانية: المعرفة.**

المعرفة - عماد التنمية - هدف متحرك وحدودها في توسع مستمر وخاصة في عصر العولمة.

والبلدان العربية موضوع التقرير تواجه فجوة كبيرة في المعرفة، وللتصدي لهذا الأمر لا بد من القيام بعمل متزامن في ميادين ثلاثة هي: استيعاب المعرفة، واكتسابها، ونشرها.

أما بالنسبة لاستيعاب المعرفة ونعني به تزويد الناس بالقدرة على استخدام المعرفة بعدة طرائق، لعل أهمها






تحتل المنطقة العربية أدنى مستوى من الوصول إلى تقانات المعلومات والاتصال

التعليم، على أساس شامل عالي الجودة، مستمر. والاهتمام بالنوعية من خلال تحسين المناهج وطرائق التقييم والتدريب.

وقد تكون تكاليف تحسين نظم التعليم ضخمة، إلا أن كلفة استمرار الجهل أيضاً لا حدود لها.

## اكتساب المعرفة

اكتساب المعرفة له قيمة في حد ذاته، وهو أيضاً وسيلة مهمة لبناء قدرة الإنسان، فالمعرفة هي العنصر الرئيس في الإنتاج، وعليه فهناك تكامل مهم بين اكتساب المعرفة، والقوة الإنتاجية للمجتمع، والعكس صحيح، فإن قلة المعرفة وركود تطورها، يحكمان بضعف القدرة الإنتاجية وتضاؤل فرص التنمية.

## نشر المعرفة

لقد وسع تلاقي الاتصالات السلكية واللاسلكية والحوسبة بشكل كبير القدرة على نشر المعلومات وعلى تخفيض التكاليف، ومن شأن توسيع إمكانيات وصول الناس جميعاً بمن فيهم الفقراء إلى تقانة المعلومات والاتصالات، تيسر اكتساب المعرفة واستيعابها، وتوفير فرص لا سابق لها في التعليم.

يبين التقرير أن الضعف السياسي المؤسسي في المجتمع، وفجوة المعرفة، وقصور الحريات الإنسانية، تشكل أكثر العوائق خطورة على التنمية الإنسانية في المنطقة العربية، وأن الاستفادة من القدرات البشرية في المنطقة ضعيف نسبياً، هذا إذا أخذنا في الحسبان أن الشباب قيمة لها أهمية خاصة لتحقيق تنمية إنسانية حيوية ومستديمة في البلدان العربية إذا لم يوجد قط جيل من الشباب العربي بحجم الجيل الحالي. ويفرض هذا العدد الهائل من الشباب ونموهم المتسارع، توفير الحماية لهم ورعايتهم، فهذا أفضل استثمار للمجتمعات في المستقبل.

هذا القصور في استثمار هذه القدرات الإنسانية هو السبب وراء تركيز هذا التقرير على بناء القدرات البشرية والاستفادة منها لا سيما في ما يتصل باكتساب المعرفة.

وأهم المجالات في مجتمع المعرفة وكيفية توظيف القدرات البشرية فيه هي:

أولاً: مجال البحث والتطوير التقاني.
ثانياً: تقانات المعلومات والاتصالات.

يتبين من التقرير أن المنطقة العربية تحتل بين مناطق العالم الأخرى أدنى مستوى من الوصول إلى تقانات المعلومات والاتصالات، حتى إنها تأتي بعد إفريقية جنوب الصحراء وأشد من ذلك، فإن البلدان العربية، ما خلا الإمارات والكويت، تبدو متساوية في فقرها في مجال تقانات المعلومات والاتصالات بغض النظر عن مستواها على مقياس التنمية البشرية.

## أولاً: مجال البحث والتطوير التقاني

تقوم علاقة قوية بين نظم البحث ومنظومة التعليم، حيث أن مرحلة التعليم العالي هي المصدر الأساس لإنتاج الكفاءات التي تعمل في مجال البحث والتطوير، ومستوى التعليم العالي ينعكس سلبًا أو إيجاباً على مستوى البحث والتطوير التقاني.

أما أهم سماته، فتظهر الدراسات ما يلي:

- هناك علاقة بين أزمة عملية التنمية من ناحية، والسياسات العلمية والتقانية غير الملائمة من ناحية أخرى.

فقد تم صرف ٣ آلاف بليون دولار عبر السنوات العشرين الماضية، ولكن لم يسفر إلا عن عوائد قليلة على دخل الفرد.

- تمويل البحث في العالم العربي من أكثر المستويات انخفاضاً في العالم.

- النهج الذي تتبناه الحكومات العربية بشأن اكتساب التقانة عبر التعاقدات الأجنبية لإنشاء المشروع بالكامل (تسليم المفتاح) والاعتماد عليها، لم يسفر إلا عن تعميق التبعية التقانية والاقتصادية. ولم يوفر سوى فرص قليلة للعمل، ولم تستفد الدول العربية من عولمة التعاقد الخارجي في نقل التقانة إلى المتعاقدين الفرعيين كما فعلت آسيا وأمريكا اللاتينية.

## نحو نسق فعال للبحث العلمي والتطوير التقاني

إن تحقيق نسق فعال للبحث والتطوير في المجتمعات العربية تتطلب التزاماً جاداً من متخذي القرار، واحتراماً حقيقياً للعلم والمعرفة من جانب أفراد المجتمع، ورغبة صادقة في استمرار مواكبة التقدم العلمي.

ولذلك لا بد من خلق بيئة ممكنة من البحث العلمي والتطوير التقاني تساهم في تنمية العمل في هذه المجالات وهي:

**البيئة الاجتماعية:**

- موقف المجتمع والأفراد تجاه الإبداع والابتكار والتغيير والإصلاح هي عناصر أساسية للتنمية والتقدم العلمي، ويمكن التأثير في هذا الموقف من خلال تفعيل السياسات التي من شأنها أن تغير من آليات النظام الاجتماعي.

- توفير الحوافز للبحث والابتكار بتوفير فرص حقيقية للربح المادي والتميز في المكانة الاجتماعية، وإبراز المبدعين كقدوة ونماذج يحتذى بها.

- تشجيع روح المبادرة والمنافسة وتعزيز القدرات في إطار داخل وخارج النظام التعليمي.

- ثقافة البحث والتطوير تنشأ وتتطور في وجود بنية اجتماعية تثمّن وتقدر مبدأ التجربة والخطأ، تشجع المثابرة وتحمل قسوة خطوات عملية الاكتشاف والإبداع بما فيها المراحل الفاشلة التي بدونها لا يمكن الوصول إلى النجاح.

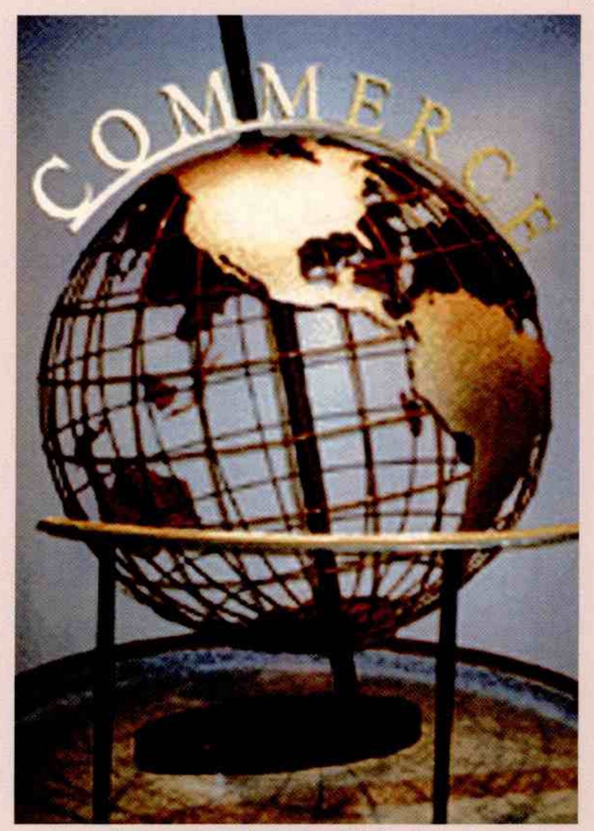
**البيئة العلمية:**

- منهجية التجربة والاختيار:

لم يوفر المجتمع الأكاديمي الاهتمام اللازم والإمكانيات الكافية لتعزيز منهج البحث العلمي وطرائقه فيما يخص تطوير أساليب الاستدلال والاستقراء والإحصاء التي تعد من الأدوات المهمة لصياغة التجارب وتحليل نتائجها.

- الانفتاح على المنظومة العالمية للبحث وتوسيع دائرة المعرفة والاطلاع:

**العالم يواجه على جبهة اللغة موقفًا مصيريًا، إما أن يتمسك بتعدد لغاته، وإما أن تتوحد لغات العالم في لغة قياسية واحدة، وتكون قد حلت بالبشرية الطامة الكبرى**



احتدام المنافسة في الأسواق العالمية وضرورة توجيه الاستثمارات للبحث والتطوير

يعاني طلبة العلم العرب من عدم توافر المصادر الحديثة من المراجع والدوريات نتيجة محدودية الميزانيات المخصصة لذلك في الجامعات والمكتبات العامة، وقد ساهمت مؤخراً شبكة الإنترنت في تذليل الصعاب لمعظم المؤسسات الأكاديمية في المنطقة.

الإطار العالمي لتقييم الصلاحية:

لم يعد البحث العلمي قاصراً على بلد أو منطقة بذاتها، بل أصبح نشاطاً يقوده المجتمع الدولي دون حدود أو حواجز. وتتوافر أدوات التحكيم وتقييم الصلاحية من خلال تبادل البرامج والمجالس الاستشارية، ومجالس البحوث المشتركة.

**البيئة التجارية:**

إن احتدام المنافسة في الأسواق العالمية الناجم عن تطبيق اتفاقية منظمة التجارة العالمية، والتطورات السريعة والمتلاحقة في وسائل الاتصال العالمية، يتطلب توجيه استثمارات متزايدة للبحث والتطوير من قبل القطاع الخاص، وذلك لتقليل الفجوة بين المنطقة والعالم فيما يخص الاستثمارات في مجالات البحث العلمي، والتي من أهم أسبابها البيئة الاقتصادية المغلقة التي عاشتها المنطقة لفترات طويلة.

**البيئة التنظيمية والتشريع والتمويل:**

تسهم التشريعات المناسبة والمبادرات الوطنية والحوافز المادية في تهيئة بيئة حافزة إلى البحث والتطوير داخل المنطقة. ولكن نظراً لضعف البنية التشريعية في هذا الخصوص في المنطقة العربية، فإن الحاجة ماسة إلى مراجعة وتطوير التشريعات المشجعة على البحث العلمي، وبخاصة تلك المتعلقة بالضرائب وحماية الملكية الفكرية، لتهيئة المناخ للوحدات الاقتصادية ومجتمع الأعمال العام للاستثمار في البحث والتطوير.

## موضوعات البحث والتطوير للمنطقة العربية

يحتاج برنامج أعمال البحث والتطوير في المنطقة إلى تحديد معالمه في إطار الموارد المتاحة، وتحديد مجالات التركيز البحثي بحيث تشتمل على الموضوعات الأساسية ذات الأولوية للمنطقة التي يمكن أن تشمل ما يلي:

**- التركيز على مراكز التميز المحلية:**

إن النجاح على الصعيد العالمي يجب أن يبدأ من خلال نجاح محلي، ومن هنا تأتي أهمية التركيز على احتياجات السوق المحلي، فقد نجحت عدة تجارب من خلال ذلك مثل (إنتاج المورانو/ إيطاليا، أفران الصلب الصغيرة/كوريا، تطوير هندسة البرمجيات/الهند - الساعات والمجسات/سويسرا).

**التركيز على مجالات التميز:**

يجب أن تستهدف الدول العربية الميادين التي يمكن أن تبرز فيها كفاءة متميزة وقادرة على الارتقاء، وأن تركز جهودها على الميادين الحيوية لاقتصاداتها كالزراعة والمياه، والطاقة الشمسية، والصناعات البتروكيميائية والفوسفاتية. ويمكن الاستناد على ما أنجز في بعض الدول العربية؛ مثل دول الخليج في ميدان تحلية المياه، وتونس والمغرب في الصناعات الفوسفاتية، السعودية في

الصناعات البتروكيميائية.

يجب أن نبني على الخبرة المكتسبة، والمعرفة المتراكمة لتفعيل وتحسين نسق البحث والتطوير.

**التركيز على المجالات التي تتطلب كثافة العنصر البشري أكثر من كثافة رأس المال:**

إن الميزة التنافسية للمنطقة تكمن أساساً في توافر العنصر البشري ذي الكفاءة العالية ويفتقر إلى رأس المال الموجه للبحث، وهذا يتطلب تركيزاً متزايداً على موضوعات البحث والتطوير التي تتطلب رأس مال محدوداً، ولكنها تتطلب موارد بشرية مكثفة.

**استثمار المجتمع العالمي:**

يمكن الاستفادة من تجارب مؤسسات حكومية وإقليمية وعالمية من خلال مشاركة مؤسسات المنطقة العربية في هذه الشبكات الدولية، مثل البرنامج الأمريكي للبحوث المتقدمة، والاتحاد الدولي للاتصالات التابع للأمم المتحدة، وتحاول هذه المؤسسات العربية أن يكون لها مساهمة ضمن هذه الكيانات.

## ثانياً: تقانات المعلومات والاتصالات والفجوة الرقمية

نشأ مصطلح الفجوة الرقمية في الولايات المتحدة الأمريكية، وهو يشير إلى الفروق بين من يمتلك المعلومة ومن يفتقدها في عالم تشكل المعرفة الدعامة الرئيسة فيه، غير أن وفرة المعلومات لا تعني بالضرورة توافر المعرفة، لقد كانت الشكوى في الماضي من الشح المعلوماتي، والآن باتت المشكلة هي الإفراط المعلوماتي، وهي مشكلة لا تقل حدة عن الأولى، إذا لم يتم تنظيمها وترشيحها في صورة مفاهيم ومعارف يمكن تطبيقها عملياً في حل المشكلات.

المعرفة الحقة هي تلك التي تؤهل البشر لمواجهة عالم شديد التعقيد، سريع التغيّر، ولا بد بهذا الصدد من التخلص من الوهم الزائف بتوافر المعرفة للجميع من خلال الإنترنت، فالمعرفة ذات القيمة الحقيقية محاطة بأسيجة من السرية، ويتم السيطرة عليها بكل الوسائل الفنية والقانونية والإدارية الممكنة.

## الفجوة الرقمية: قطرياً

من نافلة القول أن نجاح المنطقة العربية في تضييق الفجوة عالمياً يتوقف بصورة أساسية على نجاحها في تضييق الفجوة إقليمياً.

ومن العوامل التي تؤثر في اتساع الفجوة الرقمية داخل القطر العربي الواحد:

- عامل اللغة حيث أن معظم المعلومات المتاحة حالياً على الإنترنت باللغة الإنجليزية التي لا تتقنها الأغلبية العظمى من السكان.
- غياب برامج التعليم التصحيحي وإعادة تأهيل الكبار.
- العامل الثقافي فيما يخص علاقة الرجل بالمرأة، وما تتيحه تقانات المعلومات والإنترنت من فرص مشاركة المرأة في الأعمال من المنزل، إلا أن هذه الفرص غالباً ما تتبدد أمام دعوى تفشي البطالة بين الذكور.

## الفجوة اللغوية

تعكس نبرة التشاؤم مدى القلق على مصير لغات العالم في عصر المعلومات فتظهر مصطلحات الفجوة اللغوية، وانقراض اللغات، والعنصرية اللغوية، وموت اللغة في عصر المعلومات.



وفرة المعلومات لا تعني توافر المعرفة

لقد بات واضحاً أن العالم يواجه على جبهة اللغة موقفاً مصيرياً، إما أن يتمسك بتعدد لغاته، وما ينطوي على ذلك من صعوبة التواصل، وإعاقة تبادل المعلومات والمعارف، وإما أن تتوحد لغات العالم في لغة قياسية واحدة، الإنجليزية في أغلب الظن، وتكون قد حلت بالبشرية الطامة الكبرى على حد تعبير مدير منظمة اليونسكو.

**المعرفة الحقة هي تلك التي تؤهل البشر لمواجهة عالم شديد التعقيد، سريع التغير، ولا بد بهذا الصدد من التخلص من الوهم الزائف بتوافر المعرفة للجميع من خلال الإنترنت**

أما ما يخص اللغة العربية فهي تواجه موقفاً مصيرياً خاصاً بها:

إما أن تصبح أداة البلدان العربية للحاق بالركب المعلوماتي، وإما أن تتسع الفجوة التي تفصل بينها وبين لغات الدول المتقدمة وبخاصة الإنجليزية.

## استخدام المعلومات والاتصالات في التعليم والتدريب

وضعت السعودية والإمارات ومصر والأردن خططاً طموحة لإدخال الكمبيوتر في مراحل التعليم المختلفة، إلا أن هذه الخطط تواجه عدة عوائق أساسية من أهمها:

- عدم التأهيل الكافي للمدرسين.
- نقص شديد في البرمجيات التعليمية باللغة العربية.
- لم يتم تطوير المنهجيات والمناهج بحيث تتلاءم مع تنوع التعليم والتعلم (التعلم عن بعد، التعلم بالمشاركة..).
- عجز الإدارة المدرسية عن إدارة تقانات التعليم الحديثة.

## سبل ضمان إتاحة تقانات المعلومات والاتصال للجميع

يتعين بلورة سياسة قوية للمعلومات على مستوى الوطن العربي تقوم على الأسس الاستراتيجية التالية:

- التوجه فوق القطاعي، بمعنى أن تتجاوز السياسة على الاتجاه المتصاعد لدمج قطاعات الاتصالات والإعلام والمعلومات.
- تأكيد مبدأ التكامل المعلوماتي، خاصة فيما يتعلق بمبدأ المشاركة في الموارد.
- المدخل الثقافي لصناعة المعلومات، مع اعتبار معالجة اللغة العربية حاسوبياً في نقطة انطلاق أساسية لهذا المدخل.
- إعطاء أولوية لاستغلال تقانات المعلومات والاتصال في مجال التعليم والتدريب، والصحة العامة وبناء البنية التحتية لصناعة ثقافية عربية.
- التنسيق بين البلدان العربية فيما يخص نظم الاتصالات ضماناً للتوافق، وإمكان إقامة حلقات الربط بين الأنظمة المختلفة.
- إعادة النظر في تعرفة خدمات الاتصال بحيث تصبح متاحة للجميع بغض النظر عن المقدرة المالية.
- تنمية روح المشاركة والشعور بالمسؤولية الاجتماعية في عمليات التنمية المعلوماتية وتدريب المنظمات غير الحكومية على استغلال شبكة الإنترنت في حصد الآراء وتنسيق المواقف عبر هذه المواقع لكي تصبح بمثابة لجان تقصي حقائق شعبية تكشف مظاهر الخلل والفساد ومشاريع التنمية المتعثرة.

## تنمية الموارد البشرية

يتعين القيام بدراسة وافية لتجربة إدخال الحاسوب في المدارس العربية، وتنمية كوادر متخصصة يختارون من المعلمين أنفسهم، ليتم تأهيلهم كمعلمين لمعلمي الكمبيوتر.

ويتعين الاهتمام بتطوير برمجيات التعليم باللغة العربية، وبتدريب الكبار وإعادة تأهيلهم، وربط برامجهم بالمطالب الفعلية لسوق العمل.

وأخيراً، لابد من نشر وعي المعلوماتية عبر أجهزة الإعلام الجماهيري، وذلك باستحداث وسائل مبتكرة لنشر الوعي بصورة تتجاوز أسلوب التلقين، وذلك بربط تقانات المعلومات والاتصال بمشكلات فعلية تختار من تلك التي يكتظ بها الواقع العربي.

إن فجوة المعرفة، وليس فجوة الدخل، أصبحت تعد المحدد الرئيس لقدرات الدول في عالم اليوم.

# أمريكا بين سطوة القوة وغرور الهيمنة

**بركات محمد مراد**

القاهرة - مصر

**«تشبه البراءة مجذومًا أبكم أضاع جرسه، يطوف العالم، ولا يقصد ضررًا لأحد»(١)**

جرهام جرين.

**عندما خسرت الولايات المتحدة الأمريكية مقعدها في لجنة حقوق الإنسان التابعة لهيئة الأمم المتحدة في جنيف في مطلع مايو/أيار من العام ٢٠٠١م، كان الردّ الفوري في نيويورك وواشنطن إحساسًا بالدهشة الحقيقية. نظر الناس المهمون إلى هواتفهم الخلوية بتساؤل، ولم يعرفوا هل ما قد سمعوه إشاعة خاطئة أو نكتة حمقاء. كيف يمكن لمثل هذه الأمور أن تحدث؟ وأين ذهب التعقل؟**

كان من المعروف بكل تأكيد أن أمريكا أوجدت مفهوم حقوق الإنسان، مسرعة دائمًا إلى إنقاذ الأطفال المفقودين وانتشال الديمقراطيات الفاشلة، ولم يحدث قط أن استبعدت الولايات المتحدة من غرف لجنة الضمير خلال ٥٤ عامًا من وجودها. ولم يسبق أن حدث في الذاكرة الحية أن تتعرض القوة العظمى الوحيدة في العالم إلى مثل هذه السخرية غير المستحقة على أيدي أتباعها الجاحدين.

## سخريات وتجهمات

حدثت الإيماءة الجارحة - اقتراع تنظيمي في المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة - في يوم خميس في سويسرا، ومع حلول الليل على الشاطئ الأقرب للمحيط الأطلسي هرع نصاب تم جمعه على عجل من أصحاب الرأي الأمريكي الذهبي «صحافيون بارزون وسياسيون مسؤولون ومؤرخون جديرون بالثقة» إلى الصحافة أو التلفاز حاملين معهم تفسيرات لما حدث.

ولذلك يذكر لويس .هـ. لافام Lewis H.lapham رئيس تحرير مجلة «هاربرز»(٢)، أنه عبر ٣٠ ثانية من البث الإذاعي أو التلفازي أو عبر فقرتين على صفحة، تضخمت تعبيرات عدم التصديق الأولية إلى ضجة من سخريات ثقيلة، وتجهمات مظلمة، ومظاهر ساخطة، لغرور مصاب، وفضيلة مجروحة، وقدرة كلية مرتبكة. أليس هناك من حد لوقاحة العالم وحقده؟

هل كان هؤلاء القوم بلهاء، أو مجرد أناس غير عقلاء؟ هل نسي هؤلاء أنهم يدينون بحرية الجلوس والتحدث في توافه الأمور في مطاعم متضخمة الأسعار إلى الكرم الأمريكي، وإلى الأموال الأمريكية، وإلى القوات الجوية الأمريكية؟

تعوّد الأميرالايات الأمريكيون تلقي الإهانات من



أرنولد شواندينجز والنموذج الأمريكي

الجزائريين ومن فيدل كاسترو، ولكن ما وجدوه غير مفهوم أبداً، هو الخيانة من الأوربيين مطلقي الصلاحية الذين كانوا يعدون أصدقاءنا. تعيد اللجنة تنظيم عضويتها سنوياً بطريقة تحصل من خلالها كتلة الديمقراطيات الغربية على ثلاثة من المقاعد المتاحة، وجرت العادة أن يحتفظ بأحد هذه المقاعد للولايات المتحدة إذا ما جاء دورها لإعادة الانتخاب. ولكن شيئًا ما جرى بشكل خاطئ بالنسبة إلى حق الملوك هذا العام، فعندما تم فرز نتائج الاقتراع السري لم تحصل الولايات المتحدة إلا على ٢٩ صوتاً من أصل ٥٣ صوتاً محتملاً، بالمقابل حصلت فرنسا على ٥٢ صوتاً، والنمسا على ٤١ صوتاً، والسويد على ٣٢ صوتاً. قبل التصويت قدم ما لا يقل عن ٤٣ بلداً تأكيدات خطية لوزير الخارجية كولن باول تعبر عن دعم هذه البلدان لإعادة انتخاب الولايات المتحدة، حولت النتيجة ١٤ من هذه التأكيدات إلى قطع ورق عديم القيمة، وقد كان هذا منافياً للعقل، ولا يجوز ذكره ولا يمكن احتماله.

## تعليقات

أما تعليقات الصحف ووسائل الإعلام الأمريكية فكانت:

* «الطغاة يتولون السلطة» - ترويسة افتتاحية وول ستريت جورنال التي أشارت إلى أن الولايات المتحدة قد طردت من لجنة رحّبت بين أعضائها بممثلين عن دول من العالم الثالث ... بلدان لا يعرف في الولايات المتحدة عنها بأنها تعير أي اهتمام لحقوق الإنسان.

* «نادي السفاحين .. بالوعة من الوحشية والقمع» - تصوير للجنة حقوق الإنسان في افتتاحية لصحيفة نيويورك بوست New York Post تقترح أن يبعد مقر هيئة الأمم المتحدة إلى خارج جزيرة منهاتن.

* «هجوم دبلوماسي غادر» - يوضح وليام سافير William Safire في صحيفة نيويورك تايمز New York Times أن التصويت في الأمم المتحدة كان مؤامرة «قادتها الصين الشيوعية وكوبا الشيوعية، مع تواطؤ الدبلوماسيين الفرنسيين الذين تملقوا الدكتاتوريين الأفارقة وغيرهم.

وظهر غرض هذه المؤامرة كمحاولة لمعاقبة الولايات المتحدة بطعنة غادرة في الظهر»، من قبل مجموعة من المعارضين لها على انحيازها إلى جانب إسرائيل في صراعها مع الفلسطينيين.

* «حقبة جديدة من المعاداة الرسمية للأمركة _Anti Americamism يعزو مايكل كيلي Michael Kelly في صحيفة الواشنطن بوست Washington Post فقدان أمريكا لمقعدها في اللجنة إلى الحقد والاستياء الذي يضمره الأعضاء الأوربيون «لأن الطبقات الحاكمة في أوربا لن تسامحنا أبدًا على تشكيل عالم لا تسيطر فيه على أي شيء سوى على حرفيي الأجبان» (٣).

إن الرفض في جنيف لم يكن غير مسوغ تمامًا، فقد كانت الولايات المتحدة خلال الأعوام الأخيرة بطيئة في تسديد التزاماتها المالية لهيئة الأمم المتحدة «وصلت المديونية حاليًا إلى ٣،١ بليون دولار أمريكي»، واتخذت موقفًا معارضًا لقائمة طويلة من المبادرات السياسية التي اقترحت باسم حقوق الإنسان، من بينها بروتوكول كيوتو Kyoto Protocol الذي يهدف إلى تحديد حجم الانبعاثات من غاز ثاني أكسيد الكربون في الغلاف الجوي، والمعاهدة التي تهدف إلى إنشاء محكمة جنائية دولية.

ولا أدل على سقوط ورقة التوت الأخيرة، التي كانت تستر بها أمريكا من استعراض الأحداث الأخيرة التي وقعت، وما زالت أصداءها تتوالى في تداخل مريع مع الوقائع الجديدة، في عالم الهيمنة والسيطرة الأمريكية. لقد أعلن بوش حربه الصليبية من أجل «حرية دائمة»، وقصف أفغانستان، ثم وظف قتلته «تحالف الشمال» عديمي المصداقية لتدمير طالبان، وهاجم بعدها كهوف بن لادن وقتل مئات المقاتلين العرب الأفغان والعرب بالإضافة إلى مئات آخرين أعدموا في قلعة مزار الشريف من قبل الهجوم القمعي الذي قاده التحالف البريطاني الأمريكي وتحالف الشمال. (٤).

**السيد الكبير الحجم عادة يتسبب في نهاية نفسه. فالسادة أصحاب الترتيب الثاني والثالث والرابع سوف يتكتلون ضده، وسوف يشكلون تحالفات مضادة له ويرسمون معالم انهياره**

إنتاج شريط ڤيديو «بن لادن» ساعد على التغطية على واقع اختفاء الشرير، كما ساعد على محو أشياء وإبعاد أشياء أخرى، ربما يمكننا أن ننسى أن الضربات الأمريكية قتلت الآن من الأفغان الأبرياء أكثر مما قتل خاطفو الطائرات من الغربيين وغيرهم في مركز التجارة العالمي حسب إحصاء قام به أستاذ في جامعة شيكاغو، كما لا يمكن أن ننسى أن الملا عمر اختفى هو الآخر، ويمكننا أن نغمض عيوننا بالتأكيد عن اكتساح ممثلي قتلة تحالف الشمال لحكومة كابل الجديدة التي تلقى دعم الأمم المتحدة والحكومات الغربية.

ولذلك يذكر الباحث «روبرت فيسك» (٥) أن قوات «السلام» تحت القيادة البريطانية تعتقد أن عليها حماية قوافل الإغاثة من اعتداءات قطاع الطرق ومنشقي طالبان، ولكن الحقيقة أن عليها أن تقاتل مافيا تحالف الشمال وعرّابي تجارة المخدرات، وأمراء الحرب، بالإضافة إلى فرق حرب العصابات التي سترسل من قبل الناجين من أتباع بن لادن.

وإذا لم تفعل طالبان أي شيء فإنها أمنت طرق أفغانستان وقراها بالنسبة إلى الأفغان والأجانب على حد سواء، ولكن اليوم عليك أن تقود سيارتك من كابل إلى جلال آباد وفرائصك ترتعد من الخوف. والظاهر أن سي. أي. إيه. ستتركنا ندفع الثمن لمجرمي تحالف الشمال مقابل حربهم في أفغانستان. ومن بين الحقائق التي يتكتم عليها المبالغ الخيالية التي دفعت لزعماء الميليشيات لإقناعهم بالقتال لمصلحة أمريكا.

ويؤكد الباحث «روبرت فيسك» أن «الخبر المفرح بالنسبة إلينا أن الضحايا المدنيين لقاذفات بـ ٥٢ سيبقون مجهولين بعد أن دفنوا بعيدًا عن الأضواء، وهناك نحو ٣ آلاف و ٧٠٠ منهم، من دون حساب القتلى من أتباع بن لادن وطالبان تقطعت أجسادهم إلى أشلاء في حربنا من أجل الحضارة !!».

كل هذا قد حدث على الرغم من أن افتراض مسؤولية بن لادن كما تطرحه الإدارة الأمريكية، ويطرحه معها، أو

بالنيابة عنها، رئيس الوزراء البريطاني هو باعتراف أصحاب الشأن أنفسهم لا يستند إلى أي دليل يمكن أن تأخذ به المحاكم في بلادهم، وهو افتراض لا يسوغه على الساحة الإعلامية، إلا حماقة زعيم «القاعدة» الذي بلع الطعم، وأخذ يطلق هو وجماعته الحمقى من حوله، تصريحات نارية مجانية، متصورين ببداوة ساذجة - لا يحسدون عليها! - أنهم بذلك إنما يلقون الرعب في قلب الإدارة الأمريكية.

ولذلك نحن نتفق مع الكاتب حازم حسني(٦) على أن الأمر كله إذن يبدو مجرد انتهازية سياسية من جانب الولايات المتحدة الأمريكية، ومن جانب بريطانيا التي ضاعت منها الإمبراطورية، وغاب عنها مع الإمبراطورية كل جلال الوقار البريطاني، وكل كبرياء الأمم صاحبة التاريخ! هذه الانتهازية السياسية عبر عنها رئيس الوزراء البريطاني توني بلير أصدق تعبير في ثنايا خطابه «الأخلاقي» أمام المؤتمر السنوي لحزب العمال البريطاني الذي عقد بمدينة «برايطون» الساحلية جنوب إنجلترا في الثاني من أكتوبر/تشرين الأول عام ٢٠٠١م حيث قال نصًا: «هذه لحظة يجب أن نمسك بها، فقد ارتج منظار العجائب، وقطع الأشكال، والألوان فيه هي الآن في حركة تغير متواصل وعما قريب ستستقر هذه القطع على وضع جديد، ولكن قبل أن تستقر قطع المنظار هذه على وضعها الجديد، دعونا نعد ترتيب هذا العالم الذي يحيط بنا».

وهكذا لم نعد نشاهد الآن إلا سلسلة من التحقيقات والأدلة الملفقة(٧) التي يريد أصحابها إبعاد الأنظار عن رؤية الفاعل الحقيقي لجريمة الحادي عشر من سبتمبر بعيداً عن «قاعدة» الحمقى الذين انتشوا زهواً، حين ألصقها بهم الغرب الأمريكي! ومن ثم تحتجب عن الرؤية حركة الأشكال والألوان، داخل منظار العجائب، الذي تتشكل داخله صورة العالم الذي يريده الغرب الأمريكي أن يكون عالمه وحده لا شريك له فيه !!

## انتصار

من هنا لم يكن غريباً أن مراكز القرار فوجئت بصدور الكتاب الذي أصدره «فرنسيس فوكوياما» (نهاية التاريخ وخاتمة البشر) الذي قال فيه ما خلاصته: «إن النظام الليبرالي هو أقصى ما يمكن أن يبلغه المجتمع السياسي، فالديمقراطية الليبرالية انتصرت ولن تنتظر الجديد بعد الآن».

فهذا القول، وإن كان يدعو إلى الفخر والزهو ببلوغ النظام الرأسمالي الحر انتصاره في الحرب الباردة بعد انهيار الماركسية، فإن هذا الطرح قد لا يفرح مؤسسات صناعة القرار في الغرب التي يهمها افتعال الصراع وافتراض الصدام القادم. وهذا ما أتت به أطروحة «صدام الحضارات» للبروفيسور هنتنجتون في عام ١٩٩٣م.


أيزنهاور

والأخطر في أطروحة هنتنجتون، هو تلك الرؤية الأحادية للاختلاف، فهو يرى أن الاختلاف الثقافي دليل الانقسام والتصارع، وهذه - يا للأسف - نظرة شمولية يفترض ألا تقال من الغرب الديمقراطي العقلاني، بحكم أن طرحه الذي يرفعه يؤكد أهمية التعددية والاختلاف والتنوع بين الحضارات الإنسانية، وإذا ما نظرنا نظرة فاحصة إلى تاريخ الحضارات ونشأتها وجدنا أن التعدد والاختلاف سمة عامة في أغلب الحضارات الإنسانية ما عدا محطات قليلة في فترات الانحطاط والتراجع.

## صراع تاريخي

ولكن هنتنجتون لا ينظر هذه النظرة الواسعة إلى الحضارات والثقافات الإنسانية، بحكم رؤيته الأحادية وأحكامه المسبقة أو المدفونة، وإن كان أعطاها البعد الإستراتيجي والمستقبلي، واستنتاج هذه الفرضية الشمولية لصدام الحضارات والهويات واختلافها الفارق وانقسام الثقافات وتقاطعها. ولا يمكننا هنا أن ننسى الدوافع الإيديولوجية للغرب الأمريكي، فهنتنجتون يقول: «إن الإسلام - في جوهره - ليس ديمقراطياً». ويقول مارتن أنديك

: «إن وجود حكومة على النمط الغربي في العالم العربي يعزز القوى السياسية المعادية للغرب». وعدّ برنارد لويس أستاذ هنتنجتون أن الصراع مع الإسلام هو صراع حضارات، وأنه صراع تاريخي مؤكد مع التراث اليهودي والمسيحي للحضارة الغربية ومع تراثها العلماني وتوسعها معاً.

ويقول مورتيمور زوكرمان: « إننا في الخط الأمامي لصراع يعود تاريخه إلى مئات السنين فنحن القضية الرئيسة في طريق رغبة المتطرفين لإلقاء القيم الغربية في البحر مثلما فعلوا ذات يوم مع الصليبيين»(٨)، صحيح أن صناع القرار في الغرب يقولون: «إن الإسلام دين التسامح والسلام»، ولكن هذا القول لا يستقيم ودرجة العداء في وسائل الإعلام والمؤسسات الإستراتيجية في الغرب، على الرغم من أن بعض هؤلاء الذين يتهمون بالإرهاب الآن لا يمثلون الغالبية في المجتمعات العربية المسلمة، إلا أن بعض الدوائر المؤثرة في الغرب ومنذ عدة عقود، أعطتهم دعاية أكثر مما ينبغي، وسلطت عليهم الأضواء بطريقة تبعث على الاستغراب، وهذا ربما يؤكد ما تطرحه بعض القوى في الغرب في إطار البحث عن عدو وإخراجه إلى السطح، ومن ثم لتثبت نظرية العدو المفترض كما جاء في أطروحة «صدام الحضارات»، ثم يأتي بعد ذلك الحديث عن الخطر الإسلامي والتهديد المقبل للحضارة الغربية، وهذا ما تبرزه الأحداث المتلاحقة والمتتابعة منذ وقوع الزلزال السوفييتي وتداعياته في القرن الماضي حتى وقت التفجيرات الإرهابية في نيويورك وواشنطن(٩).

ولذلك يطالب المسؤلون والمفكرون الأمريكيون باتخاذ خطوات جادة لمنع المهاجرين والزائرين إلى أمريكا من المسلمين، وعدّ الموجودين منهم خطراً، ويناشد هؤلاء أمريكا التحرك لاحتواء العقيدة الدينية الجديدة كما فعل الاتحاد السوفيتي من قبل، كما طالبوا بتدعيم العلمانية لمنع خطر الإسلام، ورأوا أن الديمقراطية في العالم العربي والإسلامي ترف وخطر لأنها ستأتي بالإسلام.

ولذلك فالأمريكيون يرون أن الصراع مع العالم الإسلامي جزء من مواجهة أوسع بين الغرب الديمقراطي وأصدقائه العلمانيين من ناحية والتعسف الشرقي من ناحية أخرى. إن مقولة نهاية التاريخ التي أطلقها فرنسيس فوكوياما الأمريكي الجنسية والياباني الأصل، لصنع نقطة انتهاء الكلام حول التجربة السوفييتية مؤمناً التأمين النهائي على انتصار الرأسمالية، ومن ثم يعلن بزوغ النظام العالمي الجديد، وقد أطلقت هذه المقولة لتعمي أمريكا على جرائمها في الشرق الأوسط، وتدمير العراق والكويت معاً من ناحية، وتصريف سلاحها الراكد في سوقها الصناعية الكبرى من ناحية أخرى، ولتتوسع في ضم دول أوربا الشرقية إلى حلف الأطلسي، هذه الدول التي وجدت نفسها وحيدة وبلا سند بعد تفكك الاتحاد السوفييتي، وأنه لا ملجأ ولا ملاذ لها بعد نهاية التاريخ والحرب الباردة إلا الحضن الأمريكي الخائف على رعاياه من التشرذم أو عودة الذئب السوفييتي لالتهامها مرة أخرى!

نهاية التاريخ نظرية لتخويف الدول الضعيفة في الشرق لتظل على ولائها للحليف الأمريكي الراعي الرسمي، وتقبل ما يعرضه عليها في اقتصادها

## غطاء جميل

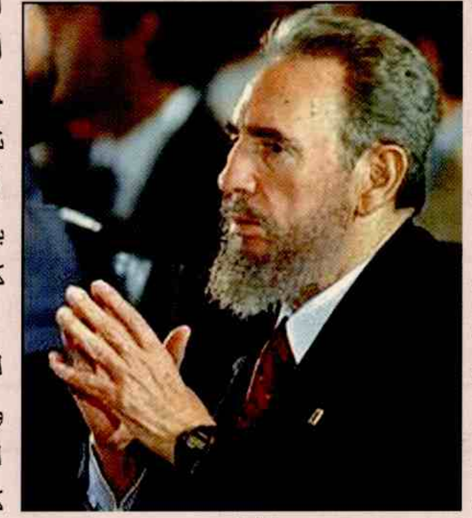
ولتفادي هذه الحالة المرعبة كانت «نهاية التاريخ» هي الغطاء الجميل البراق الذي يبرز كل شيء من تفكيك سلاح السوفييت النووي إلى ضرب يوغسلافيا، إلى التخلي عن إعادة السلم إلى البلقان وتركه للحروب الداخلية، كما كانت «نهاية التاريخ» هي النظرية لتخويف الدول الضعيفة في الشرق لتظل على ولائها للحليف الأمريكي الراعي الرسمي وتقبل ما يعرضه عليها في اقتصادها وتفكيك مجتمعها بتحرير التجارة والسوق الحرة، وليصبح أيضًا ستيفن سيجال، وأرنولد شواندينجز، وخيانات بروس ويليس ديمي مور، وطلاق توم كروز من الجميلة نيكول كيدمان هي نماذجنا وصانعة قيمنا ومالئة مجالس سمرنا.

والمقولة الثانية في طريق التخويف بالنهايات هي مقولة «صدام الحضارات» وهذه كانت مثل عصا موسى التي لمّت في جوفها كل المقولات، وليتم بناءً عليها تقسيم العالم إلى دول إرهابية همجية وأخرى متحضرة تعمل لمصلحة البشرية، وانظر من ستختار فبدل الخطر الشيوعي «الأحمر» ستنشأ نهايات أخرى من جراء صدام الحضارات الغربية لتحصره مع دول الشرق الهمجية الإرهابية «الخضراء»، وتحت هذه المقولة يظل العداء مسوغًا تجاه إيران وأفغانستان وباكستان والعراق.

إن التخوفات الكامنة بهذا الصدد ترى أن الأسباب الدافعة للصدام هو نحو الحضارة المعاصرة نتيجة للدور المزدوج للغرب، فعلى الرغم من أن الغرب في أوج قوته فهو يواجه حضارات ليست غربية في مجال التكنولوجيا الحديثة، هذه الرؤية التي لا تطيق الآخر، أو تقبل الاختلاف معه، رؤية أحادية في العقلية الأكاديمية في الغرب، حيث تضع الخطط والإستراتيجيات للسياسيين والقادة في الغرب بطريقة غير عادلة، لكنها تضع ما ينبغي أن يكون عليه الغرب من المكانة وفق تلك المصالح والرغبات ولو تم التعسف والقمع والهيمنة في الإستراتيجية، وإلا ماذا تعني الإشارة إلى أن الغرب سيواجه حضارات ترغب في تشكيل العالم، وعلى الغرب ألا ينام قرير العين على طرح «نهاية التاريخ وخاتمة البشر» إذ إن تلك النظرة تستعدي الآخر وتضع التصادم قبل الحوار، وتقدم اختلال الموازين في تعاملها مع الحضارات والهويات الأخرى(١٠).

## أناس مختلفون

ليست أمريكا مجرد مواطن عالمي، إنها السلطة المهيمنة على العالم، أكثر هيمنة من أي قوة أخرى منذ الرومان، فإن أمريكا في وضع يؤهلها لإعادة تشكيل المعايير وتغيير التوقعات وخلق حقائق جديدة. لم يعد الأمريكيون اليوم هم نفس الناس الذين نزلوا على شاطئ أوماها Beach Omaha (١١)، في يونيو/حزيران عام ١٩٤٤م، حتى إن كاتب عمود من صحيفة لوموند Le Monde تساءل عما حدث للأمريكيين المحبين للحرية في الأغنية والقصة، فهم غير مثقفين بشكل يُرثى له ووقحون وساذجون أيضًا، ولكنهم كرماء إلى حد الإفراط، وصادقون في إيمانهم بأخيهم الإنسان؟


كاسترو

ولذلك يتساءل الباحث جرهام جرين (١٢): ولكن أين ذهبت الجمهورية الديمقراطية التي كانت هناك في يوم من الأيام؟ ولماذا أصبحوا ميالين إلى التفكير بالولايات المتحدة على أنها مركز تجاري أو معدة وليست تجسيداً لمبدأ شجاع أو لفكرة مثالية نبيلة؟ ويظهر جلياً أن ما كان يُدعى بجيش المواطن قد ضاع في مكان ما عند نهاية الحرب الباردة، ليحل محله جيل من الراغبين في السيطرة الذين يتلهون بحلم الإمبراطورية ... ربما يفتقر ديك تشيني إلى استعداد الإمبراطور نيرون لإنارة حفلة الحديقة مستخدماً المشاعل المصنوعة من البقايا الحية لألفين من العبيد المسيحيين، لكن قاذفات B ـ ٥٢ الأمريكية تستطيع تكديس القتلى من المدنيين مثل كومة الحطب في أنقاض هانوي، فالطيارون

يشعرون بالطمأنينة لاعتقادهم بأن ما يفعلونه هو عين الصواب، فقصفهم الجوي يستمر جالباً الأخبار السارة بأن الخلاص أصبح في متناول اليد.

أين هذا من عبارة الرئيس دوايت إيزنهاور Dwight Eisenhower عام ١٩٥٣م، وهو جنرال عارف بغباء الحرب وتبديدها، يقول: «إن تفجير قذيفة مدفعية واحدة يسرق الخبز من فم طفل جائع لمدة عام كامل». كانت عبارة مثيرة للإعجاب ودقيقة في آن واحد، ولكنها لم تكن لتخطر على بال نابليون.

## مؤشرات الهيمنة ومسوغاتها

منذ أكثر من عقد مضى زعم الكاتب السياسي تشارلز كروتهامر Charles Krauthammer في مقال له، أن العالم قد وصل إلى «لحظة الأحادية القطبية» وهي فترة تتفوق فيها قوة عظمى واحدة - الولايات المتحدة - بشكل واضح على سائر المجتمع الدولي.

وفي السنوات التالية انهار الاتحادي السوفييتي، وبدأت روسيا تسير في طريق التدهور الاقتصادي العسكري المتسارع، وأصيبت اليابان بالركود الاقتصادي على حين كانت الولايات المتحدة تمر بواحدة من أطول وأقوى فترات الازدهار والتوسع الاقتصادي في تاريخها.

ومن هنا بدأت الهيمنة السافرة، وحتى يمكننا استيعاب مدى هيمنة الولايات المتحدة على عالم اليوم، علينا أولاً أن ننظر إلى كل مكون من مكونات القوة القومية بالترتيب - على ما يذكر الباحث ستيفن ج. بروكس (١٣) - فعلى الصعيد العسكري نجد أنه من المتوقع أن تنفق الولايات المتحدة على الدفاع في عام ٢٠٠٣م، أكثر من إنفاق الدول الخمس عشرة إلى العشرين التالية لها الأكثر إنفاقا على الدفاع مجتمعة. والولايات المتحدة تتمتع بتفوق نووي مذهل، ولديها أقوى قوات سلاح في العالم، وأقوى قوات بحرية، وقدرة فائقة على ممارسة النفوذ العسكري حول العالم، ويمكننا القول أيضًا: إن تفوقها العسكري يظهر بشكل أوضح إذا نظرنا إليه بمعايير كيفية وليست كمية فحسب.

فالولايات المتحدة تتفوق على العالم أجمع في استغلال التطبيقات العسكرية للتقنيات المتقدمة في مجالي الاتصالات والمعلومات، كما أنها أظهرت قدرة لا مثيل لها على التنسيق ومعالجة المعلومات المتاحة عن ساحة المعركة وعلى تدمير أهداف محددة بعيدة بدرجة فائقة من الدقة. وواشنطن تعمل كذلك على تصعيب مهمة الآخرين في اللحاق بها، وهذا ما يتضح لنا بالنظر إلى الفجوة الهائلة بين ما تنفقه هي على أنشطة البحث والتطوير العسكري Military Research & Development وما ينفقه الآخرون عليها، إذ إنها تنفق بهذا الصدد ثلاثة أضعاف ما تنفقه عليها القوى الكبرى الست التالية لها مجتمعة. وإذا نظرنا إلى الأمر من زاوية أخرى، فإننا نجد أن الولايات المتحدة تنفق حاليًا على أنشطة البحث والتطوير العسكري فقط أكثر مما تنفقه ألمانيا أو المملكة المتحدة على الدفاع ككل.

**الولايات المتحدة تتفوق على العالم أجمع في استغلال التطبيقات العسكرية للتقنيات المتقدمة في مجالي الاتصالات والمعلومات، كما أنها أظهرت قدرة لا مثيل لها على التنسيق ومعالجة المعلومات المتاحة عن ساحة المعركة**

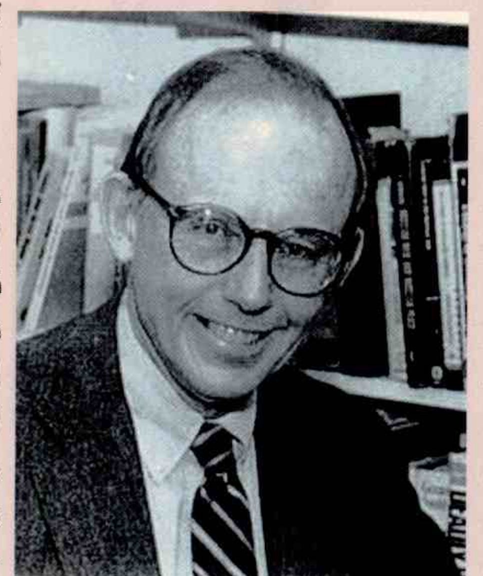
ومما لا شك فيه أنه لم يسبق لأي دولة في تاريخ السياسة الدولية الحديث أن وصلت حداً قريباً من التفوق العسكري الأمريكي الذي تشير إليه الأرقام السابقة. والولايات المتحدة تحقق كل هذا التفوق العسكري فقط بنحو ٣.٥٪ من دخلها المحلي الإجمالي. وكما يقول المؤرخ بول كنيدي Paul Kennedy فإن «احتلالك للقمة بتكاليف باهظة هو أمر معقول، ولكن أن تكون القوة العظمى الوحيدة في العالم بتكاليف زهيدة فهو أمر مذهل».

وفي الوقت الذي نجد فيه أن التفوق الاقتصادي الأمريكي - سواء بالنسبة إلى الدول التالية لها الأكثر ثراء أو بالنسبة إلى العالم ككل - يفوق أي مثيل له حققته قوى عظمى في التاريخ الحديث، باستثناء وحيد هو موقف أمريكا نفسها بعد عام ١٩٤٥م، (عندما ألحقت الحرب العالمية الثانية أضراراً بالغة بكل اقتصادات القوى الكبرى الأخرى). الاقتصاد الأمريكي اليوم يمثل ضعف حجم منافسه الأقرب، أي

الاقتصاد الياباني، بل إن اقتصاد ولاية كليفورنيا وحده قد حقق نمواً مذهلاً جعله الخامس على العالم (باستخدام التقديرات السوقية السائدة لمعدلات الصرف)، متفوقاً في ذلك على الاقتصاد الفرنسي، وتالياً مباشرة لاقتصاد المملكة المتحدة.

وقد يكون صحيحاً أن الازدهار الاقتصادي الأمريكي الطويل خلال التسعينيات قد اقترب الآن من نهايته، ولكن من الصحيح أيضاً أن الشيء الوحيد القادر على خفض معدلات النمو الاقتصادي الأمريكي إلى ما كانت عليه قبل عام ١٩٩١م، هو أن يتعرض الاقتصاد الأمريكي لتجربة الاقتصاد الياباني نفسها خلال العقد المنصرم، أي لركود محلي عميق وممتد جداً في الوقت نفسه الذي يحقق فيه سائر العالم نمواً اقتصادياً ملحوظاً، بل ويمكننا القول إن حدوث شيء كهذا هو أمر مستبعد إلى حد كبير لعدة أسباب أهمها أن الولايات المتحدة - على ما يذكر الباحث ستيفن . بركس - هي الدولة الأكثر قدرة على الانتفاع بمزايا العولمة. فموقف أمريكا كالوجهة المفضلة لهجرة العاملين الأجانب الحاصلين على تدريب علمي راق قد ازداد تدعماً خلال التسعينيات، كما أنها الوجهة المفضلة لاستثمارات الشركات الأجنبية، فقد اجتذبت في عام ١٩٩٩م وحده أكثر من ثلث التدفقات العالمية للاستثمار الأجنبي المباشر Foreign Direct Investment.

وأخيراً فإن تفوق أميركا في مجالي العسكرية والاقتصاد له جذور مؤكدة تتمثل في موقفها كأكبر قوة تقنية على مستوى العالم، وعلى الرغم من أن قياس معدلات الإنفاق القومي على أنشطة البحث والتطوير هو أمر متزايد الصعوبة في ظل عصر تتداخل فيه أنشطة اقتصادية كثيرة عبر حدود الدول، إلا أن الجهود المبذولة في هذا الصدد تؤكد استمرار الريادة التقنية الأمريكية.

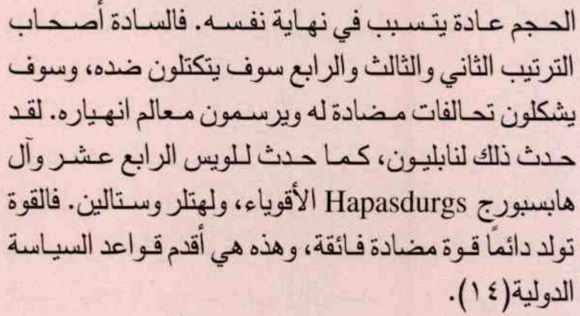


هنتنجتون

فالأرقام من أواخر التسعينيات أظهرت أن معدلات الإنفاق الأمريكي على البحث والتطوير كانت تساوي نحو إجمالي ما تنفقه عليهما الدول السبع الأغنى التالية مجتمعة. إن قياس درجة التفوق الأمريكي في كل مجال على حدة هو بداية قدرتنا على النظر إلى الأمور من منظور صحيح، ولكن الأمر الذي يميز النظام الدولي الحالي بحق هو التفوق الأمريكي في كل تلك المجالات في آن واحد. فالدول الرائدة السابقة في التاريخ الحديث كانت إما قوى تجارية وبحرية عظمى، وإما قوى عسكرية برية عظمى، ولم يسبق أبداً لأي دولة أن حققت التفوق التام في البحر والبر معاً.

## كيفية المواجهة

إن كثيرين ممن يقرون بمدى ضخامة القوة الأمريكية يرون في الوقت نفسه أنها قوة تكاد تدمر نفسها، فهم يزعمون أن الدول الأخرى عادة تأتلف معاً لمنع الدول العظمى المحتملة Potential hegemons من السيطرة بمفردها على مقدرات العالم، وأن المرحلة الراهنة لن تكون مختلفة. وكما يقول المعلق السياسي الألماني جوزيف جوفه Joseph Joffe فإن:



«كتب التاريخ تقول: إن السيد الكبير الحجم عادة يتسبب في نهاية نفسه. فالسادة أصحاب الترتيب الثاني والثالث والرابع سوف يتكتلون ضده، وسوف يشكلون تحالفات مضادة له ويرسمون معالم انهياره. لقد حدث ذلك لنابليون، كما حدث للويس الرابع عشر وآل هابسبورج Hapasdurgs الأقوياء، ولهتلر وستالين. فالقوة تولد دائماً قوة مضادة فائقة، وهذه هي أقدم قواعد السياسة الدولية(١٤).

ولكن كيف نواجه كل هذه الهيمنة الأمريكية والطغيان الغربي الكاشف عن وجهه بكل تبجح؟ في الحقيقة هناك آفاق واسعة ومتعددة لمواجهة ظواهر الهيمنة بأبعادها وأشكالها كافة، ولكن كل ما تتطلبه منا نحن المقصودين بهذه العمليات المستمرة من الهيمنة أن نبدع آليات وأشكالاً

للمقاومة من المؤكد أنها ستكون فعالة في المواجهة(١٥).

وهناك كثير من أشكال المواجهة وآلياتها، لعل في مقدمتها ما سوف تخلقه هذه الهيمنة نفسها من آليات للمواجهة، فالمهمشون الذين تطردهم الليبرالية الجديدة، وحركة العولمة والثورة الصناعية الثالثة خارج قوة العمل ماهم إلا قنابل موقوتة داخل المجتمعات الرأسمالية المتقدمة، وعلى رأسها الولايات المتحدة ذاتها، ولعل المظاهرات التي اجتاحت العالم يوم أول مايو/آيار عام ٢٠٠١م بمناسبة عيد العمال بصورة لم تحدث من قبل، وكذلك المظاهرات الحاشدة في كل أنحاء العالم التي حدثت في أواخر فبراير/شباط عام ٢٠٠٣م ضد الحرب على العراق - حتى من داخل الولايات المتحدة الأمريكية نفسها - دليل قوي على أن حركة الرفض في الشارع تزداد يوماً بعد يوم، ومن ثم تؤكد أن العولمة والليبرالية الجديدة، وهما ظاهرتان متلازمتان، ما هما إلا حركة جدلية تخلق في الوقت نفسه الطرف الآخر الرافض والمقاوم، بما يؤكد أنهما لن يمرا بسهولة حسب اعتقادات اليائسين.

وإذا ضربنا مثلاً بالواقع الذي نعيشه الآن، فعلينا تذكر مقولة ذكرها مساعد القائد ماركوس قائد جيش التحرير زاباتا في المكسيك، وهو مفكر وفيلسوف أكثر منه قائداً سياسياً وعسكرياً حركياً، حينما يقول في مقال «الفاشية الليبرالية» الذي نشره في أوائل عام ٢٠٠١م في جريدة اللوموند دبلوماتيك: «إن أهم اتجاهات الليبرالية الجديدة هو أنها وظفت عدداً من المثقفين للدعاية لها، ولتأكيد أنها آتية لا محال، بل إنها قد أتت بالفعل وسيطرت، وليس هناك مجال لمقاومتها، بما جعل سكان العالم كأنهم يعيشون داخل واقع أشبه ببرنامج كمبيوتر يسمى «الواقع المتخيل» أي في خيال

**الولايات المتحدة تنفق حالياً على أنشطة البحث والتطوير العسكري فقط أكثر مما تنفقه ألمانيا أو المملكة المتحدة على الدفاع ككل**



فوكوياما

تام، لكننا لا ندرك ذلك ونساعد على ترسيخه سواء داخل أذهاننا أم من خلال أفعالنا التي تتواءم مع الهيمنة المزعومة»(١٦).

ومن ثم فإن أول آليات الهيمنة هو أن نخرج من أسر هذا «الواقع المتخيل» وندرك جيداً أننا ما زلنا في صراع مع محاولات الهيمنة، وأننا الأقوى من المؤسسات والقوى التي تحاول أن تهيمن علينا، وأنها إن كانت قد نجحت بصورة نسبية وليس مطلقة، فإن ذلك جاء لأنها قوى ومؤسسات منظمة تدرك مصالحها جيداً، وتعلم أن التناقضات فيما بينها ليست إلا تناقضات ثانوية، أما التناقض الرئيس فيخصنا نحن سواء كنا سكان العالم الثالث أم المهمشين والفقراء داخل المجتمعات المتقدمة.

وهذه المؤسسات قد نحت تناقضاتها جانباً، وأسست آليات علنية وسرية لإدارة تناقضاتها الرئيسة معنا وإدارة صراعها معنا بصورة جماعية ومنظمة، بما يساعدها على تحقيق هذا النجاح النسبي، وتنظيم القوى والمؤسسات والأفراد الرافضين لهذه الهيمنة يُعد أمراً حيوياً للمواجهة، ولعل النجاحات النسبية التي تحققت بهذا الصدد سواء في سياتل أو غيرها، لم تأت إلا بسبب هذا التنظيم الذي شاركت فيه قوى ومؤسسات متعددة الأهداف والبرامج والتوجهات السياسية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار، وهذا ما يفتح أمامنا أبواباً للتفاؤل.

ومن الآليات المهمة أيضاً في عملية المقاومة استثمار جميع المنجزات التكنولوجية وثورة المعلوماتية في عملية المواجهة، ولعل من أهم التجارب الناجحة في هذا المجال تجربة جيش زاباتا في المكسيك الذي استطاع تجييش أعضائه من خلال شبكة الإنترنت، وشارك الجميع في اتخاذ القرارات من خلال الشبكة نفسها بما أعادنا مرة

أخرى إلى «الديمقراطية الأثينية» التي يشارك فيها كل المواطنين في اتخاذ القرار، كما استطاع أيضاً من خلال ثورة المعلومات أن يؤمن لنفسه تأييد أهم رموز الفكر والثقافة والسياسة المستقلين في العالم، واستطاع إقناعهم بالذهاب إلى المكسيك ليكونوا في الصف الأمامي للمسيرة التي نظمها وسارت ١٢٠٠ ميل، وكانت حديث العالم مدة ثلاثة أيام متواصلة، ونجح خلالها في الحصول على اعتراف شفهي ببعض مطالبه، وهو اعتراف تم أمام العالم أجمع بما لا يدع هناك فرصة لبعض أعضاء البرلمان المكسيكي أو لرئيس الجمهورية المنتخب للتراجع عنه وإلا سبب إحراجاً دولياً لهم.

ولكن أهم صور المقاومة وآلياتها، هي المقاوة النفسية التي ترفض من الداخل الظواهر، وتتصرف وتتعامل مع الواقع على أن هذه الظواهر لم تتحقق على النحو الذي يوضحه المفكر الفرنسي الراحل ميشيل دوسورتو في كتابه «اختراع اليومي» «Invevtion Du Quotidien» الذي يرى فيه أن أهم آليات مواجهة السيطرة والهيمنة والاستبداد هو تجاهلها تماماً والتغاضي عنها والتصرف وفقاً لما تريد. وهذا التكتيك أبدعته شعوب متعددة في العالم استطاعت من خلاله أن تواجه محاولات الهيمنة عليها وتهميشها.

فإذا كان اليمين المتطرف الفرنسي قد واجه العولمة من خلال تدمير واجهات فروع شركة ماكدونالدز الأمريكية التي تعد رمزاً لسيادة الثقافة الأمريكية، فإن بعض دول العالم خاصة في أمريكا اللاتينية وآسيا أجبرت هذه الفروع على أن تقدم الوجبات الوطنية لها كوجبات سريعة؛ لأنها لم تتعامل مع الوجبات الأمريكية الصرف التي تقدم هذه الفروع لمن يستهلكها.

لقد كان الظلم والاستعباد في أساس أي نظام إمبراطوري عرفه التاريخ البشري، ولم تستطع أي دولة أن تتحكم بدول أخرى إلا بالقهر والإرهاب والتسلط، وهي ذاتها الأسس التي ستبقى عليها أي إمبراطورية جديدة في عالمنا المعاصر.

ولكن رياح العدالة والحرية ظلت تهب لتثأر لكرامة الإنسان وتعصف بقصور الظلم والاستعباد، وتقيم نظام العدالة والمساواة والحرية بين الأفراد والشعوب، وتزول إمبراطورية الظلم، مشيعة بكره الشعوب المظلومة وحقدها بما فيها شعبها، ولقد بدأت هذه الرياح تهب منذ ما قبل سياتل، وفي يوم سياتل هبت المظاهرات الشعبية والعمالية في أغلب العواصم الغربية رافعة شعار عدالة التجارة قبل حرية التجارة، وتمكنت المظاهرات من إخفاق مؤتمر سياتل، وتجددت المظاهرات الشعبية خلال الاجتماع في منتدى دافوس ثم في براغ وبعدها في نيس في فرنسا، وأخيراً اجتاحت عواصم العالم المظاهرات المؤيدة للعراق والرافضة لغزوه من قبل دول الهيمنة الحديثة بشكل لم يسبق له مثيل منذ حرب فيتنام، مما يُنبئ بحقيقة أن الرأي العالمي الحر والنزيه للشعوب والأمم لم يمت بعد.

**المراجع والهوامش**

١- جرهام جرين Graham H. Green(١٩٠٤-١٩٩٩م) كاتب روايات وقصص قصيرة ومسرحيات إنجليزي، عمل في الصحافة، عالجت رواياته المعضلات الأخلاقية الحياتية في إطار من السياسة المعاصرة.

٢- لويس.هـ لافام: روما الأمريكية، ترجمة شاديه عمران بطاح، مجلة الثقافة العالمية، العدد ١١٧، ص ١٦٤-١٦٥، الكويت مارس عام ٢٠٠٣م.

٣- يقصد حرفيي الأجبان الفرنسيين، إذ اشتهرت فرنسا بتميزها في صناعة أنواع مختلفة من الأجبان.

٤- لويس. هـ لافام: روما الأمريكية، ص ١٦٥.

٥- روبرت فيسك: ضحايا حرب أمريكا من الأبرياء، مجلة سطور، العدد ٦٣، ص ٨، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٦- حازم حسني: الأحمق والشرير والقبيح، روايات عن منطق القوة، مجلة سطور، العدد ٦٣.

٧- انظر: سامي خشبة، تزوير وثيقة = تزوير ثقافة، الأهرام عدد ٥ أكتوبر/تشرين الأول٢٠٠١م.

٨- محمد أمين: المثقفون الأمريكيون يبررون الإرهاب، مجلة البصائر، ص ٢٦٥، ٢٦٦، العدد ٢٦، بيروت شتاء ٢٠٠٢م.

٩-١٠- عبدالله العليان: من صراع الحضارات إلى تعايشها، مجلة العربي، العدد ٥٣٢، مارس عام ٢٠٠٣م.

١١- هو ذلك الجزء من النورماندي الذي نزلت عليه طلائع القوات الأمريكية في ٦يونيو/ حزيران عام ١٩٤٤م، والذي انطلقت منه قوة الإنزال لتخترق الأراضي الفرنسية في أواخر الحرب العالمية الثانية.

١٢- جراهام جرين: روما الأمريكية، ص١٦٨، ١٦٩.

١٣- ستيفن ج. بروكس: تأملات في أبعاد القوة الأمريكية الراهنة، ترجمة: محمد علي ثابت، مجلة الثقافة العالمية العدد ١١٥ الكويت، نوفمبر عام ٢٠٠٢م.

١٤- نقلاً عن ستيفن ج. بروكس: تأملات في أبعاد القوة الأمريكية الراهنة، ص ١٠،١١.

١٥- د. خالد السرجاني: في مواجهة الهيمنة، مجلة سطور، العدد ٥٥، ص ٥٦، مصر مايو/آيار عام ٢٠٠١م.

١٦- السابق، ص ٥٦،٥٧.

# ظاهرة العصر: صعود اللاعقلانية

**إلياس بلكا**
الرباط - المغرب

**ها هو ذا الإنسان المعاصر، بعد أن مرّ بجميع الثورات الدينية والصناعية والإعلامية، يعود إلى معتقداته القديمة.. تلك التي كان يظن أنها وضعت في «متحف التاريخ القديم» بصفة نهائية! كيف ذلك؟**

## شغف إنسان الحداثة بما هو غيبي

إحدى الظواهر الكبرى التي لاحظها المراقبون في العالم كله خصوصاً منذ العقود الثلاثة الأخيرة: عودة المعتقدات والممارسات القديمة التي كان



يعرفها الإنسان في مجال الغيبيات والتنبؤ بها.

أحد أفضل هؤلاء المراقبين - وهو الأستاذ راموني - وجد أنه من الضروري أن يعقد لهذه الظاهرة فصلاً مستقلاً في كتابه «جيوسياسة الفوضى»، وجعل عنوان هذا الفصل: صعود اللاعقلانية. ومما جاء فيه(١):

«في المجتمعات الغربية اليوم حيث الأفضل هو الرابح، وحيث المال هو سيد الجميع، وهو القيمة الكبرى، والغاية الأخيرة.. وحيث تنتشر الأزمات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ومشاكل الهوية والفراغ الروحي.. هناك يعود الناس إلى معتقداتهم القديمة.

إن كل أشكال التطير، وفنون التنبؤ بالمستقبل، والممارسات الباطنية، والاعتقاد في المعجزات، كل هذا نبت من جديد كالفطر، وفي جميع أرجاء أوربا.

إن نصف الأوربيين - اليوم - يعتقدون في الظواهر الغيبية غير الطبيعية، وأكثر من أربعين مليون أوربي يزورون كل سنة العرّافين والمداوين «بأشياء غيبية» Guerisseurs، وبمجرد ظهور أحد يدعي رؤية مريم العذراء، حتى يسرع عشرات



اللجوء إلى خدمات العرّافين ظاهرة عالمية عامة

الآلاف لزيارة المكان للتبرك به وانتظار ظهور العذراء مرة أخرى. مليون ونصف مليون أوربي يزور سنوياً أحد هذه الأمكنة بباريس(٢). أما الذين يعتقدون أن النجوم تضبط كل شيء في الكون وتحكمه.. فأكثر من أن يحصوا».

لم يعد الناس يؤمنون بأن العلم والتقنية كفيلان بحل مشكلاتهم، لقد أصبح العلم نوعًا من الأيديولوجيا الخطيرة، لا يثقون بها، بل هي تخيفهم. وكيف لا يكون هؤلاء على حق، ألمْ يوقِّع - يقول راموني - ٢٦٤ عالمًا - بينهم ٥٢ حاملاً لجائزة نوبل - بياناً نشر في يونيو /حزيران عام ١٩٩٣م يحذرون فيه من «علم البيئة» ecologie، بوصفه «إيديولوجيا غير عقلانية، متصاعدة، وتتعارض مع التقدم العلمي والصناعي»، ولهذا غدا الناس يتساءلون إن كان الإنسان أصبح في خطر من التحالف الثلاثي بين رأس المال والصناعة والعلم.

هذا ما قاله راموني. والحقيقة أن اللجوء إلى خدمات العرافين والمتنبئين ظاهرة عالمية عامة، تمس - تقريبًا - كل المجتمعات، من كل الأعمار والطبقات، على اختلاف في درجة الإصابة طبعًا.

يقول صحفي مغربي عن أناس من «علية القوم» - يعني من الطبقة السياسية - يزورون إحدى العرّافات بعاصمة البلد: «وفي هذا الصدد، يقول سكان أحد أحياء مدينة الرباط: إن سيدة أوربية كانت جارة لهم طوال عدة سنوات، ولم يعرفوا في البداية سبب مجيء هذا العدد الهائل من السيارات

الفخمة إلى الدار التي كانت تقيم فيها هذه السيدة الأوربية، إلى أن انتشر بين الجيران خبر يقول: إن الأمر يتعلق بـ «شوّافة» نصرانية.

أرقام السيارات تدل على أن الزوار يعتبرون من المسؤولين الكبار ممن يتحملون مهام متنوعة الاختصاصات والقطاعات، وفيهم أناس يظهرون على شاشة التلفاز.

هذه السيارات كانت تحمل تارة نساء وتارة أخرى يأتي الرجل بقدمه وقامته.

وهناك من تخاف على مستقبل علاقاتها بشريك



الفراغ الروحي من أسباب ازدهار العرافة

الحياة، وثمة من يخاف على مستقبل الموقع الذي يحتله، والكل يريد أن يتعرف بكل شفافية على ما يحمله الزمان القادم، وذلك للعمل من دون شفافية على تجنب المصير المخيف.

وثمة طائفة من الراغبين في التعرف إلى مستقبلهم بكل «شفافية» ممن لا يكتفون بخدمات «الشوافة» المحلية، سواء كانت «الشوافة» مواطنة أم أجنبية، بل يضطرون إلى السفر إلى هناك في الديار الفرنسية، بحثًا عن الخبرة لدى «الشوّافة» البرانية في عين المكان، وهناك من يطلب «الشوافة» الأجنبية لكي تأتي في زيارة خاصة حتى توضح لهم المستقبل الذي ينتظرهم.

بعض الناس يشغلون أنفسهم إلى هذا الحد بما قد تأتي به الأيام. ولا يتعلق الأمر بالناس العاديين، بل أحيانًا الذين يقررون في حاضر المجتمع ومستقبله...»(٣).

## من مظاهر هذا الصعود

وقد سجل المراقبون كثيرًا من الظواهر التي تعكس هذا النمو المتعاظم للبحث عن طريق آخر في غير ما يرسمه العقل العلماني الوضعي، فمن ذلك:

### في الأفلام

أذكر مثلاً: السلسلة التلفازية الأمريكية «الملفات الغامض»(٤)، التي عرفت نجاحًا هائلاً على مستوى العالم. وهي مجموعة من الحلقات ـ أي مسلسل ـ تدور أحداثها حول الظواهر غير الطبيعية، وفيها الحقيقية والمتخيلة.

وقد استقبل الجمهور الواسع هذه السلسلة بحماسة كبيرة، حتى إنه أهدي لها نحو ٨٥٠ موقعًا في الإنترنت (إلى حدود أبريل/نيسان ١٩٩٧م فقط). وانتشرت أشياء كثيرة، تدور حول هذه السلسلة أو ترتبط بها، مثل: المجلات والكتب ومواقع الإنترنت وأشرطة الفيديو والنوادي والسلع التجارية.. وتضم النوادي التي أسست حول السلسلة بفرنسا وحدها نحو عشرة آلاف عضو.

وكثر الجدال حول هذا «المسلسل الغيبي»، وتدخلت فيه شخصيات مهمة مثل جاك أتالي، المفكر المستقبلي ومستشار الرئيس السابق ميتران، وكذا لوبان زعيم الجبهة الوطنية الفرنسية(٥).

ويعتقد أكثر الأمريكيين بوجود مخلوقات أخرى من الفضاء. وفي بداية يوليو / تموز ١٩٩٧م تجمع مئة ألف أمريكي في روسويل بولاية المكسيك الجديدة للاحتفال بالذكرى الخمسين لإحدى الحوادث الشهيرة التي يربطونها بهذه المخلوقات. وهناك صرّح منظم المهرجان بأن سلسلة الملفات الغامضة وأمثالها.. تمهيد من الدولة الأمريكية للإعلان عن وجود هذه المخلوقات(٦).

## في الرواية

تعكس مبيعات الكتب بأوربا التوجه الجديد للجمهور نحو كل ما هو روحاني وغامض أو مجهول.. والكتب الأكثر مبيعاً تنتمي إلى هذا المجال. منها رواية البرازيلي كويلو: «الكيميائي»، نسبة إلى الكيمياء الخفية فهذه إحدى أكثر الروايات مبيعًا في العالم، وظلت كذلك سنوات. وللرواية معنى ديني.



فرانسوا ميتران



لافونتين

أما الروائية الإيطالية تامارو، فقد كتبت رواية أخرى نجحت كثيراً بأوربا، وهي «اذهب حيث يحملك قلبك».. جمعت فيها بين الروحانية الحديثة، وعقيدة الكارما الهندوسية، والتنجيم، ونحو ذلك. ولذلك أثارت الرواية جدلاً كبيراً بإيطاليا.

وتعد السلسلة الأدبية «الفانتازيا البطلة» بين المراهقين والشباب من أنجح الأعمال القصصية، وعالم هذه السلسلة ـ الذي ينتمي إلى القرون الوسطى ـ يتشكل من: قوى الخير والشر، والظلمات والسحرة، والليل، والغابة، والأساطير(٧).

## في الكتاب

فقط في عام ١٩٩٧م وقبلها بقليل، ظهر في الغرب نحو خمسمئة كتاب في مجالات: الباطنية، والتنجيم، والكيمياء الخفية، والظواهر غير الطبيعية، والروحانية(٨).

## في لعبة كرة القدم

وقد لاحظ بعض علماء الاجتماع أن الناس يبحثون أحيانًا عن وسيلة لملء الفراغ النفسي والروحاني الذي يشعرون به في ميادين لا يبدو في الظاهر أنها يمكن أن تقدم لهم شيئًا، وبهذا يفسرون الانتشار الواسع لألعاب اليانصيب والحظ. وبعضهم يقول: إن «رياضة كرة القدم» هي من هذا القبيل، فهي نوع من الديانة العلمانية(٩). وهنا يتحول الملعب إلى كاتدرائية ضخمة، وتنطلق اللعبة التي تسير وفق طقوس خاصة، فاللاعبون هم القديسون، أو الأبطال ـ بالمعنى اليوناني القديم Heros ـ أو حتى السحرة.. إنها ـ يقول الكاتب ـ وثنية عصرية(١٠).

## نموذج خاص: العِرافة بفرنسا اليوم

أعني بالعِرافة هنا التنبؤ بالمستقبل خاصة. وهي بفرنسا واقع مفروض، وإن كانت لا تحظى بالاعتراف الرسمي، فهي تمارس في جميع أنحاء البلاد، وبصفة علنية، وفي كثير من الأحيان بمكاتب متخصصة، ويقدر عدد العرافين ـ أو

المتكهنين - بفرنسا بثلاثين ألف شخص، غير المنجمين والسحرة، وهذا الرقم - كما يقول دوسوار - يبين جيداً أهمية العرافة، بوصفها ظاهرة اجتماعية حقيقية، خصوصاً إذا علمنا أن عدد الأطباء بفرنسا هو أربعون ألفاً(١١).

وللعرافين والكهان الفرنسيين نشاط في الكتابة والنشر والمحاضرة. وأهم هذه الأنشطة: مهرجان العرافة، ويكون في كل صيف. وأسبوع العرافة، في كل شتاء، كلاهما بباريس(١٢).

ويعرف وسط العرّافين - الذي يتشبب أكثر فأكثر - محاولات لتنظيم «المهنة» في جمعية قانونية(١٣). وكثير من العرافين يفتتحون مكتباً لاستقبال الزبائن، والمتوسط العام لعمر العراف - حين هذا الافتتاح - هو أربعون سنة، ويأخذ العراف العادي عن الاستشارة ١٥٠ فرنكاً فرنسياً - وهي أجرة الطبيب النفسي المختص - بينما تقع أجرة العراف المشهور بين ٣٠٠ و ٥٠٠ فرنك فرنسي، ولذلك فمدخول العراف هو عموماً مدخول إطار متوسط، وهذا بحسب أرقام عام ١٩٨٠م بفرنسا(١٤).

وعدد الفرنسيين الذين يزورون العرافين أو سبق لهم ذلك يقدر بنحو ثمانية ملايين. وهم من كل الطبقات الاجتماعية(١٥). وأهم دوافعهم لاستشارة العراف(١٦).

١- القلق: وهو يهم - بالخصوص - ثلاثة موضوعات: الشؤون العاطفية والزوجية، والصحة (هل تشخيص الطبيب صحيح، هل يلزم أن أقبل بعملية جراحية نصحني بها الأطباء...). وأمور العمل والمهنة.

**كل أشكال التطير، وفنون التنبؤ بالمستقبل، والممارسات الباطنية، والاعتقاد في المعجزات، كل هذا نبت من جديد كالفطر، وفي جميع أرجاء أوربا**

وتوجد موضوعات أخرى، مثل: السؤال عن الرقم المربح باليانصيب، وعن مصير مباراة أو امتحان أو رخصة سياقة...

والقلق سبب رئيس في الإقبال على كل أشكال التنبؤ بالغيب؛ لأن الإنسان الذي يعيش في هذا العالم المملوء بظروف الشك والاضطراب والمستقبل الغامض.. هذا الإنسان يحتاج إلى من يخفف عنه بعض آلامه وشكوكه.. أي يحتاج إلى الأمل. ولذلك يسمى بول المنجمين وسائر أنواع العرافين بـ (تجار الأمل)، يبيعونه للناس، وأحياناً بالجملة، كما في صناعة التنجيم(١٧).

- عدم القدرة على اتخاذ القرار. خصوصاً في مجالي الاقتصاد والأعمال.

٣- الفضول وحب الاطلاع. وإن كان الفضولي يخفي - في الأكثر - قلقاً أو مشكلة تشغله.

أما عن أعمار السائلين فأكثرها يقع بين



القلق سبب رئيس في الإقبال على أشكال التنبؤ بالغيب

ثلاثين وخمسين سنة(١٨)، والملاحظ أن عدد الشباب الذي يطلب الاستشارة في ازدياد.

ومتوسط زيارات الزبون المداوم أو المخلص، أي: الزبون غير العرضي، هو مرتان في السنة، وفي بعض الظروف تكون الزيارة مرة كل أسبوع، وذلك طوال شهرين أو ثلاثة(١٩).

بؤس الإنسان المعاصر.. الدافع الأول للجوئه إلى فنون التنبؤ

هذه الفنون تستهدف - بالخصوص - الشخصيات القلقة. وما أكثرها في عصرنا هذا الذي يعيش في أزمات لا تنتهي!(٢٠).

والذين يمارسون أشكال التنبؤ يعرفون هذه الحقيقة جيداً، ولذلك عدَّ دوسوار - ضمن فوائد زيارة العراف، توفير أذن صاغية، تستمع للفرد المعزول في هذه الحضارة المادية غير الإنسانية(٢١).

ويقول دوسوار - وهو نفسه عراف محترف: إن ٤٠٪ من دوافع الناس لزيارة العرافين، هو الرغبة في الكلام وبث الشكوى والتنفيس عمّا يثقل الصدر والشعور بشيء من الدفء الإنساني المفقود في حضارة اليوم، وكل هذا بتعاطف العرّاف مع الزائر، بل إن بعض الناس حين يزور العراف يبدأ بعرض مشكلاته والحديث عنها، ثم ينصرف بعده مباشرة، حتى قبل أن يسمع كلمة واحدة من العراف(٢٢).

فالعراف أو الكاهن يقوم في هذه الحالة بدور المحلل النفسي الذي تكاد تقتصر مهمته - في أحيان كثيرة - على دفع المريض إلى «التفريغ»، أعني الكلام والتنفيس عن همومه، خصوصاً الباطنة في أعماق النفس.



حيرة الإنسان المعاصر تدفعه إلى ممارسة أشكال من التنبؤ

ولهذا يرى دوسوار أن مهنة الكهانة مشروعة، بما أنها تسد فراغًا في حياة الإنسان المعاصر، وتحقق حاجات نفسية واقعية. ويقول: إن للإنسان دوراً في صنع أحداث حياته. والعراف بمنزلة رادار يلتقط مخاطر المستقبل على هذا الإنسان، ولهذا فمساعدته للسائل المستشير مهمة، وبفضلها يمكن تجنب كثير من السلبيات التي يأتي بها المستقبل، أو على الأقل التقليل من ضررها. وفي حالات يأس الزبون، فإن العرّاف يقدم له ما في المستقبل من

بشائر، حتى يتشجع ولا ينهار، وذلك بمعرفة الخير القادم(٢٣).

إن الإنسان الحديث هو - إلى حد ما - ضحية لفرديته وتحرره من كثير من السلطات، كالدين والأسرة والمجتمع ويظل في عمقه - ومع كل مظاهر القوة والتقدم والثراء.. - إنساناً بئيساً ضعيفاً، يعيش في أشكال من التيه العقلي النفسي؛ ولذلك يحتاج إلى من يأخذ بيده، وإلى من يرحمه، فمن يكون: صاحب كهانة وعرافة، أم صاحب رسالة نبوية؟.



نموذج لعرّافة تقليدية

## تزايد الإقبال على فنون التنبؤ وقت الأزمات

لقد لوحظ أن هذا الاهتمام المتعاظم بكل ما هو غير «عقلاني» يكون أشد ما يكون في فترات الأزمة. من ذلك مثلاً: ألمانيا بين الحربين العالميتين، والانهيار الاقتصادي الأمريكي عام ١٩٢٩م، وحالة الغرب عموماً - أي أوربا وأمريكا - بعد عام ١٩٧٣م إلى اليوم، هذا كله زمن أزمات متنوعة(٢٤).

وكل أنواع الاعتقادات، حتى الأكثر غرابة وبعداً، تبرز في الأزمنة القلقة. وقد لوحظ مثلاً أنه بين الحربين الكونيتين تزايد اهتمام الناس بالتنجيم(٢٥). كما لوحظ ميل بعض من مات له قريب أو حبيب إلى الإيمان بالروحانية الحديثة وظواهرها(٢٦).

## عجز العقل الوضعي عن فهم هذا الصعود

لا يفهم الكثيرون هذه الظاهرة، ولا كيف تحدث في مجتمعات كانوا يظنون أن التقدم العلمي والصناعي قد حررها إلى الأبد من التفكير في أشياء لا يرونها، ومن الاهتمام بعالم غير عالمهم المادي الواضح، ولذلك يقول بعض هؤلاء إننا اليوم نعيش عصراً وسيطاً جديداً(٢٧)، وإن عقلية السحر المنتشرة بالغرب توشك أن تقضي على العقل العلمي(٢٨).

وينقل بول عن «أوي»: أنه لاحظ كيف يتجاور في عقل الإنسان الحديث نوعان من الفكر: العلمي والبدائي، حيث يعتقد في العلم ونتائجه كما يعتقد في الأشباح والتناسخ والتليباثي والأحلام التنبئية والتنجيم... وما إلى ذلك(٢٩).

لكن في المفكرين الغربيين من له استعداد أفضل لتفهم ميل المجتمعات الحديثة إلى شؤون الغيب، فمتيرلينك - مثلاً - يرى أن



**القلق سبب رئيس في الإقبال على كل أشكال التنبؤ بالغيب، لأن الإنسان الذي يعيش في هذا العالم المملوء بظروف الشك والاضطراب والمستقبل الغامض.. هذا الإنسان يحتاج إلى من يخفف عنه بعض آلامه وشكوكه**

أحياناً يفضل المعتقدات الآسيوية - الهندوسية والبوذية - والتنجيم، والعرافة، والسحر، والباطنية.. ونحو ذلك(٣٢). حتى عدّ بعض الباحثين أن التنجيم - ونحوه - احتلاّ الفراغ الذي تركته الكنيسة، والذي لم يستطع العلم الحديث أن يشغله(٣٣).

في العالم الإسلامي لا يبدو أن هذه الظاهرة مهمة وكبيرة، وإن كانت موجودة، بل هي في ظني مرشحة للنمو مستقبلاً.. بخلاف العالم المسيحي، الذي يعرف منذ سنوات - أوبضعة قليلة - صعود «اللاعقلانية»، وتراجع

الاعتقاد في الغيبيات ميل طبيعي في الإنسان، وثابت أيضاً، والذي يتغير هو مضمون هذا المعتقد فقط، والإنسان لا بد أن يعتقد شيئاً(٣٠).

وأوضح شول من جهته أن الانجذاب نحو الأمور الغيبية وغير الطبيعية جزء أساسي من العقل الإنساني، مثله مثل التفكير العقلاني. بل يقول شول: إن هذه الازدواجية مفيدة للإنسان، بما أنها مصدر خصب للإبداع(٣١).

## الأديان الكبرى والاتجاهات «اللاعقلانية»

وثمة سؤال عرض لي - في هذه المباحث -، ولم أجد له جواباً حتى الآن، وهو: لماذا لم تملأ الأديان الكبيرة - خصوصاً السماوية - هذا الفراغ الروحاني للإنسان المعاصر.. لماذا لم تنجح في كسب هذا الإنسان القلق، الذي عوض أن يعود إلى الدين، نراه

المسيحية، بشكل بيّن..

هذه القضية هي اليوم - ومنذ بضع سنوات - موضوع لبحوث اجتماعية مكثفة، نظرية وميدانية، وهي - باعتراف المختصين الغربيين - من أعقد قضايا الإنسان في بداية هذه الألفية الثالثة(٣٤).

يقدم لونوار التفسير لهذه الظاهرة في الغرب: من خصائص الإنسان - في نهاية القرن العشرين - أنه لا يحب العقائد الجاهزة والصارمة التي تدعي امتلاك الحقيقة المطلقة: dogmes. وهذا تعلمه من تجاربه في التاريخ القريب. ولهذا فإنه مع نهاية القرن انهارت كل اليقينيات: الدينية، والسياسية، والإيديولوجية، والعلمية في الغرب.. لكن بسبب هذا الانهيار نفسه حدث فراغ هائل على مستوى الاعتقاد، فعادت الأسئلة التقليدية الكبرى عن معنى الحياة وأصلها وغايتها.. إلى الظهور مجدداً،

وبأقوى مما كانت عليه(٣٥). ولهذا صنع إنسان الحداثة «سوقًا» من الاعتقادات، حيث كل واحد يختار فيه ما يشاء، أي ما يلائمه هو ويسد حاجته.

**٤٠٪ من دوافع الناس لزيارة العرافين، هو الرغبة في الكلام وبث الشكوى والتنفيس عمّا يثقل الصدر والشعور بشيء من الدفء الإنساني المفقود**



كرة القدم وسيلة لملء الفراغ النفسي



العرافة تتحدى كل القوانين والموانع

في هذا السوق الواسع نجد - غير الاعتقادات التقليدية، والدينية خصوصًا -: تناسخ الأرواح، والكوارث القريبة التي ستنهي العالم، وأمور التخاطر عن بعد - التليباثي -، وأحلام التنبؤ، والتنجيم، ومجموع الظواهر غير الطبيعية.. فهذا نوع من الارتحال الروحاني الدائم، أو من الاتجاه التلفيقي الذي يركب لكل أحد اعتقادًا شخصيًا مستقلاً(٣٦).

وفي هذا الإطار تعرف البوذية في الغرب انتشارًا متزايدًا، حتى إن بعضهم يتوقع لها مستقبلاً مهمًا عادًا إياها ديانة الحداثة بامتياز(٣٧).

وبالنسبة إلى الأديان الكبرى، والمسيحية بالخصوص، لا أحد - حتى من أفضل الاختصاصيين في مراقبة الأديان - يقدم توقعاته حول أوضاعها في المستقبل. ولا تزال عملية التحرر من العقائد النهائيةDogmes، وبناء أخرى، بحسب الاختيار والذوق الفردي، عملية مستمرة(٣٨).

## من أسباب انتشار فنون التنبؤ

وانتشار فنون التنبؤ بالمستقبل، وبالغيب عامة، من أبرز معالم هذه الظاهرة التي عبر عنها الأستاذ راموني بـ «صعود اللاعقلانية». ويفتخر دوسوار بأن العرافة اليوم تحدت كل القوانين المعادية وكل الموانع، وثبتت حتى في عصر انتصار العقلية العلمية(٣٩).

ويمكن أن نذكر من أسباب ذلك:

- المشكلات الكبرى التي انتهت إليها البشرية مع نهاية القرن، وانكشاف حدود العلم والتقنية في خدمة الإنسان، بل إمكان تحولهما إلى خطر عليه.. وهذا

سبق أن أشرت إليه في مطلب «صعود اللاعقلانية».

وقد لاحظ مؤرخو السحر الأوربي كيف كان يؤدي اضطراب الأوضاع العامة الاجتماعية والسياسية بأوربا - في القرون ١٣ إلى ١٧ - إلى بروز نوع من العدوى بالسحر، كانت تنتشر بسرعة بين مختلف الطبقات(٤٠). ولذلك يقول بالو: إن السحر نوع من الانعكاس لرغبات الناس ومخاوفهم وميولهم وأحلامهم(٤١).

- وسبب آخر هو الميل الإنساني الشديد إلى إدراك المستقبل، وما تخفيه له الأيام. وبهذا فسر ابن سينا ظهور التنجيم وتطوره، حتى غدا «علمًا» قائم الذات(٤٢): «إن العلم بما سيكون ويحدث ويستقبل علم حلو عند النفس، وله موقع في العقل، فلا أحد إلا وهو يتمنى أن يعلم الغيب ويطّلع عليه ويدرك ما سوف يكون في غد»(٤٣).

إن حاجة الإنسان إلى معرفة الغيب حاجة عميقة جدًا ومتأصلة فيه. ولذلك افتنّ البشر - منذ القديم - في اكتشاف طريق يمكن أن يكشف عن المستقبل. ويعجب القارئ الذي يطالع موسوعة في أساليب التنبؤ بالمستقبل - كموسوعة بيلين - من كثرة هذه الوسائل وتنوعها.. ولا يزال كثير منها يستعمل إلى الآن.

ومن النظرات النافذة للقاص لافونتين، التي ضمنها إحدى حكاياته، أن الناس بطبيعتهم يحتاجون إلى من يتنبأ لهم بالمستقبل، سواء صدق أم كذب، أخطأ أم أصاب.. حتى إنهم إذا لم يجدوا عرافًا أو كاهنًا ساحرًا صنعوه وشهّروه، ثم لجؤوا إليه(٤٤).

- ومن ذلك أيضًا - كما قال ابن سينا(٤٥) - حب الغريب، وكل أمر عجيب، مما لا يلقاه الإنسان في طريق حياته الرتيب. يقول ويلسون: «إن النزوع إلى معرفة الغيب ليس محاولة لإزاحة الستار عن المجهول، وإنما هو محاولة لإزاحة الستار عن العادية والابتذال اللذين تسميهما الحاضر القائم»(٤٦).



السلسلة التلفازية «الملفات الغامضة» وجدت نجاحًا هائلاً على مستوى العالم

**لا يفهم الكثيرون هذه الظاهرة، ولا كيف تحدث في مجتمعات كانوا يظنون أن التقدم العلمي والصناعي قد حررها إلى الأبد من التفكير في أشياء لا يرونها**



الخوف على مستقبل العلاقة مع شريك الحياة من أسباب اللجوء إلى العرّافين

وفي الناس طوائف عندها استعداد لتصديق كل شيء. وإليك هذه القصة عن بعض المشعوذين الذين سلكوا طريقًا غريبًا للفوز بأموال الناس:

يقول الراوي: إنه رأى في جامع البصرة قردًا على مركب مثل ما يركبه أبناء الملوك، وعليه ألبسة نفيسة مثل ملبوساتهم، وهو يبكي وينوح، وحوله خدم (قلت: وهم المشعوذون أصحاب القرد) يتبعونه ويبكون ويقولون يا أهل العافية: اعتبروا بسيدنا هذا، فإنه كان من أبناء الملوك عشق امرأة ساحرة، وبلغ حاله بسحرها إلى أن مسخ إلى صورة القرد، وطلبت منه مالاً عظيمًا لتخليصه من هذه الحالة. والقرد يبكي في هذا الحال بأنين وحنين، والعامة يرقون عليه ويبكون، وجمعوا لأجله شيئًا من الأموال ثم فرشوا له في الجامع سجادة، فصلى عليها ركعتين، ثم صلى الجمعة مع الناس، ثم ذهبوا بعد الفراغ من الجمعة بتلك الأموال(٤٧).

ـ من العلل أيضًا أن بعض أشكال التنبؤ تربط بقوة بين الإنسان والعالم.

إن الإنسان يحتاج إلى التوحد مع الكون، وإلى الشعور بأنه جزء منه، وأن هذا العالم الفسيح يجيبه ويتناغم معه. والتنجيم يحقق هذا التوحد جيدًا(٤٨).

ولذلك تقول تيسييه ـ منجمة الرئيس الراحل ميتران: إن علم الفلك مقاربة فيزيائية ومادية للكون، ويبحث بغرض اكتشاف أصل الكون ومصيره، لكنه لا يعالج علاقة الفرد بالكون.. وأنا لا يهمني الكون بقدر ما يهمني الإنسان داخل الكون(٤٩).

والتنجيم يعطي للشخص المعين إحساسًا بأن

الهوامش والمراجع

١ـ قدّمت المجلة الشهرية الفرنسية: «العالم السياسي» «ملخصًا لهذا الفصل، في مقال عنوانه: اللاعقلاني والمجتمع. انظر: LeMond diplomatiquc. septemre 1997. article. L'irrationnel et la societe. p28. والكاتب ـ Ignacio Ramonet ـ فرنسي من أصل إيطالي، متابع جيد للتطورات العامة العالمية، مثله مثل الأمريكي توفلر Toffler. يشغل راموني منذ سنوات، وإلى اليوم منصب رئيس تحرير شهرية «العالم الديبلوماسي».

٢ـ هاك ـ أيها القارئ الكريم ـ عنوان المكان إذا زرت باريس: Chapelle de la medaille miraculeuse.n140.rue du Bac.Paris.

٣ـ صحيفة الاتحاد الاشتراكي، عدد ٦ يناير/كانون الثاني ١٩٩٧م، ص٨، والشوافة ـ في اصطلاح العامية المغربية ـ هي العرافة أو الكاهنة. والصحفي المعني هو السيد عبداللطيف جبرو، من أهم الصحفيين المغاربة، عرف بعموده اليومي «آخر الكلام».

٤ـ هي بالإنجليزية X- files. أي الملفات إكس، وهي سلسلة حديثة جدًا، عرضتها القناة التلفازية الثانية المغربية عام ٢٠٠٠م، وبعدها. وشاهدت منها حلقات فوجدتها تهتم بكل ظاهرة لا يفسرها العلم.. وليست كلها من باب الخيال العلمي.

٥ـ (مقال أبجديات نحو روحانية جديدة) Pieine Piras: Fascinations Pour un nouveau mysticisme. article de: Le monde Diplomatique. Aout 1997. P 18.

6- Article: Fascinations Pour un nouveau mysticisme P 18.

٧- Article: Artivle: Fascinations Pour un nouveau mysticisme P18. البرازيلي هو: Paulo Coelho، ترجمت روايته إلى الفرنسية بعنوان: L. alchimiste. والإيطالية هي: Susanna Tamaro.

٨ـ المقال السابق نفسه. ويقول ويلسون: إنه إلى حدود منتصف القرن العشرين نشر في الغرب أزيد من ألفي بحث ـ ما بين كتاب ومقال ـ حول: «أسطورة أو لغز» أطلنتس: انظر: الإنسان وقواه الخفية، ص١٠١.

٩ـ اقرأ مقال: «كرة القدم: ديانة علمانية تبحث عن إله جديد». Article de "Le Mond Diplomatique". Aout 1997. p22 - 23: Le Football. religion Laique en quete d'un nouveau Dieu.

١٠ـ راجع المقال السابق ص ٢٢ ـ ٢٣.

١١ـ (العرافة، أو الكهانة) Joseph et Annick Dessuart: La Voyance. p72 - 73. والكاتب ـ دوسوار ـ من العرافين الفرنسيين المثقفين، وله نشاط بين زملائه من العرافين والكهان على سبيل تنظيم المهنة وكسب ثقة الجمهور فيها. وجميع الأرقام الواردة بالصلب تعود إلى عام ١٩٨٠م، ولا شك أنها اليوم أهم.

12 - La Voyance. p 76.

13- La Voyance. p 49.

١٤. La Voyance. p 54. 59 - 60. الفرنك الفرنسي هو نحو سدس الدولار الأمريكي.

15 - La Voyance. p 77- 78.

16- La Voyance. p79 a 81.

17- L'occultisme devant la science. p49 - 50. Quelques sciences captivantes. p221 - 222.

١٨ـ انظر تفاصيل في: La Voyancc. p84.

19 - La Voyance. p 58.

20- Quelques sciences captivantes. p224 - 238.

21- La Voyance. p17.

22- La Voyance. p17.

23- La Voyance. p16.

24- Ignacio Ramonet: article: L'irrationnel et la societe. p28.

الكون يدور حوله هو. ولذلك بينما يعجز العلم - مثلاً - عن تفسير القدر الذي يصيب الإنسان، تجد أن التنجيم ينجح في ذلك، على الأقل هو يزعم تقديم تفسير وجواب(٥٠).

- نمط الحياة في عصرنا هذا فردي، كل واحد فيه يتحمل مسؤوليته، ويتمتع في الوقت نفسه بحريته، ولكن الإنسان لا يتحمل هذا الاستقلال الكبير عن العالم والجماعة. لقد وقع شيء يشبه هذا الوضع في اليونان القديمة، لكن الإنسان اليوناني فضل الجبرية الصارمة للتنجيم على المسؤولية الفردية الثقيلة. ولذلك - كما قال دودس - ذهبت جهود شيشرون وبانياتيوس وأفلاطون في نقد أساليب التنبؤ.. أدراج الرياح(٥١). كما لقيت جهود العقلانيين المعاصرين المصير نفسه.

٧- إن فنون التنبؤ والغيبيات تفسر أشياء لا يفسرها العلم ولا غيره. وأكثر هذه التفاسير لا تصح. لكن كما يقول بوتهول: الإنسان - سواء البدائي أم الحديث - لا يتحمل أن يعيش محاطًا بالألغاز، أو بأسئلة لا يجد لها جوابًا، ولذلك يفضل معرفة وهمية، لكنها تقدم جوابًا ما، عن علم صحيح، لكن نتائجه جزئية ومحدودة(٥٢).

## ختامًا

وعمومًا ليس كل شيء واضحًا في ظاهرة تعلق الإنسان المعاصر بفنون التنبؤ، ولذلك قال هوتان: «توجد إمكانية للقيام بدراسة نفسية، وهي مهمة جدًا، لاستمرار هذا الاهتمام الحي بكل ما هو خفي وباطني في جميع البلدان الغربية، على الرغم من كل الانقلابات السياسية والاجتماعية والاقتصادية لهذين القرنين الأخيرين»(٥٣).

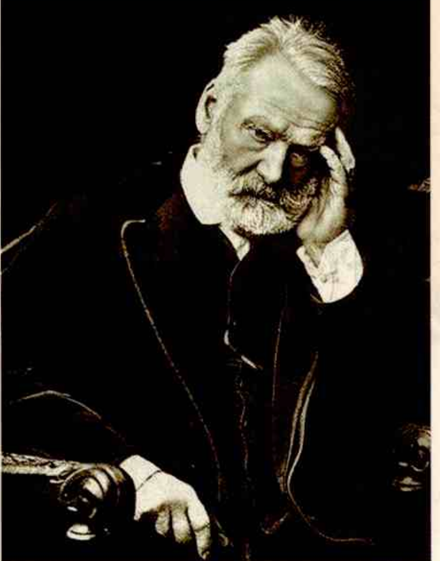
25- L'astrologie. P 105.
26- Quelques sciences captivantes. p 149.
27- Quelques sciences captivantes. p 238.
28- L'occultisme devant la science. p 13.
٢٩. quelques sciences captivantes. p171- 172، وouy achille عالم اجتماع معاصر. وانظر تفصيل هذا الرأي في: L'occultisme devant la science. p 9. a 14.
٣٠- (حدود الإدراك) Le Dantec: les Limites du connaissable. p153 و M.Maeterlinck: كاتب بلجيكي مرموق، نال نوبل في الآداب سنة ١٩١١م. وتوفي عام ١٩٤٩م.
٣١- في كتابه: Le Merveilleux. la pensee et l'action، كما نقله عنه صاحب: M. Schuhl. L'Au - Dela. P111: فيلسوف معاصر.
٣٢- في التاريخ الأوربي ما يشبه هذه الظاهرة المعاصرة، من ذلك انتشار السحر في نهاية العصر الوسيط وبداية النهضة، حتى عدّه بعضهم نوعًا من الكنيسة المضادة. انظر: La sorcellerie. p 21.
٣٣- Article: Horoscope. in: Ency 11/692. ويقول الكاتب في مقاله: ينبغي - بالخصوص - ألا نفسر التنجيم بصدق نبوءاته (الموسوعة) Encyclopadia.
٣٤- مقال: (نحو تدين بدون الإله) Florence Beauge: Vers une religiosite sans Dieu. un article de le Monde Diplomatique September 1997. p 27.
٣٥- Frederic Lenoir article Vers une religiosite sans Dieu. p26.: باحث فرنسي في الشأن الديني، وأحد مديري «موسوعة الأديان» التي ظهرت عام ١٩٩٧م.
36 - Article: Vers une religiosite sans Dieu. p 26.
37- Vers une religiosite sans Dieu. p 27.
38- Vers une religiosite sans Dieu. p 27.
39- La Voyance. p 104.
40- La sorcellerie. p 18.
41- J. Palou: La sorcellerie. p 110.
42- Vues d'Avicenne sur l'astrologie. p 7.
٤٣- نقله ابن القيم في في: مفتاح دار السعادة، ص٤٩٨.
44 - La Fontaine: Les Fables Livre VII fable XV: les Devineresses.
45- Vues d'avicenne sur l'astrologie. p 7.
٤٦- الإنسان وقواه الخفية، لكولن ويلسون، ص٧٩ - ٨٠. وهو روائي وكاتب بريطاني ولد عام ١٩٣١م.
٤٧- ذكر القصة حاجي خليفة في: كشف الظنون ١/٦٩٤ - ٦٩٥، عن مصدرين، وقال: مثل هذه القصة كثير، وهو فرع من فروع السحر، يسمى بالحيل الساسانية. أي نوع من الشعبذة.
48 - l'astrologie. p 98.
٤٩- جريدة الشرق الأوسط، عدد ٢ أبريل / نيسان ١٩٩٨م.
50 - Ency. Univ. article horoscope. 11/691 - 692.
٥١- راجع: Les Grecs et l'irrationnel. p 235 - 236.
52- Les Mentalites. p: 85.
53- l' alchimie. p: 119.

# الظواهر الببليوجرافية وإشكالياتها في ترجمة المسرحيات الأجنبية

**أمين سليمان سيدو**
الرياض ـ السعودية

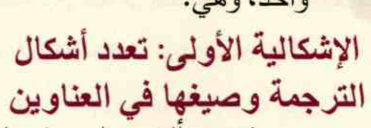
**كان المسرح وما زال يحتل مكانًا مميزًا بين الفنون الأخرى؛ لأنه يصور الحياة الاجتماعية والثقافية والأدبية في أي مجتمع، وله تأثير كبير في ثقافات الشعوب، وباعث على الوعي الحضاري لها.**

وقد نشطت حركة ترجمة النصوص المسرحية وتعريبها من الآداب العالمية إلى اللغة العربية؛ بهدف التواصل الثقافي، والاطلاع على آداب هذه الشعوب، والتعرف إلى تجاربها في هذا الفن الأدبي الرفيع؛ لأن بدايات الترجمة بدأت منذ وقت مبكر، وانصبت جهود المترجمين على اللغة الفرنسية أولاً، ثم اللغة الإنجليزية، وقد ترجم أيضاً بعض المسرحيات عن اللغات الأخرى، كالألمانية والروسية، وغيرهما، فكانت الترجمة إحدى وسيلتين اتصل بهما الأدب العربي بالآداب الأجنبية، أما الوسيلة الأخرى فهي الاطلاع المباشر على هذه الآداب في لغاتها الأصلية، وتزايد عدد الأعمال المسرحية يوماً بعد آخر، خاصة مع كثرة نشوء


فكتور هيجو

الفرق المسرحية المتعددة في العالم العربي؛ مما استدعى الترجمة لتغطية النقص في النصوص المحلية.

وهناك عدة إشكاليات تتعلق بقضايا ترجمة النصوص المسرحية وتعريبها، وتزيد من أعباء المفهرسين في المكتبات ومراكز المعلومات، والباحثين المهتمين بعملية الضبط الببليوجرافي، وتوحيد المصطلح المترجم، وتكرار الجهود نفسها في ترجمة نص مسرحي واحد، وهي:



## الإشكالية الأولى: تعدد أشكال الترجمة وصيغها في العناوين

ـ «توباز» مسرحية من تأليف مارسيل بانيول، ترجمها إبراهيم الكيلاني بهذا العنوان، ونشرتها مكتبة

أطلس بدمشق عام ١٩٦١م، ثم ترجمها محمود زمزم بعنوان «طوباز» ونشرت ضمن سلسلة المسرح العالمي التي تصدرها وزارة الإعلام الكويتية عام ١٩٨٤م.

- «حياة جاليلي» مسرحية من تأليف برتولت برشت، ترجمها مصطفى رانية، ونشرتها دار التضامن بالقاهرة عام ١٩٦٧م، ثم ترجمها بكر الشرقاوي بعنوان «حياة غاليلية» ونشرتها دار الفارابي ببيروت عام ١٩٨١م.

- «أفيجينا» مسرحية من تأليف جوهان ولفانج جوته، ترجمها محمود إبراهيم الدسوقي، ونشرتها مكتبة النهضة المصرية في القاهرة عام ١٩٦٤م، وترجمها حسن صقر بعنوان «إيفجينيا» ونشرتها وزارة الثقافة بدمشق عام ١٩٩٤م.

وهناك مسرحية أخرى بعنوان «إيفجيني» لجان راسين، ترجمها مصطفى ماهر، ونشرتها مؤسسة كامل مهدي للطباعة والنشر بالقاهرة.



عدد كبير من المسرحيات تم ترجمته إلى العربية أكثر من مرة

- «بنات تراخيس» مسرحية من تأليف سوفوكليس، ترجمها أحمد عثمان ونشرتها وزارة الإعلام بالكويت عام ١٩٩٠م، ثم ترجمها أمين سلامة بعنوان «سيدات تراخيس» ونشرتها الدار القومية للطباعة بالقاهرة عام ١٩٦٦م، وترجمها أيضاً علي حافظ بعنوان «نساء تراخيس» ونشرت ضمن سلسلة المسرح العالمي التي تصدر بالكويت عام ١٩٧١م.

- «عرس الدم» مسرحية من تأليف فيدريكو غارسيا لوركا، ترجمها علي سعد ونشرتها دار المعجم العربي عام ١٩٥٤م، وترجمها أيضاً عبدالرحمن بدوي بالعنوان نفسه، ونشرتها دار النهضة المصرية عام ١٩٤٦م، وترجمها عبدالله العمراني بعنوان «العرس الدموي» ونشرتها وزارة الإعلام بالكويت عام ١٩٧٦م.

- «الاعترافات الكاذبة» مسرحية من تأليف ماريغو،

ترجمها رفيق الصبان، ونشرتها دار دمشق بدمشق عام ١٩٦٢م، وترجمها يوسف البدري بعنوان «التصريحات الكاذبة» ونشرها المجلس الوطني للتراث والآداب بالكويت عام ١٩٩٧م.

## الإشكالية الثانية: تكرار الجهود في ترجمة النص الواحد

- «الإمبراطور جونز» مسرحية من تأليف يوجين أونيل، ترجمها أنيس منصور، ونشرتها مكتبة الأنجلو المصرية في القاهرة عام ١٩٥٩م، ثم ترجمها أيضًا عبدالله عبدالحافظ ومحمد إسماعيل الموافق، ونشرت ضمن سلسلة المسرح العالمي التي تصدرها وزارة الإعلام بالكويت عام ١٩٨١م، مع مسرحية الغوريلا.

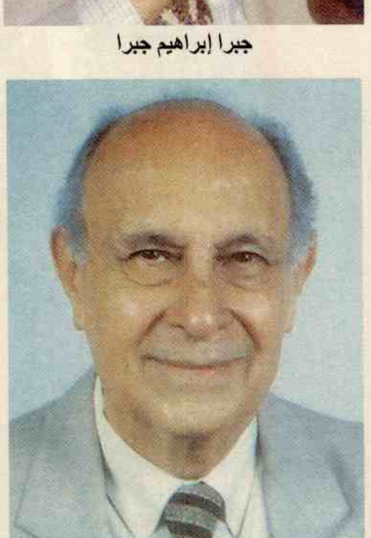
- «قيصر وكيلوباترة» مسرحية من تأليف جورج برناردشو، ترجمها إبراهيم رمزي وطبعت بمطبعة التقدم بالقاهرة عام ١٩١٤م، وترجمها أيضًا بالعنوان نفسه صالح مهدي الشريدة، وطبعت بمطبعة دار المعرفة ببغداد عام ١٩٥٥م.

- «بستان الكرز» مسرحية من تأليف أنطون بافلوفتش تشيخوف، ترجمها محمد طاهر الجبلاوي، ونشرتها مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة عام ١٩٤٨م، وترجمها أيضًا عن الفرنسية سهيل إدريس وأميل شويري، ونشرتها دار العلم للملايين ببيروت عام ١٩٥٤م.

- «فاوست» مسرحية من تأليف جوهان ولفانج جوته، ترجمها محمد عوض محمد، ونشرتها لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٧١م، وترجمها أيضًا عبدالرحمن بدوي، ونشرتها وزارة الإعلام بالكويت عام ١٩٨٩م.



جبرا إبراهيم جبرا



وديع فلسطين

- «المفتش» مسرحية من تأليف نيكولاي فاسيليفتش جوجول، ترجمها إسماعيل حسني، ونشرت في حلب عام ١٩٤٦م، وترجمها أحمد عبدالغفور عطار، ونشرتها دار ثقيف عام ١٩٧٨م، وترجمها أيضًا شريف شاكر، ونشرتها وزارة الثقافة بدمشق عام ١٩٨٥م.

- «إليكترا» مسرحية من تأليف جان جيرود، وترجمها محمد غلاب ونشرتها وزارة الثقافة ببيروت، وترجمها أيضًا يوسف محمد رضا، ونشرت ضمن سلسلة «من المسرح العالمي» التي تصدر عن وزارة الإعلام بالكويت عام ١٩٧٢م.

- «غادة الكاميليا» مسرحية من تأليف إسكندر دوماس الابن، ترجمها عبدالقادر أحمد زكي أبو شادي، ونشرت في القاهرة، ثم نشرها عبدالقادر بك العظم، ونشرتها مطبعة الاعتدال بدمشق عام ١٩٤٧م.

- «الأب» مسرحية من تأليف أوغست ستريندبرغ، ترجمها وديع فلسطين، ونشرت في القاهرة عام ١٩٤٥م، وترجمها أيضًا محمد توفيق مصطفى، ونشرت ضمن سلسلة «من المسرح العالمي» التي تصدر عن وزارة الإعلام بالكويت عام ١٩٧٢م.

- «أوديب الملك» مسرحية من تأليف سوفوكليس، ترجمها علي أحمد با كثير، ونشرتها لجنة التأليف للجامعيين، ودار الكاتب المصري بالقاهرة عام ١٩٤٩م، ثم ترجمها علي حافظ ونشرت ضمن سلسلة «من المسرح العالمي» التي تصدرها وزارة الإعلام بالكويت عام ١٩٧٢م.



يتكرر عنوان المسرحية نفسها عند أكثر من كاتب

- «العاصفة» مسرحية من تأليف وليم شكسبير، ترجمها ناشد سيفين وطبعت في المطبعة الرحمانية بالقاهرة عام ١٩٢٩م، وترجمها أيضًا إسكندر جرجس، ونشرت في القاهرة عام ١٩٢٩م، ثم ترجمها محمد عوض إبراهيم، ونشرتها دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٥٠م، وترجمها أيضًا جبرا إبراهيم جبرا، ونشرت ضمن سلسلة «من المسرح العالمي» التي تصدر عن وزارة الإعلام بالكويت عام ١٩٧٩م.

- «عطيل» مسرحية من تأليف وليم شكسبير، ترجمها خليل مطران، ونشرتها دار المعارف عام ١٩٧٦م، ثم عرّبها جبرا إبراهيم جبرا، ونشرت ضمن المآسي الكبرى لشكسبير عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت عام ١٩٨٦م.

**من إشكاليات ترجمة المسرحيات الأجنبية: تعدد أشكال الترجمة وصيغها في العناوين، واختلاف كتابة أسماء المؤلفين وتكرار العنوان**

- «مكبث» مسرحية من تأليف وليم شكسبير، ترجمها عبدالملك إبراهيم وإسكندر جرجي عبدالملك، وطبعت في مطبعة التقدم بالقاهرة، ثم ترجمها محمد عفت شعراً، ونشرت في القاهرة عام ١٩١١م، وترجمها أيضًا أحمد محمد صالح، وطبعت بمطبعة غرزوزي بالإسكندرية عام ١٩١١م، وترجمها عبدالفتاح السرنجاوي ونشرت بالقاهرة عام ١٩٣٢م، ثم ترجمها خليل مطران، ونشرتها دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٥٠م، ثم عرّبها أيضًا خليل مطران، ونشرتها دار مارون عبود ببيروت عام ١٩٧٤م، وترجمها أيضًا غازي جمال، ونشرتها دار القلم ببيروت عام ١٩٧٨م، وعرّبها جبرا إبراهيم جبرا، ونشرت ضمن المآسي

الكبرى لشكسبير عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت عام ١٩٨٦م.

- «هاملت» مسرحية من تأليف وليم شكسبير، ترجمها طانيوس عبده ونشرت بالإسكندرية عام ١٩٠٢م، وترجمها أمين الحداد، وطبعت بمطبعة غرزوزي بالإسكندرية عام ١٩٠٧م، ثم ترجمها خليل مطران، ونشرتها دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٤٩م، وترجمها جبرا إبراهيم جبرا، ونشرتها دار مجلة شعر ببيروت عام ١٩٦٠م، وترجمها حرب محمد شاهين، ونشرت عام ١٩٨٧م، ثم ترجمها عبدالقادر القط ونشرت ضمن سلسلة « من المسرح العالمي» التي تصدر عن وزارة الإعلام بالكويت عام ١٩٧١م، وترجمها مؤيد الكيلاني، ونشرتها دار مكتبة الحياة ببيروت عام ١٩٧٥م.

- «هنري الثامن» مسرحية من تأليف وليم شكسبير، ترجمها محمود أحمد العقاد وعثمان القربي، وطبعت بالمطبعة العربية بالقاهرة عام ١٩٢٥م، ثم ترجمها محمد عبدالعزيز أمين، وطبعت بمطبعة التقدم بالقاهرة عام ١٩٢٥م، وترجمها يعقوب إسكندر، وطبعت بمطبعة عين شمس عام ١٩٢٦م، ثم ترجمها سامي جريديني، ونشرتها دار الهلال بالقاهرة عام ١٩٣٦م، وترجمها عبدالرحمن فهمي، ونشرت بالقاهرة عام ١٩٣٦م، ثم ترجمها محمد عوض إبراهيم وطبعت بمطبعة المعارف بالقاهرة عام ١٩٤٧م.

- «هنري السادس» مسرحية من تأليف وليم شكسبير، ترجمها محمد فتحي مصطفى حبيب، ونشرتها دار المعارف بالقاهرة عام ١٩٥٩م، وعرّبها أنطوان رزق الله مشاطي، ونشرتها دار عبود ببيروت.

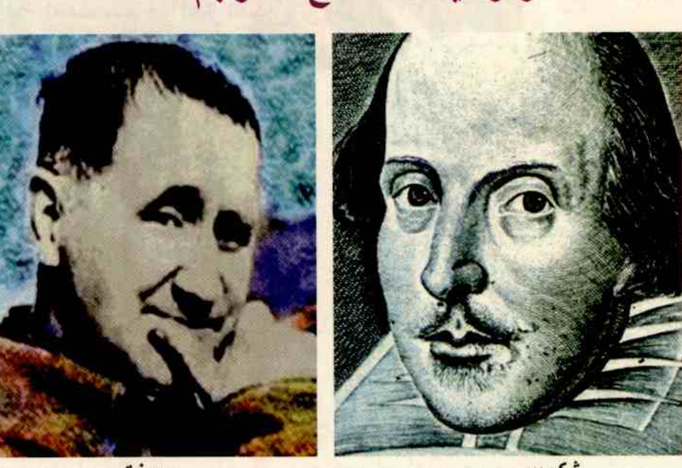
- «يوليوس قيصر» مسرحية من تأليف وليم شكسبير، ترجمها م. صويان ونشرتها مكتبة سمير ببيروت عام ١٩٦٨م، ثم ترجمها محمد عواد العسيلي، ونشرت ضمن سلسلة «من المسرح العالمي» التي تصدر عن وزارة الإعلام بالكويت عام ١٩٧٧م.

«كاليجولا» مسرحية من تأليف ألبير كامو، ترجمها عطية رزق، ونشرتها الدار القومية بالقاهرة عام ١٩٦٦م، ثم عرّبها رمسيس يونان، ونشرت ضمن سلسلة روائع من المسرح العالمي التي تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة عام ١٩٨٢م.

**هناك عدة إشكاليات تتعلق بقضايا ترجمة النصوص المسرحية وتعريبها، وتزيد من أعباء المفهرسين في المكتبات ومراكز المعلومات، والباحثين المهتمين بعملية الضبط الببليوجرافي، وتوحيد المصطلح المترجم**

- «في سبيل التاج» مسرحية من تأليف فرانسو كوبيه، ترجمها حليم دموس وطبعت بالمطبعة الكاثوليكية ببيروت عام ١٩٢٦م، ثم ترجمها مصطفى لطفي المنفلوطي، ونشرت في القاهرة عام ١٩٢٠م، وترجمها حنا رسام، ونشرت في الموصل عام ١٩٤٧م.

- «السيد» مسرحية من تأليف بيير كورني، ترجمها نجيب الحداد، وطبعت بمطبعة قوزما ببيروت،



شكسبير

بريخت

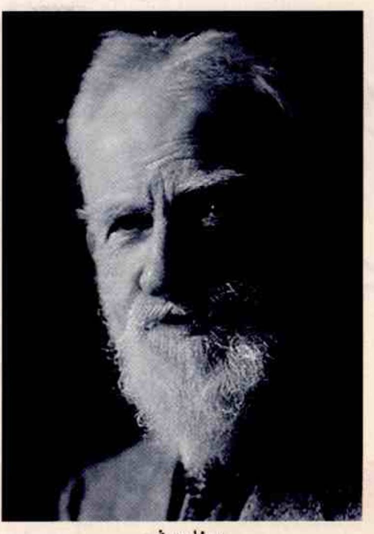
وترجمها كوثر البحيري، ونشرت ضمن سلسلة «من المسرح العالمي» التي تصدر عن وزارة الإعلام بالكويت عام ١٩٨١م.

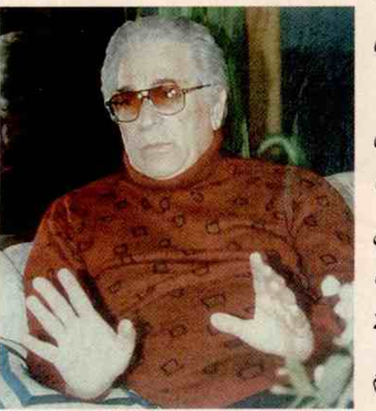
«يرما» مسرحية من تأليف فيدريكو غارسيا لوركا، ترجمها عبدالرحمن بدوي ضمن مسرحيات لوركا، ونشرتها دار النهضة المصرية بالقاهرة عام ١٩٦٤م، ثم عرّبها توفيق عاشور وعز الدين الفراويثي، ونشرتها الدار التونسية بتونس عام ١٩٧٣م.

- «النساجون» مسرحية من تأليف جرهارت هويتمان، ترجمها عن الأصل الألماني محمد عبدالحليم كرارة، ونشرتها مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية عام ١٩٢٦م، ثم ترجمها محمد حديد ونشرتها وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد بدمشق عام ١٩٦٦م، وترجمها سعد الدين توفيق، ونشرت ضمن روائع من المسرح العالمي بالهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة عام ١٩٨٧م.

- «هزاني» مسرحية من تأليف فكتور هيجو، ترجمها زكي طليمات، ونشرتها وزارة الإعلام بالكويت عام ١٩٧٤م، ثم عرّبها خليل مطران، ونشرتها دار مارون عبود ببيروت عام ١٩٧٥م.

- «إبراهيم لنكولن» مسرحية من تأليف جون درينك ووتر، ترجمها عبدالحميد رجب وعبداللطيف الحسيني، وطبعت بمطبعة الهلال بالقاهرة عام ١٩٣٠م، ثم ترجمها إسكندر جرجس، ونشرتها دار الهلال بالقاهرة


برنارد شو


أنيس منصور

أيضًا، وترجمها حنا النمير، وطبعت بمطبعة حجازي بالقاهرة عام ١٩٣٣م، وترجمها سعيد جودة السحار، ونشرتها دار النشر للجامعيين بالقاهرة عام ١٩٤٩م.

## الإشكالية الثالثة:
## كتابة أسماء المؤلفين بصيغ متعددة

- وتكمن هذه الإشكالية في أسماء المؤلفين تأخذ أشكالاً مختلفة في الكتابة، وليس هناك عملية ضبط في توحيد الرسم الإملائي لمداخل المؤلفين والأعلام الأجانب في قواعد المعلومات العربية، يمكن الاعتماد عليها، وهذه نماذج من الأسماء:

| | |
|---|---|
| فرناندو أرابال | فرناندو أرابيل |
| برتولت برشت | برتولد بريخت |
| لويجي بيراندلو | لويجي بيراندللو |
| صاموئيل بيكيت | صموئيل بيكت |
| إسكندر دوماس | إسكندر ديماس |
| سترندبرغ أوغست | ستراندبرج أوجست |
| سوفوكليس | سوفكليس |
| طاغور | تاغور |
| جوجول | غوغول |
| جوتيه | غوتيه |
| أليخاندرو | أليغاندرو |

...... وهكذا

الإشكالية الرابعة: تكرار العنوان نفسه عند أكثر من كاتب:

لوحظ أنه يتكرر أحيانًا عنوان المسرحية نفسها عند أكثر من كاتب، مثل:

«جان دارك» استخدمه فريدريك شيلر، واستخدمه أيضًا جورج برناردشو، كما استخدمه برتولت بريخت.

ومثل هذه الإشكاليات تشتت ذهنية القارئ في معرفة مبتكر هذا العنوان، مثلما يسبب إشكالية في ذهنية المفهرس أيضًا، إلى من يعود هذا العنوان؟ ومن هو صاحبه الحقيقي؟ وإلى من تعود ملكيته الأدبية؟

# مكتبة الإسكندرية: استئناف الدور الحضاري

عبدالسلام سيد محمد
القاهرة - مصر



**تعدّ مكتبة الإسكندرية صفحة مجيدة في حضارة تاريخ العالم وتراثه، وإذا كانت هذه الصفحة قد طويت في حادث مرير فإن مصر بعد هذه القرون تستعيد أمجادها الثقافية من جديد.**

لقد ظلت مكتبة الإسكندرية خلال قرون عديدة كعبة للعلماء ومعقلاً لما أنتجه العقل البشري غير أنه قدر لهذه المكتبة أن تذهب طعمًا للنار مع الأسطول المصري عام ٤٨ ق. م، وقد حاول بعض المؤرخين اليونان أن يسدل الستار على هذا الحادث المنكر لما فيه من تحميل القيصر بعض المسؤولية في حرقه هذه المكتبة؛ لأنهم يريدون أن يجعلوا من تاريخ القياصرة صفحة نقية لا يشوبها سوء غير أن التاريخ لا يعرف المحاباة.

مركز المؤتمرات

والغريب أن تدور في العصور الوسطى رواية ليس لها سند تاريخي تقول: إن العرب قد أحرقوا المكتبة مع أنه قد ثبت أنها قد زالت قبل ذلك بعدة قرون.

وقبل أن نتطرق إلى أهمية إحياء مكتبة الإسكندرية نعود قليلاً إلى تاريخها قديماً ودورها في خدمة العلم والعلماء.

## مكتبة الإسكندرية في عهد البطالسة

كان بطليموس الأول «سوطر» ٣٠٥ ـ ٢٨٣ق. م، حربي النشأة إلا أنه أراد أن ينقل إلى مصر الثقافة الهيلينية فحاط نفسه ـ كما فعل الإسكندر الأكبر من قبل ـ بالعلماء والأدباء، وراسل الفلاسفة اليونان، وكان ببلاطه نخبة من العلماء والأدباء منهم فيليطاس الذي عهد إليه بتربية ابنه بطليموس فيلادلف فلقنه حب العلم



في المكتبة .. تراث من كل العصور


القبة السماوية

والعلماء، ثم الرياضي إقليديس الذي كان يدرس الملك العلوم الرياضية والهندسية والذي ألف للمكتبة عدة كتب، ثم المهندس سوسطراطس الذي شيد منارة الإسكندرية.

وقرر بطليموس الأول أن يجعل من الإسكندرية ليس فقط القلب التجاري للعالم، بل فوق ذلك المنارة التي يشع منها نور العلم والفن، وتجلّى النشاط العلمي في أروع صوره بمساعدة مستشاره ديمتريوس الذي هاجر من أثينا إلى الإسكندرية ومعه عدد كبير من الفلاسفة، فقد كان المشرفون على المكتبة علماء وباحثين يوالون أبحاثهم في المكتبة والأكاديمية لكونها مركز إشعاع حضاري وثقافي.

## تأسيس المكتبة

اختلف الأقدمون حول المؤسس الحقيقي للمكتبة فمنهم من نسب ذلك إلى بطليموس الأول، ومنهم من عزاها إلى بطليموس فيلادلف، ومنهم من قال: إنها أسست في المدة بين عامي ٢٨٦ و٢٨٤ ق. م، حيث كان فيلادلف مشتركًا مع أبيه في الحكم، والأرجح - كما يقول محمد أحمد حسين في كتابه مكتبة الإسكندرية في العالم القديم - أن المكتبة أنشئت في عهد بطليموس الأول وهو الذي أمر بترجمة كتب العهد القديم «التوراة» إلى اللغة الإغريقية؛ وذلك ليودعها مكتبته التي شيّدها بمعاونة ديمتريوس الذي كان يعلم الكثير عن مكتبة «أرسطاليس» أول مكتبة أنشئت في أثينا، وقد حاكوها في إنشائهم لمكتبة الإسكندرية، وإن بطليموس الأول هو الذي جمع الكتب الموجودة في المعابد المصرية، وجعلها نواة للمكتبة التي شيدها في الجهة الشرقية من القصر


الجدران تحمل كتابات بلغات العالم المختلفة

الملكي، وكذلك جمع مخطوطات من أثينا ورودس ورتب الموظفين والنساخ وأقام المباريات الأدبية بين العلماء، وأغدق عليهم المنح والرتب، وعلى أية حال فالتاريخ يؤكد أن المكتبة بلغت ذروتها في عهد فيلادلف مما جعل الكثيرين ينسبون إنشاء المكتبة إليه.

## السرابيوم

بلغت المكتبة أوجها في عهد بطليموس الثاني ٢٨٥-٢٤٧ ق. م، فقد أرسل إلى جهات الأرض العلماء ليجلبوا له التقارير والحيوانات التي حفظت بجوار الأكاديمية ليتمكن العلماء من تدوين مشاهداتهم والقيام ببحوثهم العلمية، فقد أرسل أرسطون إلى بلاد العرب ليكشف له تلك البقاع، وقد ذكر بعض المؤرخين أن فيلادلف اشترى جزءاً من مكتبة أرسططاليس؛ وذلك بعد موته، وما يؤكد ذلك أن كتب مكتبة الإسكندرية قد زادت زيادة كبيرة مما أضطر فيلادلف عام ٢٥٠ ق. م، أن يؤسس مكتبة ثانية في معبد السرابيوم.

**قبة سماوية لعرض أفلام مجسمة عن الأجرام والمجموعة الشمسية، ونسخ أصلية من كتاب الموتى على ورق البردي، وكتاب الجغرافية لبطليموس**

كما أنه طلب من مانيثون الكاهن المصري أن يضع تاريخاً لمصر باللغة اليونانية فاعتمد على أرشيف هليوبوليس وما به من وثائق تاريخية في تأليف مصنفه الذي عالج فيه تاريخ مصر من عهد الإسكندر الأكبر، ولكن لسوء الحظ ضاع هذا المؤلف



إطلالة من داخل المكتبة

القيم، وإن كان بعضهم قد حفظ بعض كتاباته (١).

وحق للإسكندرية أن تتفاخر على العالم بمكتبتها التي ضمت عصارة العلم والفكر. فبطليموس الجغرافي مثلاً وقف حياته لبحوثه الفلكية، وظل ما يربو على أربعين عامًا يدون ما يرصده في كانوب «أبو قير الحالية» وقد اشتغل بالرياضة وحساب المثلثات والموسيقى والتاريخ والفلسفة، وقد ترجمت كتبه إلى اللغة الفارسية واللاتينية والعربية، وهذا واحد من مئات المؤلفين والعلماء في عصر المكتبة.

وبلغ عدد الكتب التي ذكرها المؤرخون ما بين ٤٥ ألف مجلد أو لفافة من لفائف البردي و٧٠٠ ألف مجلد، وحرقت كلها أيام يوليوس قيصر، وأن مكتبة السرابيوم، وهي المكتبة الفرعية، كانت تحوى ٣٠٠ ألف مجلد (٢).

**كانت أول جامعة عالمية تضم أعظم علماء العالم فقد أنشأها بطليموس الأول، وأحرقها يوليوس قيصر، وأعيدت الآن في موقعها القديم نفسه**

أما في عهد بطليموس الثالث ٢٤٧- ٢٢١ ق. م، فإن أكبر شخصية ظهرت في عصره هو أمين المكتبة أراطوثينس الذي ذاع صيته في أثينا مما دعا بطليموس الثالث لطلب استدعائه عام ٢٣٥ق. م، وعهد إليه بإدارة المكتبة وهو يعد بحق «الأفلاطون الثاني» فقد نبغ في كل فروع معارف البشر فكتب في النحو والهندسة والفلسفة والجغرافية والرياضة وألف عن



الإسكندرية وتراث عمراني فريد

حياة الإسكندر الأكبر ورسم خريطة للعالم في عصره وكتب عن الكوميديا القديمة وحبذ نظرية أفلاطون في الفلسفة وألف في الفلك والميقات.

### أمناء المكتبة

أما بخصوص أمناء المكتبة وتاريخ تعيينهم فقد كشفت لنا الأوراق البردية التي عثر عليها الملوك وأباطرة الرومان أنهم كانوا يصدرون مراسيمهم بتعيين أمين المكتبة ويصبح مباشرة عضواً في أكاديمية الإسكندرية وليس هنا أسانيد تدل على ما قيل: إن أمين المكتبة ومدير الأكاديمية شخص واحد، فقد كان مدير الأكاديمية كاهناً من كهنة المعبودة إيزيس التي كانت الأكاديمية تنتسب إليها، فقد ثبت أن زينودوتس كان أول أمين للمكتبة ثم خلفه أبو لونيوس الرودس ثم أرسطوثينس ثم أبو لونيس الإسكندري، وخلفه أرسطفانيس البيزنطي ثم أرستارقس.

وبموت بطليموس الثالث بدأت حقبة جديدة من تاريخ البطالسة كانت مقدمة لانقراض ملكهم وضياع مجدهم، وقد حكم مصر في الحقبة من ٢٢١ـ ١١٦ ق.م، أربعة من ملوك البطالسة، وقد سار نشاط المكتبة من سيئ إلى أسوأ، لكنه لم يتوقف دفعة واحدة، فقد دعا بطليموس الرابع كثيرين من علماء اليونان إلى الإسكندرية، وتم إسناد إدارة المكتبة إلى العالم أرسطونيم الذي كان شاعراً كوميدياً، ولم تكن المكتبة أحسن حالاً في عهد بطليموس الخامس الذي تولى العرش، ولم يبلغ الخامسة من العمر، فكانت مصر موطناً للثورات والاضطرابات، وأخذ الأوصياء يكيد بعضهم لبعض وقد أدى ذلك إلى تدخل الرومان في

شؤون مصر بحجة المحافظة على الأمن، وقد امتد هذا التدهور بالطبع إلى المكتبة.

زادت الفوضى وعمت الدسائس وقام الشقاق بين البطالسة وغزا انطيوخوس الرابع البلاد .. وتولى إدارة مكتبة الإسكندرية في هذا العهد أرستارقس، ومن أهم أعماله الخالدة تعليقاته على أشعار هومر. فقد رتب الإلياذة والأودسيا في ٢٤قسماً وقيل: إنه ترك ما يزيد على ٨٠٠ مؤلَّف.

أما بطليموس السابع ١٤٥ـ ١١٦ ق.م، فقد بدأ باضطهاد كثير من العلماء؛ ولذلك هجر عدد كبير منهم الإسكندرية، و مع ذلك كان مشجعاً للمكتبة، واقترض من معاهد أثينا المخطوطات الأصلية، وكان يعيد لهم النسخ ويبقي الأصول، وقد أصدر أوامره بمنع تصدير البردي إلى برماجون التي تنافسه في أقتناء المخطوطات للمكتبة التي أنشئت بها.

في أواخر حكم البطالسة ١١٦ـ٣٠ ق. م، انقسمت البلاد شيعاً وأحزاباً، وتمكن بطليموس الحادي عشر من اللجوء إلى الرومان يستجدي منهم المعونة لكي يعيدوا له عرشه الضائع.

## قيصر وكيلوباترة

وفي أثناء ذلك كان يوليوس قيصر قد هزم بومبي في موقعة فارساليا، وفرّ الأخير إلى مصر حيث لقي حتفه، أما قيصر فقد تبعه إلي مصر حيث كان إيلاس وثيودوطس يقومان بالوصاية على الملك الصغير.

وصل قيصر إلى الإسكندرية في أكتوبر ٤٨ ق. م. وأخذ يخادع المصريين مظهراً لهم أنه لا يبغي غرضاً حربياً لذلك أخذ يشغل نفسه بزيارة الآثار كأنه سائح، ولما تقابل مع بطليموس الملك الصغير أظهر له أنه يريد أن يسوي النزاع القائم بينه وبين أخته كليوباترة، وفي أثناء ذلك كانت كليوباترة قد تمكنت من أن تتسلل إلى القصر الملكي حيث كان يقيم يوليوس قيصر، وفي مظهر روائي قدمت شكواها لقيصر باكية مستجدية ونجحت في أن تجعل منه محامياً وقد أدى موقفه هذا إلى حرب الإسكندرية؛ إذ قام أخيلاس وبوثنيوس بتعبئة الجيش المصري، وقد



صورة من أعمال التشييد والبناء

بدأت الحرب حيث كان ينزل قيصر بالقصور الملكية التي كانت تطل علي الميناءالشرقي.

## حريق المكتبة

كانت جيوش البطالسة تفوق جيوش قيصر فكانت تزيد على ٢٠ ألفاً وحاول آخيلاس أول الأمر أن يحاصر قيصر بحرياً وبرياً بواسطة الأسطول المصري



لكن قيصر قرر أن يمنع آخيلاس من الانتفاع به فأشعل النار فيما يزيد على مئة وعشرين سفينة وساعدت الرياح على اتساع مدى الحرائق فأتلفت دار الصناعة وما جاورها من المباني ومن بينها مكتبة الإسكندرية العظمى، وقد ذكر المؤرخون أن عدد الكتب التي حرقت بلغ ٤٠٠ ألف مجلد.

ولهذا نرى أن مارك أنطوان يعوض كليوباترة من هذه الخسارة بإهدائه إليها ما يقرب من ٢٠٠ ألف مجلد من مكتبة ملوك برجامون.

وقد اختلف المؤرخون في المكان الذي وضعت فيه كليوباترة هذه الكتب، فقال بعضهم: إنها وضعت في السرابيوم، وقال آخرون: إنها وضعت في غرف خاصة

في القصور الملكية إلى أن تم تشييد معبد القيصرية التي أنشئت فيها بعض المكتبات في حي البروكيم.

وليس من شك في أن حريق مكتبة الإسكندرية قد أضاع على العالم مؤلفات ثمينة لمؤلفين لم تصل إلينا أسماؤهم وضاع على الحضارات تراث مجيد لا يمكن أن يعوض.

## العصر الروماني

بانقراض دولة البطالسة وخضوع مصر للحكم الروماني غدت البلاد مخزناً للغلال، وأصبحت الإسكندرية مركزاً تجارياً، ففي عهد أغسطس حتى حكم كلوديوس ٣٠ - ٥٤م. كان الاهتمام بالعلم والعلماء قاصراً على الأكاديمية التي تحولت إلى معهد دراسي.

وفي هذه الأثناء بدأ ينتشر الدين المسيحي ومع عهد نيرون ٥٤ - ٦٨م، تم هدم مكتبة السرابيوم وما بها من تراث أدبي وعلمي وكان ذلك ايذاناً بزوال عالم قديم ونشأة عالم جديد. وقاست الإسكندرية من جراء النضال، وفقدت ثلث سكانها في عملية إخماد ثوراتها الدينية، وازداد الصراع العنيد بين الحضارة القديمة والدين المسيحي، تهدمت فيه معاقل الحضارة الإغريقية ومعابدها ومبانيها.

ولما تمكنت جيوش الفرس من اجتياح سورية وفلسطين هرع كثير من سكان تلك الأقاليم إلى مصر هاربين من الغزاة. ولما اجتاح الغزاة الدلتا اكتظت الإسكندرية باللاجئين من مختلف الجنسيات، وقد خضعت مصر لحكم الفرس مدة عشر سنوات إلي أن تمكن هرقل ٦١٠ -٦١٤م، من طردهم نهائياً من مصر مما أثر سلباً في العلوم والآداب بمصر، ولا شك أن الكثير من تراث الإسكندرية ذهبت به هذه القلاقل واندثر قبيل قدوم العرب إلى مصر.



الإسكندر الأكبر

## ما يقال عن حريق المكتبة على يد عمرو بن العاص

ذكر أبو الحسن علي بن يوسف القفطي ١١٧٢ - ١٢٤٨م، في كتابه «تاريخ الحكماء» رواية حريق المكتبة على يد عمرو بن العاص وقد كان أبو العبري «جورج أبو الفرج» ١٢٢٦ - ١٢٨٦م، أول من نقلها عنه وتداولها بعد ذلك بعض المؤرخين أمثال البغدادي والمقريزي.

تقول الرواية: إن يحيى النحوي المعروف بغرماطيقوس، وقد كان نصرانياً يعقوبياً، لكنه رجع عما يعتقده مما دعا الأساقفة بمصر أن يسقطوا عنه منزلته، وعاش إلى أن فتح عمرو بن العاص مدينة الإسكندرية. ولما دخل على عمرو أكرمه مما جعله يلازمه كثيراً، وفي أحد الأيام قال يحيى لعمرو: لقد أحطت بحواصل الإسكندرية وبكل الأصناف

## حقائق وأرقام

- نبعث فكرة إعادة بناء مكتبة الإسكندرية من محاضرة ألقاها الدكتور مصطفى العبادي أستاذ التاريخ القديم بجامعة الإسكندرية في عام ١٩٧٢م، فتحمس الدكتور لطفي دويدار رئيس الجامعة في ذلك الوقت للفكرة.
- شعار المكتبة قرص الشمس، والبحر، والفنار.
- ويتميز المبنى بشكله الدائري الذي يوحي بقرص الشمس غير المكتمل، ويحيطه من الخارج جدار من الجرانيت، نقشت فوقه حروف بكل لغات العالم وكتاباته، ومن مختلف العصور إيحاء بعالمية المكتبة وعالمية المعرفة في مكان واحد.
- تتكون المكتبة من ١١ طابقًا، أربعة منها تحت الأرض، وسبعة فوقها.
- حائط المكتبة مبطن بالجرانيت الذي أحضر من أسوان .. وعدد الاحجار ٤٢٠٠ حجر، ويقترب وزن الحجر الواحد من طن.
- تضم المكتبة القبة السماوية، ويوجد بها متحف للعلوم الحديثة، مساحته نحو ٤٥٠ مترًا مربعًا، كما تضم مكتبة للشباب، ومكتبة للمكفوفين، وأخرى للموسيقى، ومتحفًا للمخطوطات، ومعملاً للترميم.
- بلغت تكلفة المشروع ٢٥٠ مليون دورلار.
- من الصعوبات التي واجهت المشروع اختلاف الطوابق في الشكل والتوزيع والسطح والتشطيبات والخدمات الملحقة به من كهرباء وميكانيكا ومصاعد وغيرها.
- أنشىء محجر خاص بأسوان لتوفير الجرانيت وضمان تجانسه من حيث اللون والشكل.
- ترأست السيدة سوزان مبارك حرم الرئيس المصري مجلس أمناء المكتبة الذي يتكون من اثنين وعشرين عضواً بصفتهم الشخصية، بالإضافة إلى خمسة أعضاء بصفتهم الرسمية، وهم وزراء التعليم العالي، والثقافة، والخارجية، ومحافظ الإسكندرية، ورئيس جامعة الإسكندرية، والأعضاء من جنسيات مختلفة.

[الفيصل]

المصدر: أسطورة الإسكندرية: قصة أشهر مكتبة في العالم، أخبار اليوم، ٢٠٠٢م.

الموجودة فيها، فأما مالك به انتفاع فلا أعترضك فيه، وما لا نفع لكم به فنحن أولى به فقال عمرو: لا يمكنني أن آمر فيها بأمر إلا بعد أستئذان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب. وكتب إلى عمر فرد عليه كتاب عمر يقول فيه: وأما الكتب التي ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله عنه غنى، وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله فلا حاجة إليها فتقدم بإعدامها، فقام عمرو بن العاص بتفرقتها على حمامات الإسكندرية وإحراقها في موقدها وقد استنفذت في مدة ستة أشهر.

### براءة العرب

وينتقد المؤرخون هذه الرواية ويؤكدون: أن يحيى النحوي الذي تدور الرواية حوله لم يكن على قيد الحياة عام ٦٤٢م، فالمصادر التاريخية تدل على أنه كان من معاصري سيفريوس الأنطاكي ولم يكن معاصراً لجورج البيسدي الذي مات أوئل القرن السابع الميلادي. فلو صح أنه كان على قيد الحياة لكان عمره آنذاك ما يقرب من ١٢٠ سنة، فيحيى إذن مات قبل أن يأتي عمرو إلى الإسكندرية.

هناك روايات شبيهة بتلك الرواية ذكرت عن مكتبات الفرس وإن رداً كهذا صدر عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أيضًا فليس ببعيد أن يكون ذلك من صنع الرواة فهناك نوع من الاتساق المصطنع في صيغة الرواية.

عدم منطقية هذه الرواية إذ لا يمكننا أن نتصور أنه بدلاً من حرق الكتب دفعة واحدة إذا كان في نية العرب التخلص حقًا من تراث الوثنية .. نجدهم يفرقونها على الحمامات مدة ستة أشهر فتتاح فرصة لمن يريد إنقاذ ما يمكن إنقاذه، فلا شك أن العرب لم

يكونوا ليرضوا عن ذلك إذا كان غرضهم القضاء على الكتب.

زار المؤرخ مسكوس وزميله سفرنيوس مصر قبل الفتح العربي لمصر وتحدثا عن مكتبات الإسكندرية ولم يذكرا شيئًا عن مكتبة الإسكندرية فلو صح أن لها وجوداً آنذاك لما أحجما عن ذكر شيء من أثرها.

لم يذكر المؤرخون العرب والإغريق شيئًا عن هذا الحريق المزعوم طوال مدة ستة قرون بعد الفتح إلى أن يأتي ابن القفطي وابن العبري في القرن الثالث عشر الميلادي ويطلعا على الملأ بهذه الرواية المزعومة.

القيصر، وإن هذا المعبد هدم ومكتبته في أثناء الثورة الدينية عام ٣٦٦م.

إنه في الصراع العنيد الذي دار بين الوثنية والمسيحية في القرن الرابع الميلادي هدم معبد السبرابيوم ومكتبته الذي كان معقل النشاط الفكري نحو عام ٣٩١م، ولم يرد خبر على لسان المؤرخين المعاصرين مسيحيين وعربًا وإغريقًا طوال القرنين الخامس والسادس الميلاديين مما يدل على عدم وجود المكتبة قبل الفتح العربي .. وعلى فرض وجودها عند الفتح العربي فالتاريخ يؤكد أن العرب لم يدخلوا الإسكندرية إلا بعد ١١ شهراً من الفتح وكان من شروط المعاهدة أن للرومان أن يأخذوا من المدينة ما شاؤوا من آثار وتحف فهل أغفل العلماء قيمة الكتب(٣).

## إحياء المكتبة

ومع بداية القرن الجديد تدخل مكتبة الإسكندرية التاريخ من أوسع أبوابه. فالمدينة الخالدة تقتحم عام ٢٠٠٠م بأكبر إنجاز في تاريخها الحديث وأضخمه، هو مشروع إحياء مكتبة الإسكندرية المكتبة التي تمثل منارة للعلم والمعرفة لكل دول العالم، وقد حظي المشروع منذ البداية باهتمام الدول واليونسكو ورعايتهما.

وتعود أهمية المكتبة إلى أنها تساهم في استعادة تراث إنساني بتجاوز اهتمام مصر وحدها؛ ولهذا فقد تعددت الجهات الدولية التي دعمت المشروع؛ فمنظمة اليونسكو قامت بإعداد دراسات الجدوى للمشروع، وعدّته أحد مشروعات العقد الثقافي العالمي، ومن ثم كان النداء لدول العالم أجمع من أجل الإسهام في المشروع سواء أكان ماليًا أم عينيًا. وفي فبراير/ شباط عام ١٩٩٠م، صدر إعلان أسوان التاريخي، وبعدها توالت مظاهر الدعم العربي

عملات رومانية

كتب حنا النقيوسي في أواخر القرن السابع الميلادي كل شيء عن الفتح العربي لمصر، ولم يذكر شيئًا عن حريق المكتبة الذي تدعية الرواية، فلو كان هناك مكتبة أحرقها العرب لقص علينا خبرها.

تاريخ المكتبة يثبت أنها قد زالت من الوجود قبل الفتح العربي بعشرات القرون وقد قضي عليها في أثناء حريق يوليوس قيصر للأسطول عام ٤٨ ق. م.

إن مجموعة الكتب التي أهداها «مارك أنطوان» لكليوباترة عوضاً من حريق المكتبة قد أودعت معبد

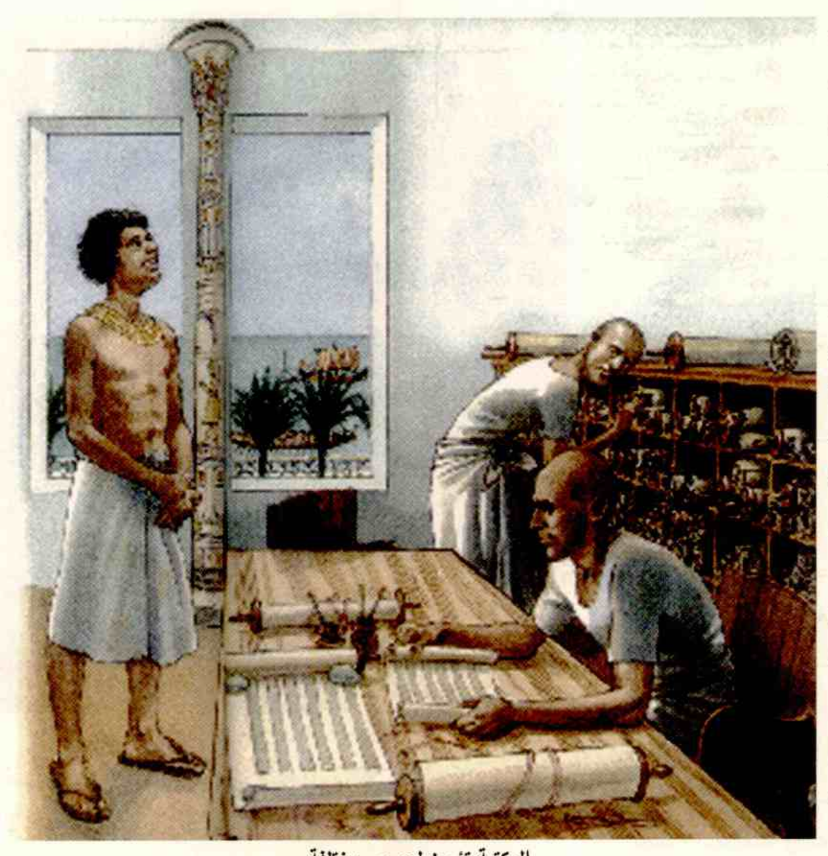
والدولي للمشروع إذ وصل إلى ٦٥مليون دولار مقدمة من السعودية والإمارات والعراق وعمان والنرويج وقدم برنامج التنمية التابع للأمم المتحدة دعماً قدره ١.٢ مليون دولار.

وموقع المكتبة هو نفسه الموقع القديم بالحي الملكي الذي كان مقام عليه المكتبة القديمة أمام شاطئ الشاطبي في منطقة السلسلة بالإسكندرية على مساحة ٤٥ ألف متر، وتطل علي البحر المتوسط مباشرة (٤).

انتهت المرحلة الثانية والأخيرة مع نهاية القرن الماضي بقيمة إجمالية قدرها ٢٥٠ مليون دولار، وتضمنت المرحلة الأولى إقامة أكبر حائط دائري استخدمت فيه أحدث تقنيات التشييد في العالم عمقه ٤٠ متراً وقطره ١٦٠ متراً؛ وذلك حماية لمبنى المكتبة من المياه الجوفية، ومن طبقات التربة السفلية والرطوبة ولمقاومة الزلازل (٥).

أما المرحلة الثانية وتشمل إنشاء المبنى بأنظمته وتجهيزاته الداخلية والخارجية كافة وأعمال التنسيق الخارجي للمبنى وحوله، والذي يتضمن بحيرات صناعية ومناطق خضراء، وقد تم استخدام نظام متميز للسقف الخارجي بحيث يشبه في تصميمه جناح الطائرة ويسمح بدخول الضوء الطبيعي من دون أشعة الشمس وأيضاً تتضمن هذه المرحلة تكسية الحوائط بالجرانيت الأسواني المحفور عليه أبجديات لغات العالم المختلفة تعبيراً عن عالمية الإسكندرية(٦).

أما القبة السماوية والتي صنعت خصيصى في



المكتبة تؤرخ لعصور مختلفة

**المكتبة نقلة حضارية تعيد إلى الإسكندرية مجدها القديم، وهي تستوعب ٨ ملايين كتاب، وقد زينت جدرانها بأبجديات اللغات العالمية**

فرنسا أصبحت محط أنظار أهالي الإسكندرية وزوارها، والغرض الأساسي للقبة هو عرض أفلام خاصة بالمجموعة الشمسية والأجرام السماوية (٧).

وداخل المكتبة نرى مجموعة الفراغات المتكاملة خُصّص كل منها لأحد فروع المعرفة بحيث تكون في النهاية أكبر قاعة قراءة في العالم مجهزة بأحدث نظام إلكتروني للمعلومات المتعددة اللغات، ثم المعهد الدولي للدراسات والمعلومات الذي سوف يتيح الفرصة للدراسات المتقدمة في مجال المعلوماتية ودراسات المكتبات، كما سيتيح الفرصة للباحثين من جميع دول العالم لإجراء أبحاثهم. وكذلك هناك مكتبة لفاقدي البصر، ومكتبة النشء، والمكتبة



من التماثيل التي في المكتبة

السمعية البصرية، ومكتبة الموسيقى ومركز لرجال الأعمال، وتضم المكتبة أيضاً متحفاً يحتوي على بعض القطع الأثرية التي اكتشفت في الموقع في أثناء البدء في المشروع، بالإضافة إلى متحف الخطوط، ومعرض للأعمال الفنية، ومطبعة لطباعة أبحاث العملاء وتبادلها مع المؤسسات العالمية.

وقد تم اعتماد المكتبة كمكتبة إيداع إقليمية لمطبوعات الأمم المتحدة ومنظماتها المختلفة كافة وكذلك لإصدارات الاتحاد الأوربي. وقد تم تجميع مجموعات فريدة من الكتب والمراجع التقليدية والإلكترونية، مثل: الميكروفيلم، والميكروفيش، وإسطوانات السي دي المدمجة والمضغوطة، وذلك عن طريق الإهداءات والاقتناء، وسعة المكتبة تصل إلى ٨ ملايين مجلد، وقد تم استخدام أحدث وسائل الفهرسة والتصنيف؛ وذلك وفق أحدث النظم العالمية في هذا المجال بحيث يستطيع الباحث أن يجد ما يريده من خلال الكاتلوجات الإلكترونية عن طريق استخدام الحاسبات الآلية المرتبطة بنظام المعلومات المتطورة، هذا وقد تم تدريب الكوادر البشرية عن طريق خبراء عالميين، وكذلك إرسال بعثات للتدريب بدول مختلفة ليكونوا فريقاً على أعلى مستوى في المكتبات.

وافتتحت مكتبة الإسكندرية وسط احتفال سبقته حملة إعلامية ودعائية مع بداية عام ٢٠٠٠م، لتستعيد الإسكندرية مجدها من جديد وتصبح منارة للإشعاع الحضاري والثقافي.

### المراجع والهوامش

١ـ مكتبة الإسكندرية في العالم القديم ـ محمد أحمد حسين ـ القاهرة ١٩٤٣م.

٢ـ كانت المكتبة القديمة وقت إنشائها مقسمة قسمين، القسم الأكبر منها في القصر الملكي والقسم الأصغر في معبد السرابيوم إله الشفاء عند المصريين القدماء.
وكانت بها ردهة مكشوفة يحيط بها رواق ذو أعمدة من طابقين وملحق به عدة قاعات والرواق ينثل قاعة الدرس، وكانت تزين التماثيل مدخلها، وكانت الكتب مدونة على البردي وعلى الرقوق على شكل لفائف، ويبلغ طول الملفوفات البردية ٢ قدماً وعرضها ١٠ بوصات وكانت تضم إليها الكثير من العلماء، وعلى رأسهم الفيلسوف أرسطو وإقليدس وكاليمافوس وهيرودوت وآرخميدس .. وقد تم إعادة بعض الكتب النادرة التي كانت موجودة مثل كتاب الجغرافيا لبطليموس ونسخة أصلية من كتاب الموتى على ورق البردي ووصلت نسخة ملونة من أعمال ليوناردو دافنشي ونسخة من الوثائق الكاملة لحفر قناة السويس.

٣ـ مكتبة الإسكندرية في العالم القديم ـ محمد أحمد حسين ـ القاهرة ١٩٤٣م.
المكتبات قديماً وحديثاً ـ محمد الشنيطي ـ القاهرة.

٤ـ في أثناء عمليات الحفر من أجل بناء المكتبة الجديدة تم العثور على عدد من الآثار، منها رأس ملكي لبطليموس الثالث وزوجته ديرينكس، وكذلك ثلاث قطع فسيفساء ترجع إلى العصر الروماني، وأيضاً أعداد كبير من بقايا الأواني الضخمة اليونانية. وتم اكتشف سور أثري قديم يرجح أن يكون جزءاً من أسوار الإسكندرية القديمة.

٥ـ جريدة الأهرام ـ القاهرة ـ ١٩٩٩/٤/٣٢م.

٦ـ مجلة المصور ـ القاهرة ـ ٢ يوليو ١٩٩٩م.

ـ لقد تم استخدام الكمبيوتر في رسم وتقطيع الجرانيت الأسواني طبقاً لمقاسات حروف كل اللغات التي تكسو مبنى المكتبة من الخارج وأول مرة يتم استخدام هذا الجرانيت الذي اكتشف على بعد ٢٥٠ من مدينة أسوان وهذا النوع أكثر سمكاً من الجرانيت العادي.

٧ـ أما الحرم الخارجي للمكتبة فيسمى «ساحة الحضارات التي سوف تضم تماثيل لأشهر علماء العالم القديم وفلاسفته، وبجوار ساحة الحضارات تقام البحيرة الصناعية التي تحيط مبنى المكتبة لتعكس قرص الشمس على الماء كرمز للاشعاع الحضاري، وكذلك الزجاج الملون الذي يتكون منه سطح المكتبة سوف يعكس بألوانه أشعة الشمس داخل المكتبة.

مصدر الصور: الإنترنت.

# البترول وحديث النقم

**خالد حسن**
الإسكندرية - مصر

**يعد موضوع التلوث بالبترول من الظواهر الحديثة نتيجة الا عتماد عليه لكونه أحد أهم المصادر الحيوية للطاقة، فالبترول هو مادة هذا العصر، بالإضافة إلى أنه مصدر لعدد من المنتجات ذات الانتشار الكبير في جميع مجالات الحياة، مثل: المنظفات الصناعية والبلاستيك والمطاط والألياف الصناعية والمبيدات وغيرها.**

ويمثل التلوث بالبترول ومخلفاته الكثير من الخطر على جميع الكائنات الحية، لاحتوائه على الكثير من المركبات الكيماوية التي تختلف في تركيبها وخواصها.

فهو يحتوي على المواد الهيدروكربونية الأروماتية Aromatic Hydrocar-bons*، مثل: البنزين والطولوين والنفتالين وغيرها، كما يحتوي على المواد الهيدروكربونية الأليفاتية Ailphatic Hy-drocarbons بمختلف أنواعها، إضافة إلى المواد الكبريتية Sulphur Com-pounds مثل الكبريتيدات والكحولات الكبريتية، والمركبات النيتروجينية أيضاً Nitrogen Compounds مثل البيريدين والبيرول والكينولين، فضلاً عن المركبات الأكسيجينية Oxy-gen Compounds مثل الفينولات والكريزولات، وأخيراً بعض العناصر الفلزية، مثل: الحديد والماغنسيوم والنيكل والفانديوم والزرنيخ.

وعلى الرغم من الاستخدامات القيمة للبترول ومكوناته، إلا أن معظم هذه المركبات لا تتكيف معها



التلوث وهلع يصيب الإنسان والحيوان

البيئة، بل تبقى إما في الهواء وإما في الماء وإما في الأرض وقاع البحار عدة سنين، ولا يحدث لها تحطم، ثم أصبحت هذه المركبات تمثل مشكلة بيئية كبيرة تلقي بظلالها السوداء على مكونات بيئتنا الحبيبة.

وكثيراً ما سمعنا أن مياه البحار والمحيطات ما هي إلا مستودع لملوثات ونفايات العالم، ولكن.. إلى متى تحتفظ البحار والمحيطات بما تمتلكه من كائنات


حوادث ناقلات البترول تلوث مياه البحار والمحيطات

متنوعة بقدرتها على هضم الفضلات والملوثات؟!

وتتزايد ثورة بركان هذا السؤال يوماً بعد يوم، مع تفاقم المشكلة البيئية، وظهور البؤر التي تنبئ عن مرض البحار والمحيطات بالتلوث، ومن ثم.. فلنا هنا وقفة تأمل مع التلوث البترولي للبحار الذي انضم لرفقاء السوء من شتى الملوثات التي ابتليت بها بحار العالم ومحيطاته.

## مأساة بحرية

تتسبب بعض الحوادث التي تقع لناقلات البترول في تلوث مياه البحر والمحيطات، ويتناسب هذا التلوث مع حجم الناقلة التي وقع لها الحادث، وكذلك مع قربها أو بعدها عن الشواطئ والخلجان، وتزداد درجة التلوث في منطقة الحادث، ففي أغلب الحالات تعمل بقعة الزيت كمذيب، وتبدأ في استخلاص الكثير من المواد الكيماوية الأخرى التي تلقى في البحار مثل المبيدات الحشرية والمنظفات وغيرها، مما يرفع كثيراً من درجة التلوث في منطقة الحادث.

وقد تظهر آثار سامة في منطقة الحادث؛ إذ يقوم المستحلب الناتج من اختلاط الزيت بامتصاص بعض العناصر الثقيلة مثل (الزئبق والرصاص والكادميوم) في مياه البحر، فيزداد بذلك تركيز هذه العناصر في المنطقة المحيطة ببقعة الزيت، وتظهر بذلك آثارها السامة في منطقة الحادث.

كذلك قد تعمل الرياح وحركة الأمواج على زيادة التلوث في منطقة الحادث، فقد تدفع أجزاء من بقعة الزيت نحو الشواطئ المقابلة لمنطقة الحادث فتلوث رمالها وتحيلها إلى منطقة عديمة النفع والفائدة.

وعندما يكون البحر هائجاً تدفع الأمواج العالية بقعة الزيت إلى الاختلاط بما تحتها من مياه، فيكون منها نوع جديد من المستحلبات ينتشر فيه الماء في الزيت، ويظهر هذا المستحلب الجديد على هيئة رغوة سميكة فوق بقعة الزيت وفي كل مكان حولها، ويصعب



آثار التلوث تمتد إلى مناطق بعيدة بسبب الرياح والتيارات البحرية

التخلص من هذه الرغوة في كثير من الأحيان، إذ تتوزع هذه المستحلبات لتغطي مساحات هائلة حول بقعة الزيت، وقد تصل في بعض الأحيان بتأثير الرياح والتيارات البحرية إلى أماكن تبعد عن الحادث مئات الكيلومترات.

فقد ذكر الرحالة النرويجي ثور هايردال Thor Heyerdahl الذي قام برحلته المشهورة من الساحل الإفريقي إلى الساحل الأمريكي على متن قارب شراعي، أنه شاهد هو وبحارته كتلاً يميل لونها إلى السواد تطفو على سطح الماء وتشبه القار، كما وصف هايردال مياه المحيط عند منتصف المسافة بين إفريقية وأمريكا بأنها كانت محملة بمختلف القاذورات والنفايات التي تلقيها السفن، وأن لون الماء كان يميل إلى اللون الأخضر الرمادي بدلاً من اللون المعروف للمياه النقية الصافية.

وقد علق هايردال على ذلك بقوله ساخراً: «إن النظر إلى هذه المياه الخضراء الرمادية وغير الصافية في وسط المحيط أعطاه إحساساً بأنه في أحد الموانئ، أو أن قاربه يطفو وسط مياه الصرف الصحي!».

وقد يمتد التلوث الناتج من بقعة الزيت ليشمل قاع البحر، وذلك لأنه بعد أن تتبخر الأجزاء الطيارة من بقعة الزيت خلال الأيام التالية للحادث، ويذوب منها جزء آخر من مياه البحر عن طريق تكوين المستحلبات، تتبقى منها الأجزاء الثقيلة غير القابلة للتطاير ولا للذوبان، وتبقى هذه الأجزاء الثقيلة طافية فوق سطح الماء مدة ما، وتتحول تدريجيًا إلى كتل صغيرة سوداء متفاوتة الأحجام تعرف باسم «كرات القار Tar Balls» وهي تنتج من أكسدة مكونات البترول الثقيلة بأكسجين الهواء الجوي.

قد يصحب تلوث المياه بزيت البترول كذلك في كثير من الأحيان نوع آخر من التلوث يشبه التلوث الكيماوي، فعندما يتسرب الزيت إلى مياه البحار



التلوث يحيط بالمدن

تتكون منه طبقة متوسطة السمك فوق سطح الماء، ثم تبدأ هذه الطبقة في الانتشار في كل اتجاه، وبمرور الوقت تصبح طبقة الزيت رقيقة جداً عند أطرافها، وعندئذ تستطيع أشعة الشمس أن تخترقها، كما يتمكن أكسجين الهواء من الانتشار خلالها، ويحدث تحت هذه الظروف تفاعل كيماوي ضوئي يشترك فيه كل من أشعة الشمس وأكسجين الهواء ويحفزه بعض الفلزات الثقيلة الموجودة في المستحلبات المتكونة من اختلاط الزيت بالماء، ويترتب على ذلك ظهور أصناف جديدة من المواد الكيماوية حول البقعة الزيتية.

وقد بينت بعض الدراسات أنه بعد انقضاء مدة قصيرة على حادث الناقلة «آمو كوكاديز» وجدت في مياه المنطقة عدة أصناف جديدة من المركبات الكيماوية مثل: (الكحولات، والألدهيدات، والكيتونات، وبعض المركبات الحلقية).

ويا للأسف فإن هذه المواد والهيدروكربونات تتجمع في بعض الأنسجة الحية، مثل: (الأنسجة الدهنية، وأنسجة الكبد والبنكرياس، وبعض أنسجة الأعصاب). ويؤدي ذلك إلى حدوث كثير من الاضطرابات في حياة الكائن الحي.

وقد بينت بعض البحوث أن ١٢٪ من نحو ١٦٠٠٠ عينة من الأسماك والكائنات الحية التي جمعت من خليج سان فرانسيسكو بها بعض الأورام الشاذة، كما وجدت بعض الأسماك وبها نسبة عالية من مركب (بتروبايرن) مختزناً في أنسجتها ـ تصل إلى نحو ١٠٠جزء في البليون ـ وهي نسبة كبيرة جداً وخطيرة على حياة الإنسان الذي يتغذى بها.

يتضح مما سبق أن نظرتنا إلى البيئة المحيطة بنا يجب أن تتغير، كما يجب أن يتغير اعتقادنا بأن مياه البحار والمحيطات هي سلة المهملات الطبيعية التي يمكن أن نلقي فيها بكل أنواع المخلفات، فعلى الرغم من أن المياه تغطي أكثر من ٧٠٪ من مساحة الكرة


خوف دائم من تسرب البترول في أي لحظة

الأرضية، إلا أن طاقة البحار والمحيطات قد أصبحت محدودة اليوم، وبدأت آثار التلوث تظهر فيها بكل وضوح، خصوصاً زيت البترول.

## حرب الخليج وتلوث البيئة

يعد الخليج العربي من أكثر المناطق البحرية عرضة للتلوث، إذ تزيد نسبة التلوث فيه ٤٨ مرة على أي منطقة مماثلة له على سطح الأرض، وله طبيعة هيدروجرافية خاصة، فهو حوض طوله ٩٨٥ كيلومتراً مربعاً وعرضه ٢١٠ كيلومترات مربعة قرب دولة الإمارات العربية المتحدة، وتقدر المساحة الإجمالية له بنحو ٢٣٩ ألف كيلومتر مربع، وحجم مياهه نحو ٨٥٠٠ كيلو متر مكعب، ويعدّ خليجاً شبه مغلق ودرجة ملوحته مرتفعة، كما أنه يتصف بضحالة أعماقه التي تراوح بين ٢٨ متراً ونحو ١٤٠٠ متراً، ولا يجدد مياهه إلا كل ١٥سنة تقريباً. ويتم ذلك من خلال عملية تنفس قدر الله لها أن تكون من خلال عملية شهيق وزفير، فالخليج العربي يأخذ شهيقه من مياه المحيط الهندي النظيفة التي تحمل معها مقومات الحياة لجميع الكائنات البحرية الحية، ويطرد زفيره (المياه المالحة ذات درجة الحرارة العالية والفقيرة في نسبة الأكسجين والنيتروجين).

وأزمة الخليج هي مشكلة بيئية بسبب الصراع على أكثر موارد الطاقة أهمية وهو البترول الذي يتعرض للاستنزاف والنضوب مع أن ٦٣٪ من احتياطي العالم موجود في منطقة الخليج، وتعدّ حرب تحرير الكويت من أكثر الحروب دماراً في التاريخ العربي، ولكن المشكلة الحقيقية هي ما قام به النظام العراقي من تلويث مياه الخليج بالبترول، مما تسبب في كارثة بيئية طويلة المدى.

وقد أعلن خبراء البيئة في العالم أن منطقة الخليج أصبحت بسبب الحرب منطقة كوارث بيئية لاستخدام النفط هدفاً تجريبياً بدءاً من البقعة البترولية العائمة

على مياه الخليج، إلى اشتعال آبار البترول بالكويت، ويمكننا أن نتعرف حجم المأساة التي أصابت البيئة من خلال النقاط الآتية:

ـ لأن الآبار التي تم تدميرها في الكويت من النوع التلقائي بمعنى أن البترول ينبثق منها بالضغط الطبيعي دون حاجة لضخه، فإن إشعال هذه الآبار جعل منها مصدراً متواصلاً للنيران ونتج عن سحابة سوداء هائلة من الأدخنة تتركب من شتى المواد الكيماوية المسببة للحساسية والالتهابات الرئوية وأمراض الجهاز العصبي والجهاز التنفسي والهضمي.

ـ ساعد ارتفاع نسبة الرطوبة في منطقة الخليج على سقوط أمطار دهنية سوداء على إقليم «إيلام» غرب إيران؛ مما أدى إلى تلوث مصادر المياه والمزارع والحيوان.

ـ أحدثت أشعة الشمس المتسلطة على طبقة البترول عملية بخر لبعض المواد البتروكيماوية، التي انتقلت بفعل الرياح وسقطت على شكل أمطار على بلاد أخرى ليس لها علاقة بمكان التلوث الأصلي كتركيا والبلقان وإيران.

ـ إصابة الحياة النباتية والمائية والسمكية ومزارع اللؤلؤ بالكويت، كما أصيبت الحياة البرية بأسوأ الأضرار؛ فقد بدأت أسراب الطيور تتساقط على الأرض نتيجة لإصابتها بالعمى بسبب تسممها من جراء المواد الكيماوية المتطايرة في الدخان المتصاعد من آبار النفط المحترقة، كما لوحظ أن القطط تصاب بالانهيار والصرع بينما طيور الكناري تموت في أقفاصها.

ـ انتشار بقعة زيت ذات محتوى كبريتي عالي على مسطح مائي طوله ٣٥٠ كيلومتراً، وقد دفعت الرياح البقعة نحو الجنوب في اتجاه الساحل السعودي مما هدد محطات تحلية المياه التي يشرب منها نحو ١٠ ملايين نسمة من سكان الحضر الساحلي.

ـ زيادة نسبة ثاني أكسيد الكربون السام، فقد أشارت التقارير الواردة من بعض المستشفيات بالكويت إلى أن أعداد الذين يعانون مشكلات التنفس والنزلات الشعبية قد تضاعف ثلاث مرات خصوصاً في منطقة الأحمدي.

ومما يزيد الفؤاد حزناً.. تقرير علمي أصدره معهد «ماكس بلانك» بألمانيا جاء فيه: «أن أكثر من ١٥٠٠ مليون نسمة سوف يدفعون ثمن حماقة القرار العراقي بغزو الكويت، وأن أكثر من ثلاثين دولة سوف تتأثر بيئتها على المدى الطويل؛ لأن الأمطار الحمضية أغرقت دول جنوب شرق آسيا على الرغم من أنها تبتعد ٣٠٠٠ كيلومتر عن الكويت».

إذاً.. فالمشكلة لها أبعاد اقتصادية وبيئية خطيرة، فضلاً عن أنها لها أبعاد أخلاقية لم يضعها النظام العراقي في حسابه.

## البحث عن الحلول

ولنا أن نتساءل الآن: ما الذي يمكن عمله للتخلص



حرص على على الحياة على الرغم من أجواء التلوث





وسائل عدة للتخلص من البقع الزيتية

من بقع الزيت البترولية؟ بداية نقول: إن هناك عدداً من الطرائق للتخلص من البقع الزيتية ومنها (الطريقة الميكانيكية)، وتعتمد المكافحة الميكانيكية لمثل هذه البقع الزيتية على محاصرتها باستعمال بعض الحواجز الطافية فوق سطح البحر لمنع انتشار الزيت، وباستخدام أجهزة ومعدات خاصة مع الاستعانة بقوارب خاصة مزودة بمضخات ماصة تمتص بقعة الزيت. ومن الواضح أن هذه الطريقة تمكننا من استعادة الزيت دون فقده، وإن كانت هذه التقنية تستغرق وقتاً طويلاً، حتى إن جزءاً كبيراً من هذه

البقع الزيتية تعاني من عوامل المناخ تشتتا وتبخراً، وتتحطم ضوئياً أو بفعل التيارات البحرية مما يزيد من صعوبة عملية المكافحة الميكانيكية، وقد دفع هذا الابتكار إلى إيجاد طرائق كيماوية أكثر كفاءة وسرعة.

وقد تم بالفعل إنتاج مركبات كيماوية تسمى «مواد التفتيت» وحينما ترش على بقع الزيت، تقضي على خاصية التجاذب السطحي بين جزيئات البقعة (الواسعة التنوع في التركيب الكيماوي) وكذلك بين جزيئات البقعة وجزيئات ماء البحر، وتتفتت البقعة لجزيئات دقيقة ما تلبث أن تتجمع سوياً مكونة جزيئات كبيرة متعددة الطبقات، فتزيد كثافتها وتغرق في البحر لتصل إلى القاع.. إذاً فهي لا تقضي على التلوث، وإنما تحجبه عن الأنظار، بل نحن نزيد التلوث الكيماوي لإدخالنا لمركبات التفتيت في البيئة البحرية، والتي قد ثبت عن طريق عدد من التجارب أن لها تأثيرات ضارة على الكائنات البحرية.



الآثار البيئية لحرب الخليج الثانية واضحة للعيان

وتحضرني هنا قصة واقعية توضح التأثير الضار لمثل هذه المركبات، ففي ٢٨ ديسمبر عام ١٩٩٣م شطحت إحدى السفن الضخمة على إحدى جزر الشعاب المرجانية بمحمية رأس محمد بجنوب سيناء في مصر، وفي الصباح الباكر واعتماداً على المد بالبحر الأحمر، قامت بإلقاء كمية كبيرة من حمولتها من الوقود، وطفت مرة أخرى وحاولت الهرب، وقد تبين للفريق البحثي أن إحدى الشركات قامت على الفور باستخدام مواد التفتت والتي أنهت وجود بقعة الزيت على سطح البحر، وانتهت المشكلة من الناحية الأمنية والإعلامية.

ولم تمر إلا ساعات حتى تبين جُرم ما حدث، إنها مناظر درامية تدمى لها القلوب والعيون، فقد كان تأثير اصطدام السفينة بالشعاب تأثيراً كبيراً، فقد أحدث بعض التهتكات والكسور والأضرار بقواعد هذه الشعاب، وقد قُدر التعويض المالي بمليون دولار، وتحتاج الشعاب إلى مئة عام لاستعادة كامل حيويتها.

ولكن هذا التأثير لا يوازن بفعل هذه المواد الفتاكة المفتتة، فقد قضت تقريباً على معظم المجاميع الحية في هذه الشعاب، وبدلاً من الزي المزركش المبهر والألوان الربانية الخلابة، فقد باتت الشعاب تلبس رداء أسود قاتماً ذا رائحة كريهة، فضلاً عن آلاف الأحياء الدقيقة والأسماك التي ماتت من تكنولوجيا الإنسان.

وقد نشطت جهود البحث عن أفضل طرائق المكافحة، وتمّ إنتاج مواد تسمى «الإسفنج الاصطناعي» وهي مادة كيماوية ترش على بقع الزيت فتتشبع ذراتها بالزيت دون الماء وتنتفخ، وعندئذ يسهل جرفها ليعاد اعتصارها والاستفادة من

الزيت مرة أخرى، وهي طريقة مفيدة اقتصادياً وبيئياً، وتطبق حالياً بكثرة في الموانئ وأرصفة التزود بالوقود وأرصفة شحن البترول.

## بكتيريا تلتهم البترول!

الحقيقة أن علماء الهندسة الوراثية لديهم في جعبتهم الكثير والكثير من هذه الأفكار وهي تخليق بكتيريا قادرة على تحمل السمية الحادة لمثل هذه المركبات البترولية بل والتهامها!!

فقد اختار علماء الهندسة الوراثية ثلاثة أنواع من البكتيريا الطبيعية والتي لها القدرة على التهام البترول جزئياً، وكل نوع يتخصص في تحطيم عدد معين من المواد البترولية، ولما كانت ضالتهم المنشودة تطوير بكتيريا قادرة على التهام المواد البترولية بكل مكوناتها وليس جزئياً، فقد قاموا بتهجين صنوف البكتيريا الثلاثة، وهو عمل دقيق ومضنٍ يستوجب تغيير بيئات تربيتها وإجراء عدد كبير من التباديل والتوافيق بين جيناتها المستهدفة للوصول لنوع واحد من بكتيريا جديدة تحمل صفات الثلاث أنواع من البكتيريا.

وبالفعل أثمرت تلك التجارب إنتاج تلك البكتيريا الجديدة التي لا وجود لها في الطبيعة، وتستطيع التهام البترول كلياً. وقد حُضرت منها سلالات نقية وخزنت ويتم حالياً الاستعانة بها عند مكافحة البقع الزيتية. ولقد تم استخدامها على نطاق واسع لمعالجة مشكلات «بحيرات البترول» التي خلفتها حرب الخليج.

وقد استخدمت بنجاح في ولاية «وستفاليا» بألمانيا الاتحادية عندما أغرق البترول مساحات واسعة من الأراضي الزراعية نتيجة انقلاب إحدى شاحنات البترول العملاقة، وتلوث التربة حتى صارت غير قابلة للزراعة.

وهناك عالج الباحثون التربة الملوثة بحقنها بتلك السلالات الجديدة، وما هي إلا أسابيع قليلة حتى كانت المفاجأة المذهلة بجميع المقاييس.. لقد عادت التربة تنبت نباتات مرة أخرى، وبتحليلها وجد أنها خالية من أي متبقيات بترولية. وسرعان ما أعلن أحد المعامل المتخصصة في الهندسة الوراثية في مجال البيئة عن نجاح استخدام سلالات من الفطريات التي لها قدرات عالية على الانتشار الأفقي في رفع قدرتها على هضم عدد، بل معظم المركبات البترولية المعقدة مثل الشموع، والتي لا تذوب في ماء البحر والمحيطات ويكون مصيرها القاع، ولذا سميت هذه الفطريات المحورة بـ «مكنسة القاع».

وتمت دراسة التسلسل الشفري والتتابع الجيني لهذا الفطر، وعرف الجين المسؤول عن انتشاره بسرعة، وبموازنته بكل الجينات السرطانية والمتسببة في انتشار هذه الأمراض بسرعة، فوجد أن هذا الجين المسبب لنوع من سرطان الثدي في الإنسان لا يستجيب للعلاجات المتاحة الحالية، وتلقفت معامل الهندسة الوراثية هذا الاكتشاف في مجال الطب لمعرفة أسباب هذا الجين في الخلايا السرطانية.

وبتقدم التجارب والأبحاث.. اكتشف ترياق من المضادات الحيوية الشديدة التخصص، وتمت تجربتها على عدد من المرضى المتطوعين أثبتت نجاحاً باهراً في تقليص المرض.

### المراجع


١ـ التلوث مشكلة العصر، أحمد مدحت سلام، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٥٢، مطابع السياسة ـ الكويت.

٢ـ التلوث مشكلة اليوم والغد، توفيق محمد قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م.

٣ـ التلوث البيئي والهندسة الوراثية، علي محمد عبدالله: الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩م.

٤ـ الإنسان وتلوث البيئة، محمد السيد أرناؤوط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٩م.

٥ـ بنك المعلومات البيئية، كلية الزراعة، مشتهر، جامعة الزقازيق.

6 - J.A. Calder et al. The Amoco Cadizoil Spill. 1978.

7- T.L. Chow and C.C. Patterson, Earth Planet, Sci, 1966.

8- K.R. Bertine and E.D. Goldberg, Science, 1971.

9- Anderson, J.K. "Genetic Engineering", Zondervan Publishing House. Michigan 1982.

# جذوة

**عبدالله سعد اللحيدان**
الرياض - السعودية

ما الذيْ
في انتظار الفتى
وهو يلهثُ
منذ البداياتِ
حتى صهيل «الزمانْ»؟
دربهُ
أم سوادٌ يُضيءُ؟
النهاياتُ
تلمسُ عينيهِ
في حذرٍ
لا يرى شجرًا
في امتدادِ جناحَيه،
يُشعل أوراقهُ
وحدهُ
في الرحيلِ، ويسري
على
حبل أيّامهِ
والرياحُ
تهزُّ
تُطوِّحُ
عزلتَهُ في المكانْ.
جذوةً
الكلماتِ القديمةِ
أطفأها
في فمِ الضوءِ
والعشبُ يغمرُ
ماءَ الحروف الجديدةِ
والجمرُ بانْ:
لوثةٌ
ثم عاد جديدًا،
وكلُّ
أوانٍ أوانْ.

***



# رسالة إلى إنسان العصر

**مأمون فريز جرّار**
عمان - الأردن



ما أعظم بأسَكَ يا إنسانْ
مهّدتَ البرَّ.. خرقتَ الجوَّ.. عبرتَ البحرَ
وعمّرتَ الأركانْ
استخرجت كنوزَ الأرض.. بنيتَ السدَّ
رفعتَ على العَمَدِ البُنيَانْ
عيناكَ منابعُ إصرارٍ ويداكَ مقابضُ للإتقانْ
وطموحُك يرتادُ الآفاق يشق مجاهيلَ الأكوانْ
بالسمع خرقت جدارَ الصّمتِ وأدركتَ الأصواتْ
بالعينِ قرأتَ تفاصيلَ الأشياءِ وصوّرتَ الألوانْ
بالعقلِ رأيت وجودكَ أدركتَ قوانينَ الأكوانْ

***

هذي آثارُك في كلِّ مكانْ
مدنٌ.. وقرى.. وبوادٍ تنبضُ بالعمرانْ
وحدائقَ باسقةُ الأفنانْ
في ليلك أشعلتَ الأنوارَ تذودُ النَّومَ عن الوَسْنانْ
أحلامكَ صارتْ بينَ يديْكَ
حقائقَ تنطِقُ بالإتقانْ

***

لكنّي أقرأ في عينيك ينابيعَ الأحزانْ
تضحكُ.. تمرحُ.. تلهو.. تُغرِقُ روحَك في صَخَب الألحانْ
لكنَّكَ في أعماقِكَ.. حيرانٌ.. حيرانْ
في قلبكَ شوقٌ للمجهولْ..
يعجزُ عنه فصيحُ بيانْ
هل تبحثُ عن مفتاح الخُلد لتَخرُجَ من أسْرِ الإنسان المحدودِ العُمْرْ؟
هل تطمعُ أن يبقى (الجثمانُ) قصياً عن ظُلُماتِ القبرْ؟

***

يا هذا الإنسانْ
قف في لحظةِ صدقٍ واقرأ قصّةَ عُمركْ

هل تذكرُ قبلَ وجودِكَ ماذا كنتْ؟
هل تذكرُ عهدَ الحمل وأغشيَةِ الظُّلُماتْ
يا طفلاً يدرُجُ فوقَ الأرضِ تقيهِ الأمُّ من العثَراتْ
قِفْ في لحظة صدقٍ واقرأ سِلْسِلَةَ الأنسابْ
يا ابنَ الأمواتِ.. الأمواتْ

***

يا مغروراً بالأشياءْ
أيامُك تسلُبُ عمركْ
تمتصُ رحيقَكَ تزرعُ في جنبيك الداءْ
إن لم تعرفْ ربَّكَ في دنياكْ
فحصادُك يومَ البعثِ هباءْ

***

اِخلعْ نعليكَ تقدّمْ نحوَ النُّورْ
اِغمسْ في هذا الفيضِ وجودَكْ
واغْسِلْ ما رانَ على تكوينكَ من دَيْجورْ
اِحملْ فأسَ خليلِ الرحمانْ
وادْخلْ في أعماق النَّفسِ
وحطّمْ منصوبَ الأوثانْ

# ملحمة الحجر

**فوزية العلوي**
القصرين - تونس

حَــجَـــرٌ حَــجَـــرْ
طمست مــحــاجــرَهُ القَـمَــرْ
ذُعِــرَ الثَّــرى من حُــوتِهِ
حزنت لمصرعِهِ اليمائمُ والمطَرْ
البحــرُ من شجنٍ تحاسَر مَدُّهُ
والشمس من فرَقٍ تلامعُ في خَفَرْ
والصخْرُ من وَهنٍ تفتت عَزْمُهُ
والقلبُ من غَضَبٍ تفتَّقَ عن شررْ
من أي سَوْسَنَةٍ تنَاسَلَ ذا الفراش؟
من أيِّ مــزرعــةٍ تبسَّمَ عنْ زَهَرْ؟
من أي سنبلةٍ تســامَقَ عُــودُهُ
من أيهــا ديم تفــجــر ذا النَّهَــرْ؟
من أقــرأ الحــسَّـونَ آياتِ الفِـدَا
من عَلَّمَ الأطفــالَ ملحمة الحَجَرْ؟
من قــال للمــرجــان قلّدْ طوْقَـهُ
وعلى كـفَّـيْـهِ سِيلِي يا دُرَرْ!
فزِعَتْ لمَصْرَعِهِ الدّساكِرُ والمُدُنْ
صُــــعِقَ الـزمَـنْ
من أي زنبقة سيُغْسَلُ وجْهُهُ
من أي نرجسةٍ سيُطْرَزُ ذا الكَفَنْ؟
في أيها سُجُفٍ سَيُحْمَلُ قَدُّهُ
سيفٌ من الأخْوَاءِ كيفَ يُصقَلُ أو يُسَنْ؟
الوَجْـهُ مِنْ شَـفَقٍ تـهَلَّلَ بَاسِـمًا
والثـغـر بالأنغـام يُوشكُ أن يَرِنْ
والكفُّ مِنْ عَنمٍ تقــاطر طَلُّهَــا
والقلبُ من شَـغَفٍ تهـدَّجَ للوَطَنْ

***

فــزعتْ لمَصْـــرَعِـــهِ الأمَمْ
شَـــــهِقَ العَـلَـمْ



يا حمـرةَ الوردِ المُرابطِ في دمي
يا خُضْرَةَ الغارِ المُنَمْنَمِ بالشَّمَمْ
يا دُرّةَ البَحْـرين يَـا رامي العِـدَا
يا أبيضَ الكفينِ يـا نَسْـرَ القِـمَمْ
يا مُـرْسِلاً شُهُبَ البراءةِ فوْقَـهُمْ
يا راجِـمًـا حلفَ العـداوةِ بالنقمْ
يا شاهرًا سيفَ الشـهادة سَامقًا
يا ساحـقًا وجْهَ السفالةِ بالقدمْ
حلِّقْ فديْتُكَ بالنفــوس وبالدِّمَــا
أعْرِجْ فجُرْحُكَ ليس يَصْحَبُهُ ألَمْ
أمُحَـمَّـدٌ أنظيـرُ دُرٍ بـاهضٍ
أمُسَرْبَلٌ بتُرابِ قُـدْسِكَ والعَلَمْ
ارحل فـدتْكَ أمـومـتي وعـروبتي
رفْرِفْ فمَوْتُكَ ليْسَ يعقبُهُ نَدَمْ
هيَ ميـتـةُ الأبطال تَرْبِكَ صَفَّـهُمْ
هي وثْبَـةُ الأنوارِ من بينِ الظُّلَمْ

# حدث في أوان السمان

**خالد السروجي**
**الإسكندرية - مصر**

**٧ فبراير**

اليوم رجعت إلى المنزل في الثامنة مساء، بعد يوم من العمل المضني، كانت معدتي تصرخ في طلب الطعام، لذلك كان عليَّ أن أعد لنفسي طعاماً. كثيراً ما أشعر بأنني في حاجة إلى زوجة وأسرة، ولكنني عازف عن «الأمريكيات» ولا أتصور أن تكون لي منهن زوجه، وأنزعج لمجرد تصور أن تكون لي ابنة من زوجة أمريكية، أعيش الآن في حي «مانهاتن» في شقة كبيرة وواسعة بمفردي، لا أنيس لي فيها ولا جليس، السكن في حي «مانهاتن» الراقي، ليس بالنسبة لي إلا تعبيراً عن النجاح.. لا شيء هنا سوى العمل والعمل والعمل، آلة العمل تعتصرني، تمتص مني الرحيق، وتعطيني ثمناً لذلك النجاح والشهرة والمال، في البداية كان ذلك مبهراً، ولكن ذهب البريق، واكتسب كل شيء رتابة خانقة، فأصبحت أميل أكثر إلى اجترار الذكريات.

في التاسعة، طلبني الملحق التجاري المصري في واشنطن، وأبلغني بأنني سأكون في وفد استقبال «الرئيس» بمناسبة زيارته للأمم المتحدة، لم أفكر في ارتباطاتي السابقة وسارعت بالموافقة، وانتابني شعور كذلك الذي يسيطر عليَّ عند سماع النشيد الوطني، هذا الشعور كان يطمئنني إلى أن إقامتي الطويلة في الولايات المتحدة، لم «تؤمركني» على الرغم من حصولي على الجنسية الأمريكية، فمازالت المصرية كامنة في داخلي، كالمارد في القمقم، تتحين الفرص لتنفلت كالإعصار.

الرئيس هل يتذكرني؟!

المصريون هنا في نيويورك لا يصدقون أنني كنت زميلاً للرئيس في المدرسة الثانوية، وعندما أبرز لهم صورة تجمعني به، تصدر التعليقات الضاحكة، يخلق من الشبه أربعين.

**مطار جون كنيدي**

**١٤ فبراير**

البرد قارس، والثلوج تغطي الشوارع، وقد تسلحت اليوم بالملابس الثقيلة، فما زلت حتى الآن أخشى البرد، وكأول يوم تركت فيه مصر.. الذكريات تتداعى في مخيلتي كندوف الثلج.. تساؤلات كثيرة تتداعى في خاطري.

هل سيتذكرني الرئيس؟

هل سيتذكر «رمزي» زميل الفصل، الذي كان يحرز لهم الأهداف في مباريات المدرسة الكروية.. هل أعتمد على ذاكرته؟ هل أبرز له الصورة التي أحملها معي؟ وهل تكفي الثواني التي ستتاح لي لأذكره بنفسي؟ وهل تكفي ليتذكر؟

تعلقت عيني بمدخل الممر. من هنا سوف يخرج. ها هو ذا ينزل من على سلم الطائرة.

عندما صافحني الرئيس، قلت له في ارتباك:

- «هل تتذكرني يا سيادة الرئيس؟

توقف، وتأملني لحظات، ثم قال:

- «وجهك ليس غريباً عني، ولكنني حقاً لا أتذكر من أنت بالتحديد، قدمت له الصورة وأنا أقول:

- «كنا - يا سيادة الرئيس - زملاء في المدرسة الثانوية»

بعد برهة صاح الرئيس:

- «هذا أنت رمزي السملوطي»

- «الأسيوطي يا سيادة الرئيس،

- تغيرت كثيراً يا رمزي! كيف حالك؟

- على ما يرام يا سيادة الرئيس.

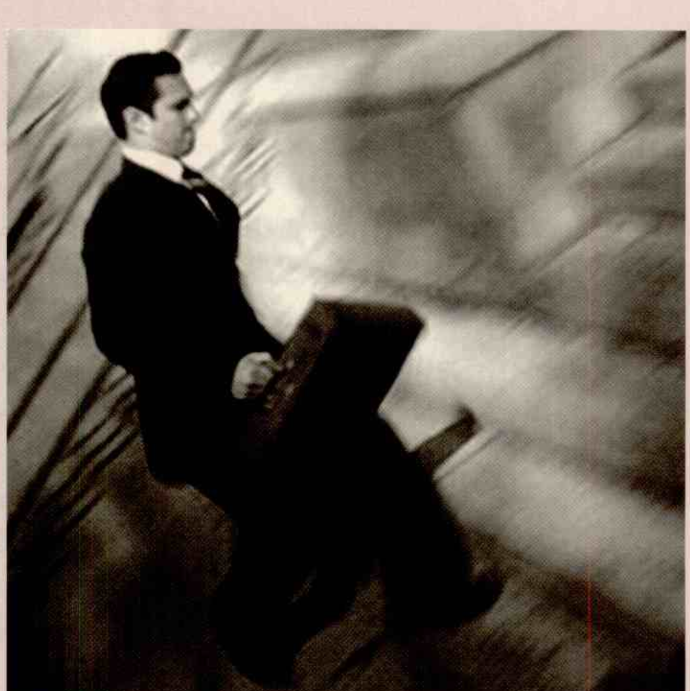
- إنها فرصة سعيدة حقًا أن أراك. أريد أن تلقاني خلال هذه الزيارة

- سيسعدني ذلك يا سيادة الرئيس.

**واشنطن.................**

**١٦ فبراير**

أجدني اليوم في غاية الأناقة، عاد إلى مرحه القديم، أسعدني حقًا أن يتذكرني الرئيس.



- بلدكم يحتاج إليكم. اذهبوا إليها وساهموا في إعادة بنائها، بلدكم يحتاج إلى كل قطرة من عرقكم.. ألا توفون لها بعض الدين؟!

بعد انتهاء اللقاء، انفرد بي الرئيس:

- ما زال لكم دور في مصر يا رمزي. لا تنس ذلك، ولا تتردد في زيارتي عندما تكون في مصر.

**القاهرة............**

**٢٥ يوليو**

كان استقبال الرئيس لي ضمن وفد رجال الأعمال الأمريكيين، بمكتبه بقصر الرئاسة وكان الرئيس سعيدًا حينما أخبرته بنيتي في تنفيذ أحد المشروعات في مصر، ونظر إلى يمينه بحماسة، ثم قدمني إلى المسؤول الأول الذي حدد لي موعدًا قريبًا. بعد اللقاء استبقاني الرئيس، وكان معي على سجيته، وأثناء الحديث، ذكر اسم «السطوحي» فضحكت، وتذكرنا معًا نوادر هذا الزميل الذي لا ينسى.

**حي محرم بك...............**

**٣ أغسطس**

فيض من المشاعر يهزني.. لقد وصلت إلى شارع الرصافة.. الأشجار الباسقة ما زالت تطاول الشرفات، والمباني حديثة البناء، بعض الفيلات المتناثرة، انعطفت إلى شارع جانبي أعرفه جيدًا.. هنا لعبت الكرة، سبقني وجيب قلبي، هذه هي «فيلا» الأسرة التي استأجرها مني أحد كبار الموظفين، قبيل هجرتي إلى أمريكا، المباني متداعية، والحديقة مهملة، لم يبق منها إلا نخلة، وشجرة جوافة، وشجرة خروع، السور مرتق بالأسلاك الشائكة في موضع، وبعض الأخشاب في موضع آخر.

عبرت كل ذلك لأبحث بعين مشتاقة إلى الفيلا المجاورة.. فيلا «الزيدي» أحسست بقلبي يغوص إلى حد الغرق، كل شيء أصبح كئيبًا، لا حياة فيه.. لقد انهارت الفيلا، وأصبحت مهجورة، على جدارها كتب:

«للبيع.. المخابرة مع محمود الزيدي».

تعلقت عيني بشباك الذكريات.. لم يبق منه سوى فجوة تتدلى منها ضلفة شباك بها عدة ألواح خشبية.

يا إلهي.. من هنا كانت تطل «صفاء» عيون المها، وخدود الورد، وخصلة من قلب الليل، تداعبها النسمات، فتهفهف على صفحة وجه القمر.. طفت بلاد العالم، وشاهدت حسانها، ولكنني لم أر فيهن «صفاء» واحدة.. هنا يا صفاء سوف أقيم مشروعي.. من أجل مصر، ومن أجلك أنت يا صفاء، فكم أطلت مصر من عينيك.. هكذا رأيتها، أنا أسير في المظاهرات، وأحلم بأن أفتدي مصر وأفتديك، سوف أضم الأرض التي عشت عليها، الأرض التي عشت أنت عليها، في امتزاج لم تحققه لنا الحياة.

**نيويورك...**

**أول سبتمبر**

جاءني من الأستاذ «رجب» المحامي خطاب مملوء بالتفاؤل.. لقد أمكن ببعض التضحيات إجلاء المستأجر عن فيلا الأسرة، كما أمكن استصدار قرار بهدم المبنى، أما أرض «الزيدي» فقد تم شراؤها من الملاك، وتوقيع العقد الابتدائي بموجب التوكيل.

مازال صديقي سمير متشككًا:

- «إلى أين أنت ذاهب يا مجنون»؟

- «إلى أرض الأحلام»

- «وهل عدت إلى الأحلام مرة أخرى.

- «وهل نعيش إلا بالأحلام.

- «إنك ذاهب في موعد السمان.

**الإسكندرية**

**١٠ سبتمبر**

تكلم المحامي لأول مرة عن بعض المصاعب التي واجهته:

- «العقد الابتدائي يحتاج تسجيله إلى شهادة من الأملاك الأميرية، بأن الأرض ليست من أملاك الحكومة.

- وما المشكلة في ذلك؟!

- «لا تنزعج.. فقد واجهتنا بعض المعوقات بالنسبة لأرض الزيدي.

- أعرف أن الأرض مسجلة منذ العشرينيات.

- «هذا صحيح.. ولكن الخرائط تقول: إنها مازالت ضمن الأملاك الأميرية،

- «غريب!

- ليس غريبًا.. فتفسير ذلك أن الأرض كانت موضع نزاع قضائي، منذ عام ١٩١٧م بين الأملاك الأميرية وعائلة الرحماني، انتهت بحكم استئنافي لصالح عائلة «الرحماني» وبموجبه تم البيع بعقد مسجل إلى عائلة «الزيدي» ولكن الأملاك الأميرية لم تعدل الخرائط.

- «أحيل الموضوع إلى إدارة الشؤون القانونية للإسكان، وانتظارًا لنتيجة الدراسة علينا أن نستكمل بعض الإجراءات الأخرى.

سوف أعود إلى «نيويورك» لاستكمال بعض الدراسات الفنية.

**الإسكندرية............**

**١٠ نوفمبر**

صدرت الفتوى بأن على الأملاك الأميرية أن تعطي شهادة التسجيل، دون انتظار لتعديل خرائطها، وابتهج الأستاذ «رجب» لذلك، ولكن السيد «الموافي» رجل الأملاك الأميرية استشكل في رأي المستشار القانوني للإسكان، وطلب إحالة الموضوع إلى المستشار القانوني للمحافظة.

**نيويورك.........**

**١٥ ديسمبر**

جاءني خطاب من الأستاذ «رجب» المحامي، بأن المستشار القانوني للمحافظة، قد أفتى بصحة ما انتهت إليه الإدارة القانونية للإسكان، وابتهجت لذلك.

**الاسكندرية............**

**٢١ يناير**

ذهلت عندما علمت أن ملف الموضوع بأكمله قد ضاع بين الإدارة المركزية للأملاك الأميرية ووحدة الأملاك بالحي، وقد اتصل رئيس الحي بالسكرتير العام للمحافظة، الذي اتصل بالمحافظ، الذي أمر بإحالة الموضوع للتحقيق.

**الإسكندرية**

**٦ فبراير**

أسفر التحقيق عن وجود الملف لدى مسؤول الأملاك الأميرية، وأعيد إلى الإدارة بمذكرة بحث مستفيضة، مع طلب عرض الموضوع على المجلس التنفيذي للمحافظة، لاستصدار قرار بتعديل الخرائط، وكلف مدير الأملاك بإعداد مذكرة، ولكن السيد «موظف الأملاك فاجأه باعتراض جديد، هو أن الأرض وإن كانت قد صدر بشأنها حكم استئنافي عام ١٩٢٣م لصالح عائلة «الرحماني» إلا أن هناك قضية أخرى على ملكية الأرض بين العائلة المذكورة وعائلة «المسري» ما زالت منظورة أمام القضاء حتى الآن.

كنت استمع إلى الأستاذ «رجب» بذهن شارد، وغادرت مكتبه فور سماعي لهذه الأنباء دون أن «أنبس بكلمة»».

ساقتني قدماي إلى «محطة الرمل»... كان تمثال «سعد زغلول» لايزال مشيرًا إلى البحر.

# الرجل الذي كان يخشى الماء

**ميخائيل زوشينكو**

**ترجمة: هاشم حمادي**

**كييف ـ أوكرانيا**

في هذا العام كان يجب عليّ تأمين صورة شخصية للحصول على بطاقة الدخول. لا أدري حال التصوير في المدن الأخرى، لكن الحصول على صورة شخصية في منطقتنا الريفية ليس بالأمر البسيط والعادي.

فليس لدينا سوى استوديو تصوير يتيم، يقدم خدماته للأفراد والمجموعات والاحتفالات، وربما لهذا السبب لابد من الانتظار طويلاً لاستلام الصور الجاهزة.

ولما كنت واحداً من الأفراد، ولا علاقة لي بالمجموعات والاحتفالات، فقد ذهبت إلى الاستوديو قبل شهرين من موعد استلام البطاقة.

حين تفحصت صوري الشخصية تملكتني الدهشة للفرق الشاسع بيني وبين الصورة. حيث طالعني رجل كهل، بهيئة تدعو للرثاء.

قلت للفتاة التي سلمتني الصور:

ـ لماذا تصورون الناس على هذا النحو؟ انظري إلى هذه التجاعيد، كيف تزنر وجهي.

فردت: إنها صورة عادية. ويجب أن تأخذ بعين الاعتبار أن فنان الرتوش في إجازة مرضية، وليس لدينا من يسوي تشوهات وجهك، غير المناسب للتصوير.

ومن خلف الستارة جاء صوت المصور:

ـ ومم يشكو هذا الوقح؟

ـ لقد صورتموني بشكل قبيح يا محترم. لقد شوهتموني. فهل أنا هكذا فعلاً؟

ورد المصور:

ـ إنني أصور فناني الأوبرا، وحتى هؤلاء لا يستاؤون على هذا النحو. تزعم أن التجاعيد كثيرة.. لكن العدسة تلتقط بشكل حاد، مجسم.

لا تعرف تكنيك التصوير، ومع هذا تحشر أنفك بانتقاداتك.

ـ لكن ما حاجتي إلى التضاريس(١) على وجهي؟ تصور نفسك في وضعي. كل ما أريده هو أن تكون الصورة تشبهني فعلاً، لكي يكون ثمة ما يمتع العين.

ـ يا سلام. ويريد أن يتمتع أيضاً. لم يكتف أننا صورناه، ويريد التمتع! لا وقت لدينا للاستماع إلى هذه النزوات. لقد ندمت على أنني صورتك بهذا الشكل اللائق. المرة القادمة سألتقط لك الصورة بحيث تئن حين تراها.

اكتفيت بهذا القدر من الجدال، وقلت في نفسي: لا أهمية للصورة على بطاقة الدخول، فالجميع يراني على حقيقتي.

وصلت قسم الشرطة، وهذه الأفكار لا تزال تدور في ذهني.

لم يكد رقيب الشرطة يرى الصورة، حتى قال:

ـ أعتقد أن هذه الصورة ليست لك.

ـ غير معقول: أؤكد لك أنها لي. اسأل المصور.

ـ وهل علي أن أسأل المصور في كل مرة؟ كلا. أريد أن أرى صورة الشخص المطلوب. دون استدعاء المصور. أما هنا فإن ما أراه ليس المطلوب. اذهب ولا تعد إلا بصورة جديدة.

ـ يا رفيق، يا رئيس، ضع نفسك مكاني.

ـ أبداً، أبداً، لا جدوى من النقاش. هات صورة أخرى.

جريت إلى الأستوديو، وقلت للمصور:

ـ ألم أقل لك: إن الصورة سيئة! لقد رفضوا بضاعتك.

ـ البضاعة لا غبار عليها ـ رد المصور ـ لكننا في الواقع لم نشغّل كل الأضواء، واكتفينا بلمبة واحدة، ومن هنا هذه الظلال على وجهك، لكن ليس بالقدر الذي يحول دون رؤية أي شيء. هاك، انظر إلى أذنيك، لقد ظهرتا بشكل مقبول.

ـ الأذنان جيدتان فعلاً، لكن أين الخدان؟ فالخدان من مكونات الوجه البشري، على ما أظن!

ـ لا أعرف، نحن لم نمس خديك، فلدينا خدودنا.

ـ طيب. أين هما إذن؟ لقد أمضيت أسبوعين في المنتجع، فزاد وزني أربعة كيلو غرامات، أما أنت فقد أفسدت كل شيء.

ـ وهل أخذنا خديك؟ أقول لك بوضوح إن الظل وقع عليهما، مما حال دون ظهورهما.

ـ وكيف يمكن بدون خدين؟

ـ افعل ما يحلو لك. لكنني لن أعيد تصويرك. إذا ما رحت أعيد



تصوير كل من هب ودب تأخر تنفيذ الخطة، وتبخرت الحوافز. علماً أن الخطة عندي أغلى من شكلك غير المناسب للتصوير.

وهنا تدخل الزبون.

ـ لا تثر أعصاب المصور، وإلا جاءت صورنا سيئة.

وقال لي أحد الزبائن:

ـ إجر أيها المحترم إلى السوق، فهناك مصور فوري.

وفي السوق وجدت المصور الفوري، لكن هذا أعلن:

ـ لا أصور إلا من لديه ورق تصوير. بدون ورق الأفضل ألاّ تأتي إلي. فأنا لن أصورك. هات الورق وتفضل. وإذا كان لديك فراش صورتك أيضًا، فقد جاءت عمتي من (بًا رناؤل) وليس لدي فراش.

ولما لم يكن لدي ورق تصوير ولا فراش زائد، فقد هممت بالعودة من حيث أتيت، لولا أن أحدهم ناداني:

ـ تعال إلى دكاني، فلدي بضاعة جاهزة.

ألقيت نظرة على البضاعة الجاهزة، فرأيت صوراً مختلفة، زهاء ثلاثمئة. تفترش صحيفة عتيقة.

وجاءني صوت البائع:

ـ اختر الصورة، التي تعجبك، وافعل بها ما تشاء حتى لو علقتها على جبينك. انتظر. سأختارها لك بنفسي. هل تريدها حسب القياس، أم الشبه؟

ـ حسب الشبه طبعاً. المهم أن تكون بخدين.

ـ وبالخدين ممكن. لكن ذات الخدين أغلى بخمسة روبلات. هاك. خذ هذه.

لن تجد أحسن منها. ها هما الخدان، أما بالنسبة للشبه فلا يمكن القول: إنه معدوم.

دفعت ثلاثين روبلاً ثمنًا لصورتين، وتوجهت إلى القسم.

لم يكد الرقيب يتفحص الصورة، حتى صاح.:

ـ لكن هذه صورة امرأة.

ـ امرأة، أين؟ إنه رجل، ألا ترى السترة؟

ـ أين الرجل إذا كان يزين صدره دبوس؟ إن هذا الدبوس لدليل قاطع علي أنها صورة امرأة.

ألقيت بدوري نظرة على الصورة، فرأيت أنها امرأة فعلاً، ترتدي كنزة من المركيزيت(٢) تحت السترة، ويزين صدرها دبوس بمنظر طبيعي، لكن التسريحة تسريحة رجل، والخدين ـ خداي.

وقال الرقيب بصراحة:

ـ هات صوراً حقيقية، وإذا ما عدت، فقدمت صور امرأة أو طفل، فإنك بالكاد ستغادر هذا المكان. لقد بدأ الشك يخامرني في أنك تريد استخدام الصور المزيفة بقصد التخفي.

أمضيت أسبوعًا بكامله في البحث الدؤوب عن مكان للتصوير، وفي اليوم الثامن غبت عن الوعي، وأنا أتجادل مع المصور القديم، فحملوني إلى الحديقة لأسترد وعيي في الهواء الطلق.

توجهت، بعد أن تمالكت نفسي إلى القسم، وقلت للرقيب، وأنا أضع أمامه صوري الأولى، التي لا خدين فيها:

ـ هذا كل ما لدي أيها الرفيق الرئيس، ولا شيء آخر.

تأمل الرقيب الصورة مليًا، وقال:

ـ الآن كل شيء تمام. الشبه موجود.

أردت أن أقول له إنها صورتي الأولى، وإنني لم ألتقط صور أخرى، لكنني، ما إن نظرت إلى نفسي في المرآة، حتى رأيت أن بعض الشبه موجود فعلاً.

وقال الرقيب: على الرغم من أنك تبدو في الصورة أكثر هزالاً مما أنت عليه فعلاً، فإنني أعتقد أنه لن يمر عام واحد حتى يصبح الشبه تامًا.

لكنني قلت:

ـ لن يحتاج الأمر إلى عام كامل؛ لأن علي أن أقدم صوراً لبطاقة الركوب، وصوراً لبطاقة العضوية، وأخرى لتوزيعها على الأقارب.

انتهى الرقيب من إلصاق صورتي، ثم هنأني بكل حرارة بحصولي على بطاقتي.

الهوامش

١. هنا تلاعب لفظي فكلمة (ريليفنو) تعني: بشكل بارز، مجسم، نافر، كما تعني بشكل تضاريسي.

٢. مركيزيت: نوع من القماش الرقيق.

# المغرب الكبير إسلامي عربي لا فرنسي

تعقيباً على تعقيب ورد في العدد ٣١٧ كانون الثاني ٢٠٠٣م بعنوان «اللغة العربية وأسباب ضعفها» للأخ الفاضل إبراهيم عبدالوهاب شرف، فأنا أشاطره الرأي في بداية مقاله، بأن القرآن هو الحافظ للغة العربية. وحامي ذمارها؛ لأنه نزل بألفاظها وأساليبها، ولو أن القرآن فيه بلاغة لا تضاهيها بلاغة بشر، وبهذا كان المعجزة الحقيقة. وتحدى العرب أن يأتوا بأقصر سورة من مثله، قال تعالى: *إنّا أنزلناهُ قُرآناً عربياً لعلكم تعْقلون*. **يوسف**: ٢. وقال: *بلسانٍ عربيٍّ مبين*. **الشعراء**:١٩٥. وقال في حفظ هذا الكتاب: *إنّا نحنُ نزّلْنا الذّكْرَ وإنّا لهُ لحَافظون*. **الحجر**: ٩. فبما أنّ القرآن الكريم محفوظ من عند الله تعالى، والقرآن لا يفهم إلا بهذه اللغة التي نزل بها فلا بدّ لهذه اللغة أن تبقى حية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وأما ضعف اللغة فلا مناص منه، وقد ذكر بعض هذه الأسباب الأخ الفاضل جزاه الله خيراً.

والذي لا أوافقه عليه هو وصف اللغة العربية بالمغرب العربي بوصف لا يليق حيث قال: «الذين يتكلمون الفرنسية بطلاقة وتعدّ لغتهم الأولى»، ثم قال: «مثلما فعل المستعمر الفرنسي في بلاد المغرب العربي الذي حول البلاد إلى قطعة وجزء لا يتجزأ من فرنسا المستعمرة، فاللغة المستعملة في التحدث والكتابة هي الفرنسية، أمّا اللغة العربية فهي في المرتبة الثانية في هذه البلاد التي تنتمي إلى العروبة والإسلام».

فهذا الحكم على اللغة العربية في هذه البلاد الواسعة، والحكم على مجتمع المغرب العربي عامة بهذا الحكم غير صحيح، ولا يمت إلى الواقع بصلة، بل هو حكم جائر. فأقول للأخ إبراهيم: من أين لك هذا التصور الذي اعتمدت عليه حتى حكمت بهذا الحكم «فالحكم على الشيء فرع من تصوره»، فالمغرب العربي الكبير إسلامي عربي لا فرنسي. لاشك أنّ أكثر دول المغرب العربي تأثراً بالفرنسية هي الجزائر حيث مكثت فيها فرنسا ١٣٢ سنة، وكان احتلالها استيطاناً حيث استقر فيها الفرنسيون استقراراً تاماً، وفرضوا قوانينهم على المجتمع الجزائري، وألزموا الناس تدريس لغتهم، وحاربوا العربية في عقر دارها، فلم تبق العربية تدرس إلا في بعض الزوايا النائية عن الحواضر الكبرى، وكل هذه المحاولة التي نهجتها فرنسا ما استطاعت محو هذه اللغة المتجذرة في هذا المجتمع الأبي.

وقول الأخ إبراهيم: «الذين يتحدثون الفرنسية بطلاقة وتعدّ لغتهم الأولى» فهذا بعيد فأنا جزائري والرجل أعلم بما في بيته، أو كما قيل: «أهل مكة أدرى بشعابها»، وإني بفضل من الله تعالى جبت جل المناطق الجزائرية، وكلها يتحدث اللغة العربية، ولو أن هذه اللغة مشوبة ببعض الكلمات الفرنسية، وقولي: لغة، بسبب أن اللغة هي ظاهرة اجتماعية يقضي بها الناس أغراضهم وحوائجهم. وهذا الحكم على المجتمع عامة، وأما عن الأفراد فالكثير منهم يتحدث الفرنسية، وأكثر هؤلاء هم الذين درسوا تخصصاتهم العلمية بالفرنسية. ولكن لغتهم اليومية هي العربية. وأكثر الألفاظ المتداولة على الألسنة هي أسماء الآلات والأدوات والأشياء الأخرى التي جاءت أكثرها من فرنسا.

وأما قوله: «واللغة المستعملة في التحدث والكتابة هي الفرنسية. أما العربية فهي في المرتبة الثانية» فهذا الحكم أبعد من الأول.

اللغة الفرنسية بالجزائر هي اللغة الثانية، وليست الأولى، ففي التدريس تدرس ابتداءً من السنة الرابعة وأما في المرحلة

الإعدادية فتصبح مادة من المواد، فمن بين ٤٠ حصة في الأسبوع تقريباً للفرنسية منها أربع حصص أو خمس فقط. وفي المرحلة الثانوية تبقى مادة كسائر المواد الأخرى، وأما في الجامعة فحسب التخصصات الجامعية، من التخصصات ما يدرس بالفرنسية كالطب والهندسة. وبعض العلوم التكنولوجية، وأما التخصصات الأخرى كالاجتماعيات، والأدب، وما يتعلق بها فكلها تدرس باللغة العربية.

وأما الإعلام فلغته الأولى هي العربية، فالإذاعات الوطنية والمحلية كلها بالعربية، أما القنوات الفضائية فالقناة الداخلية تبث بالعربية، أما القناة الفضائية فتبث بالعربية والفرنسية مراعاة لأبنائنا بالمهجر وخاصة بفرنسا، وأما الصحف فأغلبها بالعربية، وهي أكثر نفاداً مما يدل على أن أكثر الشعب يقرأ العربية.

وأما التحدث والكتابة بالفرنسية، كما ذكر الأخ الفاضل فلا ننكر أن الشعب الجزائري يكتب ويتحدث بالفرنسية، ولكن ليس بذلك التصور الذي ذكره أو يتصوره كثير من إخواننا العرب بالمشرق، بل الكثير من الجزائريين يستطيعون قضاء حوائجهم باللغة الفرنسية، وهذا يعود إلى بعض الأسباب التي أذكر منها:

١- بقاء فرنسا بالجزائر مدة طويلة حاولت فيها أن تقضي على روح العروبة في هذا البلد، ولا يزال الكثير من الذين عاشوا في العهد الفرنسي أحياء، وبقيت في ألسنتهم هذه اللغة.

٢- كثرة المهاجرين الجزائرين إلى فرنسا حيث أتقنوا هذه اللغة هناك، وعادوا بها إلى أرض الوطن، فتأثربهم من حولهم.

٣- لا يخفى أن الكثير من الشعب الجزائري يتحدث باللهجة البربرية، ويجد صعوبة في العربية فييمم وجهه نحو الفرنسية.

٤- بقاء بعض التخصصات تدرس باللغة الفرنسية.

هذا كل ما أملتْ عليَّ ذاكرتي في التعقيب على الأخ الفاضل إبراهيم عبدالوهاب شرف وما كتبت هذا المقال إلا توضيحاً وبياناً للغة العربية بالمغرب العربي وبالجزائر خاصة كي يكون القارئ العربي على بينة من أمره تجاه هذه القضية، وأبشر القارئ العربي أن العربية بالجزائر والمغرب العربي عامة بخير. وأنصح إخواني بهذه البلاد التي لا تتجزأ عن الوطن العربي بأن ينهضوا بهذه اللغة، وينبذوا عنها الدخيل، ويذودوا عن حياضها ويحموا ذمارها؛ فإنها لغة القرآن العزيز ولغة الإسلام. وفي الأخير أشكر مجلة الفيصل التي تهتم بالعرب، وأتمنى لها المزيد من الإنجازات العلمية والمعرفية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

**إسماعيل بلقاسم قراري**
**دمشق - سورية**

ردود وتعقيبات ردود وتعقيبات ردود وتعقيبات ردود وتعقيبات ردود وتعقيبات ردود وتعقيبات ردود وتعقيبات ردود وتعقيبات ردود وتعقيبات ردود وتعقيبات ردود وتعقيبات

# أخطاء تاريخية في قلاع الطائف




تعقيباً على مقالة الأستاذ حماد بن حامد السالمي التي حملت عنوان «القلاع التاريخية في الطائف»، والمنشورة في مجلة الفيصل العدد ٣٢٠ الصادر في شهر صفر ١٤٢٤هـ، أحببت أن أشير إلى بعض الملاحظات لأهميتها.

في البداية أشكر الأستاذ الكريم على المعلومات القيمة التي ذكرها عن هذه القلاع العظيمة التي جسدت تأريخاً مهماً لمدينة عظيمة، ومما زاد المقالة جمالاً الصورة الجميلة التي رافقت المقالة، وليس لي تعليق عما ذكر عن هذه القلاع وتاريخها وأماكنها وما تبقى منها إلى يومنا هذا، فكما قيل: «أهل مكة أدرى بشعابها»، ولكن لي ملاحظات يسيرة حول ما ذكره الكاتب الكريم عن قلعة الطائف «القشلة» التي وردت في الصفحة التاسعة عشرة من العدد المذكور إذ قال:

« ..... وقد نفى السلطان عبدالحميد إليها أحد عشر رجلاً من الاتحاديين منهم مدحت باشا الصدر الأعظم، ومحمود باشا الداماد، وخير الله أفندي شيخ الإسلام، وكان قد أفتى بخلع عبدالحميد، وقد اغتيل مدحت ومحمود هناك سنة ١٢٩٧هـ، وذلك في عهد الشريف عبدالمطلب».

وبالتدقيق في هذه العبارة التي أوردها الكاتب نجد أنها تضمنت عدة أخطاء تاريخية هي:

ـ لم يكن الذين نفوا إلى الطائف من الاتحاديين قط، لسبب يسير، هو أن النفي تم في غرة رمضان المبارك من سنة ١٢٩٩هـ، الموافق للثامن من تموز/يوليو من عام ١٨٨١م، وكما هو معروف فحزب الاتحاد والترقي لم يكن مؤسساً وقتئذ، فقد أسس بعد نفي المجموعة المذكورة بأكثر من ثماني سنوات، وذلك عام ١٨٨٩م، حتى إنه لم ينتشر ولم يعرف إلا بعد ذلك التاريخ بعدة أعوام، إذ ظل يعمل سراً من خارج إستانبول. وفي عام ١٨٩٥م، قبض السلطان عبدالحميد على مجموعة من رؤساء الحزب، ونفاهم إلى رودس وطرابلس الغرب وغيرها من بلدان السلطنة العثمانية. أما هولاء الذين نفاهم عبدالحميد فقد اتهموا بالتآمر على قتل عمه السلطان عبدالعزيز خليفة المسلمين، وكان منهم مدحت باشا الصدر الأعظم السابق.

ـ ذكر الأخ الكريم كاتب المقالة أن مدحت باشا ومحموداً قد اغتيلا هناك سنة ١٢٩٧هـ، ولم أدخل في تفاصيل قتلهما، فقد ملئت كتب التاريخ بذلك، ولكن أحب أن أصحح التاريخ الذي ذكره، إذ إن موت مدحت باشا أو اغتياله قد تم في الحادي عشر من رجب سنة ١٣٠١هـ، الموافق للسابع من آذار/ مارس من عام ١٨٨٤م أي بعد التاريخ الذي ذكره الكاتب بأربع سنوات.

ـ بالنسبة إلى قوله: «... وخير الله أفندي شيخ الإسلام، وكان قد أفتى بخلع السلطان عبد الحميد ...»، أقول: كان الشيخ المذكور من المتهمين المتآمرين على قتل السلطان عبدالعزيز، وقد أفتى بخلعه، ولهذا السبب تم نفيه إلى قلعة الطائف، ولم يفتِ بخلع السلطان عبدالحميد، أما الذي أفتى بخلع السلطان عبدالحميد فهو شيخ الإسلام محمد ضياءالدين؛ وذلك سنة ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م في عهد الاتحاديين، أي: بعد ما يقرب من ثلاثين عاماً من نفيهم.

ـ ذكر الكاتب أن اغتيال مدحت باشا تم في عهد الشريف عبدالمطلب، والصحيح أن الاعتقال أو النفي تم في عهد الشريف عبدالمطلب، وأما الاغتيال ففي عهد عثمان نوري باشا. فقد ورد في مذكرات السلطان عبدالحميد مايأتي: «كان أمير مكة وقت إرسال المتهمين إلى الطائف هو الشريف عبد المطلب، كانت عداوة الشريف لأركان عملية الخلع، وخاصة مدحت باشا، صريحة وواضحة. سمعت أنه ضرب القيود الحديدية على أقدامهم فأمرت فوراً بتجنيبهم سوء المعاملة، وعلى ما هو معروف فإن والي الحجاز وقائده عثمان اعتقل الشريف عبدالمطلب وعزله عن الإمارة (١).

ـ ورد خطأ مطبعي في كلمة «الدامار» بالراء، والصواب «الداماد» بالدال، وتعنى بالتركية صهر السلطان، ومن الجدير ذكره أن من بين المتهمين اثنين من أصهار السلطان عبد الحميد هما الداماد المشير محمود جلال الدين الذي ذكره الكاتب في المقالة والآخر الذي لم يذكره هو الداماد المشير نوري باشا.

هذا ما أحببت أن أعلق عليه من الناحية التاريخية بالنسبة إلى ما ذكر عن قلعة الطائف ومعتقليها علماً بأن الكاتب أفادنا بمعلومات مهمة عن هذه القلاع العظيمة فجزاه الله خيراً، وجزى الإخوة في مجلة الفيصل على مثل هذه المقالات والدراسات التي لا غنى للباحثين عنها.

**خليل محمود الصمادي**

**الرياض ـ مدارس الشوفات العالمية**

**الهوامش**

١ـ محمد حرب عبد الحميد مذكرات السلطان عبد الحميد، دار الوثائق، الكويت ط٢، ١٤٠٦هـ.




## أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣١٩)

المحرم ١٤٢٤هـ / مارس/آذار ٢٠٠٣م.

الفائز الأول: هدى مصطفى محمد الشامي - محافظة البحيرة - مصر.
الفائز الثاني: كلثوم قره داود - حلب - سورية.
الفائز الثالث: محمد عثمان صالح - صنعاء - اليمن.
الفائز الرابع: ريم عبدالرحمن الجويعي - الرياض - السعودية.
الفائز الخامس: سعاد مبدي دلل - عمان - الأردن.
الفائز السادس: رقية سعيد محسن - صنعاء - اليمن.
الفائز السابع: مصطفى إبراهيم صالح أبو ذياب - الزرقاء - الأردن.
الفائز الثامن: أحمد محمد جويد أحمد - بورسعيد - مصر.

## حل مسابقة العدد (٣١٩)

١ـ وما المرء إلا كالشهاب وضوئه    يحور رماداً بعد إذ هو ساطعٌ
قائل البيت هو: لبيد بن ربيعة.

٢ـ آدم سميث: فيلسوف اجتماعي وعالم اقتصاد أسكتلندي، يعد مؤسس علم الاقتصاد الكلاسيكي..

٣ـ المذهب الفيزيوقراطي: مذهب نشأ في فرنسا في القرن ١٨، وقال أصحابه بحرية الصناعة والتجارة، وبأن الأرض هي مصدر الثروة كلها..

٤ـ السوكر: وحدة النقد في الإكوادور.

٥ـ السَبَنسرية: فلسفة هربرت سبنسر القائلة بتطور الكون من البساطة النسبية إلى التعقيد النسبي.

## أسئلة مسابقة العدد (٣٢٢)

ضع علامة ☐ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت:
كأن الثريا عُلِّقت فوق نحرها    وجمر الغضى هبت له الريح ذاكيا
☐ سحيم عبد بني الحسحاس ☐ المخبّل السعدي

(٢) الشُرغوف:
☐ فرخ الضفدع ☐ فرخ التمساح

(٣) شيفا:
☐ إله هندوسي يُعرف بالمُدمِّر ☐ مركب شراعي طويل ضيق.

(٤) الروكفورت:
☐ نوع من المعاطف الجلدية الرجالية ☐ جبن حاد المذاق.

(٥) باتريس لومومبا
☐ سياسي كونغولي ناضل من أجل تحرير الكونغو من الاستعمار البلجيكي
☐ أحد كبار الشعراء الإفريقيين تميزت قصائده بوصف الحياة في الغابات.

الاسم: ______ المدينة: ______ ص.ب: ______ هاتف: ______

العنوان: ______ الدولة: ______ الرمز البريدي: ______ ناسوخ: ______

■ نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.




## شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٤٥ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

## طريقة اختيار الفائزين

- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

---

## مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

| | |
|---|---|
| الجائزة الأولى: | ١٠٠٠ ريال. |
| الجائزة الثانية: | ٧٠٠ ريال. |
| الجائزة الثالثة: | ٥٠٠ ريال. |
| الجائزة الرابعة: | ٤٠٠ ريال. |
| الجائزة الخامسة: | ٢٥٠ ريالاً. |
| الجائزة السادسة: | ١٥٠ ريالاً. |
| الجائزة السابعة: | (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل). |
| الجائزة الثامنة: | مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. |

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.
والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

عنوان المجلة:

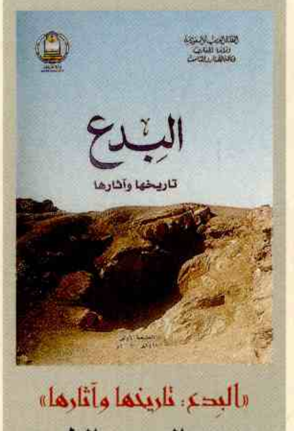
---

ص.ب( ٣ ) - الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

# البِدع: تاريخها وآثارها*

حوى النبي علي صالح
قسم التحرير

**تمثل مدينة «البِدع»، التي اشتهرت باسم «مَدْيَن»، بمنطقة «تبوك» البوابة الحضارية التي تربط وسط الجزيرة العربية وجنوبها بمصر وبلاد الشام، ومنها إلى حوض البحر المتوسط وأوربا، لذا جاء هذا الموقع زاخراً بكثير من الشواهد الحضارية التي تعود إلى آلاف السنين، وتتمثل في المواقع الأثرية المتعددة، والرسوم الصخرية، والكتابات المتنوعة التي تغطي فترة عصور ما قبل التاريخ حتى العصر الإسلامي.**




«البِدع: تاريخها وآثارها»
**د. عبدالرحمن الطيب الأنصاري وآخرون،**
الرياض: وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ١٥٣ص.

تقع مدينة البِدع في بطن وادي عفال، وهي واحة قديمة استوطنها الإنسان منذ عصور ما قبل التاريخ، واستمر الاستيطان فيها خلال العصور التاريخية، وهي واحدة من أشهر المدن في شمال غرب الجزيرة العربية في عصر مملكتي مدين وأدوم، وهما من الممالك العربية المبكرة التي ظهرت في الألف الثاني قبل الميلاد حتى منتصف الألف الأول قبل الميلاد. وقد بلغت واحة البِدع في عصر مملكة الأنباط «١٠٠ق. م - ١٠٦م» أوج ازدهارها الاقتصادي، ولكن بعد سقوط مملكة الأنباط على يد الإمبراطور الروماني تراجان تراجع ازدهار البِدع حتى غدت في نهاية العصر الروماني وخلال العصر البيزنطي منهلاً بسيطاً من مناهل المياه على الطريق المارة بها، وتحولت هذه المدينة العامرة إلى أطلال، ولكن في العصر الإسلامي المبكر عاد إلى البِدع الازدهار مرة أخرى نتيجة لتطور طرق التجارة والحج، والطمأنينة التي سادت أنحاء الجزيرة العربية.

هذه المعلومات وغيرها، اشتمل عليها كتاب صدر مؤخراً عن وكالة الآثار والمتاحف بوزارة المعارف السعودية بعنوان: «البِدع: تاريخها وآثارها»، وتضمن ما جاء عن هذه المنطقة في العصور المختلفة حتى العصر الحاضر، ثم عرض آثارها موقعاً موقعاً، إضافة إلى ما قامت به وكالة الآثار والمتاحف - من دراسات وبحوث ميدانية - مدعمة بالصور والرسوم والخرائط.

## الموقع والجغرافيا

بدأت الدراسة بتعريف «منطقة البدع: موقعها وجغرافيتها»، فأوضحت أنها تقع بين خطي طول ٣٠َ-٣٤ْ و٣٠َ-٣٥ْ، شمالاً وخطي عرض ٠٠َ-٢٨ْ و٠٠َ-٢٩ْ شرقًا، وتتكون منطقة البِدع في معظمها من سلاسل جبلية في الجزء الشمالي، أما الجزء الغربي فهو سهل ساحلي ضيق يمتد بمحاذاة خليج العقبة، وتتكون الجهة الجنوبية من طبقة من الرمال والطمي، بينما يتكون الجزء الشرقي من طبقة من الصخور الجرانيتية المتفتتة، ويخترقها عدد من الأودية أشهرها وادي «عفال»، وتنتشر فيها عدة قمم جبلية من أهمها «قمة جبل اللوز»، وقمة «جبل دباغ»، وقمة «جبل دفدف»، وقمة «جبل الشاطىء»، وتشكل سلسلة جبال البِدع أكبر قطاع جبلي لمنطقة «حِسْمى»، وقد ورد ذكر جبال «حِسْمى» في عدد من المصادر التاريخية والجغرافية الإسلامية.

منظر لجبل حيفا

## ما كتب عن البِدع

جاء الفصل الأول من الدراسة عن «الدراسات السابقة» التي تناولت هذه المدينة، فبدأ أولاً بـ «البِدع في المصادر الإسلامية»، فذكر أن ذكر البِدع قد جاء في عدد من مؤلفات الرحّالين والجغرافيين المسلمين الذين وصفوا المنطقة تاريخياً وجغرافياً واجتماعياً، مثل: اليعقوبي (ت: ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م)، وابن حوقل خلال أوائل القرن الرابع الهجري(٣٢٠هـ)، والمقدسي (ت: ٣٩٠هـ/ ١٠٠٠م)، والبكري خلال القرن الخامس الهجري (القرن الحادي عشر الميلادي)، والإدريسي (ت: ٥٦٠هـ/١١٦٦م)، وغيرهم. وجاء ثانيًا عن «البِدع في مؤلفات الرحّالين الغربيين» الذين بدؤوا يتوافدون على منطقة البِدع منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى القرن العشرين الميلادي، وقد سجل أولئك الرحالون، أمثال: ريتشارد بيرتون، وألويس موزيل، وعبدالله فيلبي معلومات موجزة عن المنطقة من النواحي الجغرافية والتاريخية والآثارية. وجاء ثالثًا عن «البِدع في مؤلفات الكتّاب العرب المعاصرين»، أمثال: الشيخ حمد الجاسر، في كتابه «في شمال غرب الجزيرة»، وجواد علي في كتابه «المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام»، والدكتور مسعد بن عيد العطوي في كتابه «تبوك قديمًا وحديثًا»، وغيرهم. وختم الفصل بـ «الدراسات الميدانية الحديثة في منطقة البِدع» التي بدأت أول مرة من قبل الإدارة العامة للآثار والمتاحف خلال برنامجها الشامل للمسح الأثري المبدئي عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، إذ تم مسح بعض المواقع الأثرية في المنطقة الغربية والمنطقة الشمالية الغربية للمملكة العربية السعودية وتوثيقها.

## آثار البِدع

وتناول الفصل الثاني من الكتاب أهم «المواقع الأثرية في منطقة البدع»، فجاءت موزعة على حسب فتراتها التاريخية، وأولها «مواقع العصور الحجرية» بفتراتها : القديمة والمتوسطة والحديثة التي تراوح بين ٨٠.٠٠٠ و٤.٠٠٠ ق.م.

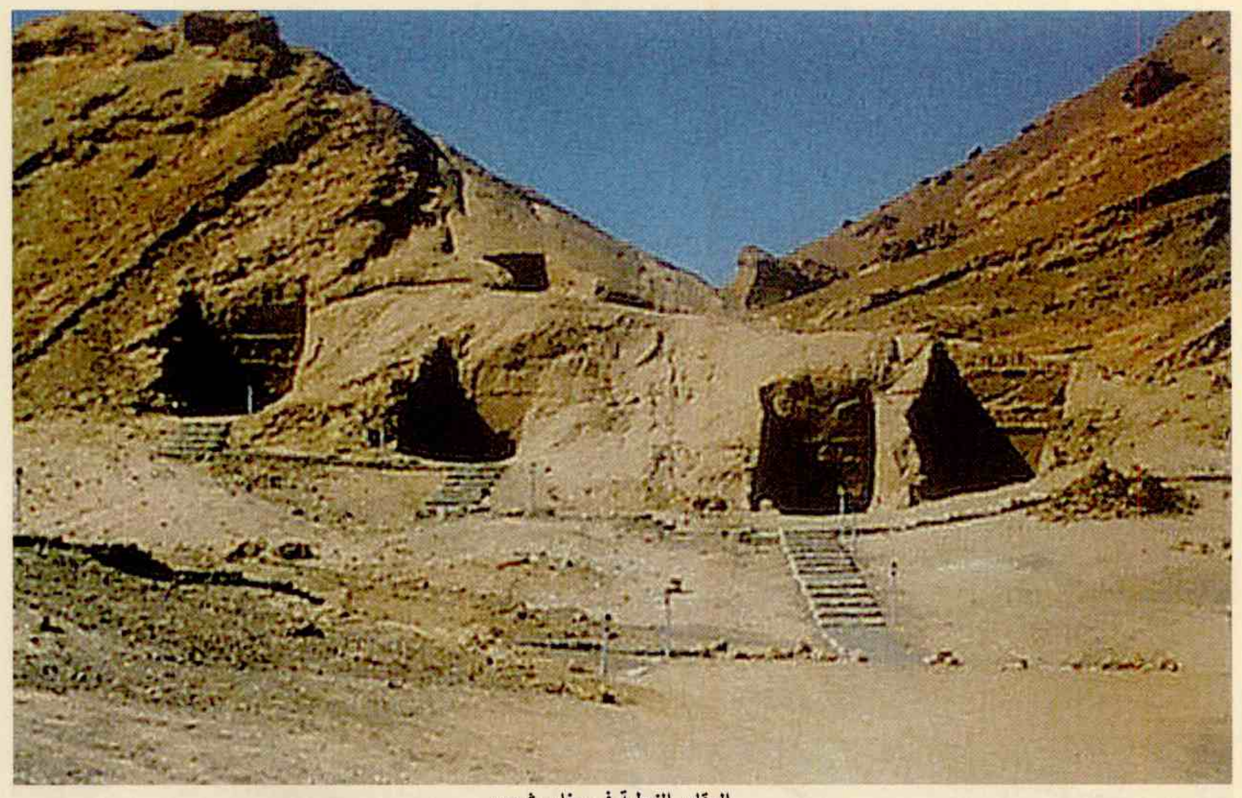


نقوش كوفية من قارة الحمراء

ولم تسجل في منطقة البدع «مجال الدراسة» أي مواقع لعصور حجرية قديمة أو وسيطة، وهذا لا يعني عدم وجود مواقع تعود لهذين العصرين، وربما كشفت أعمال المسح المستقبلية عن مواقع تعود لهما، إذ أن المسح الأثري لم يستكمل بعد في هذه المنطقة.

أما مواقع العصر الحجري الحديث التي تم توثيقها في منطقة جبل اللوز والأودية المحيطة بها فتتركز مواقعها في: «مصير الخراج»، و«شعيب النخلة»، و«عريق اليسري»، و«الجش (مصيون)»، و«جبل حيفا»، و«أبا البيبان». ثم تناول «مواقع العصور التاريخية»، التي تنتشر في واحة البِدع على ضفتي وادي عفال الذي يخترق الواحة من شمالها إلى جنوبها بطول يزيد على عشرة كيلومترات، وتتميز هذه المواقع بأنها توضح استمرارية الاستقرار في جميع العصور التي شهدتها الواحة، وأهم المواقع الأثرية بواحة البِدع تتمثل في «موقع المقابر (مغاير البِدع)»، و«التلال القريبة من المقابر»، و«المدينة النبطية (المالحة)»، و«المدينة الإسلامية (الملقطة)»، وغيرها، ثم «مقنا» التي تقع بالقرب من مدخل خليج العقبة على بعد ٣٥ كم إلى الغرب من واحة البِدع، و«طيب اسم» وتقع على بعد ٢٦ كم شمال شرق مقنا، و«مواقع عينونة والخريبة» التي تقع على بعد ١٠٠ كم شمال مدينة ضباء، وأهم مواقعها «القبيبة بوادي عينونة»، و«مسيوق/ بوادي عينونة» و«جبل صفراء عينونة

**سجل المسح في هذه المناطق كثيراً من النقوش النبطية والثمودية والكوفية، والرسوم التشكيلية الملونة، وبعضها رسوم لحيوانات، كالأبقار والجمال والنعام، وبعضها رسوم آدمية على الصخور**



المقابر النبطية في مغاير شعيب

الشمالي»، و«جبل صفراء عينونة الجنوبي»، و«جبل عريق الكفرة بوادي عينونة»، و«بير درويش بالخريبة»، وآخر مواقع العصور التاريخية في منطقة «البِدع» هو «موقع شرمة» الذي يقع على بعد ٩٠ كم شمال مدينة ضباء، وأهم مواقعه «تلة عين شرمة بوادي شرمة»، و«جبل أصفر أنقيرة بوادي شرمة»، و«المزيرع بوادي شرمة»، و«أم حواويط بوادي غر»، و«سيل أم سريبيطات/ بوادي أرنب».

## الرسوم والنقوش والكتابات في البِدع

وكان الفصل الثالث في الكتاب عن «الرسوم الصخرية والنقوش والكتابات في منطقة البِدع»، فالمعروف عن منطقة «البِدع» اشتمالها على عدد كبير من مواقع الرسوم الصخرية والنقوش والكتابات القديمة منها والإسلامية، وقد قامت وكالة الآثار والمتاحف السعودية سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، بإجراء مسح شامل لمواقع الرسوم الصخرية والنقوش والكتابات الموجودة على الواجهات الصخرية خصوصًا في جبال «حِسْمى»، وقسمت أعمال المسح اثنتي عشرة مرحلة شملت المنطقة الساحلية من أقصى جنوب منطقة الدراسة حتى قلعة الأزلم، والمنطقة من جنوب جبل اللوز حتى أم هيفاء، ومنطقة ممر بطينة، وقاع بني مرة إلى قحازة، بالإضافة إلى تسجيل الكثير من مواقع الكتابات والرسوم الصخرية في أماكن مختلفة شمال منطقة البِدع.

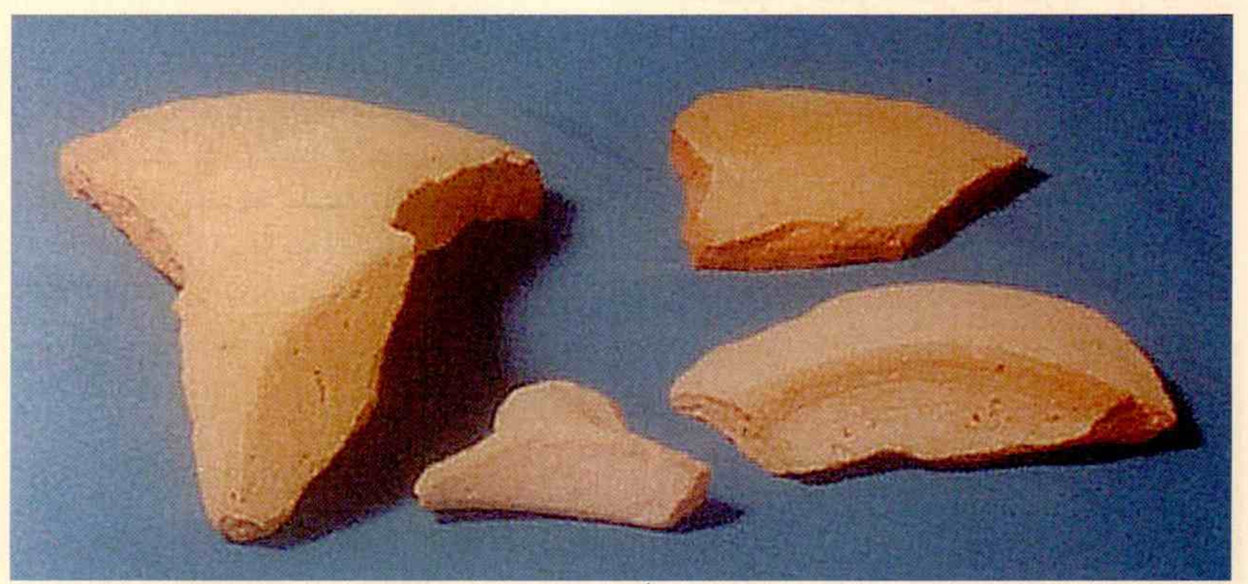
وقد سجل المسح في هذه المناطق كثيراً من النقوش النبطية والثمودية والكوفية، والرسوم التشكيلية الملونة، وبعضها رسوم لحيوانات، كالأبقار والجمال والنعام، وبعضها رسوم آدمية على الصخور.

وقد اتضح من «دراسة الرسوم الصخرية» التي عُثر عليها في منطقة «البِدع» أنها تمثل عدة فترات ثقافية قديمة، مختلفة، وأنه لا علاقة بين الرسوم المحفورة على الصخر وتلك التي رسمت بالألوان، وقد أمكن تحديد تاريخ تقريبي لتلك الرسوم والمواقع وفقًا للدراسات

والمقارنات التي تمت بين تلك الرسوم التي عثر عليها في منطقة البدِع وأخرى وجدت في مواقع كثيرة مشابهة داخل المملكة وخارجها.

أما بالنسبة إلى «الكتابات والنقوش القديمة» فهي منتشرة بمجموعات كبيرة في منطقة الدراسة، فقد سجلت فرق المسح عدة مواقع تنتشر فيها الكتابات والنقوش الصخرية التي كُتبت بخطي المسند الجنوبي والشمالي بأنواعها المختلفة، بالإضافة إلى النقوش المكتوبة بالخط الآرامي والخط النبطي، ومن أهم المواقع

**لم تسجل في منطقة البدع أي مواقع لعصور حجرية قديمة أو وسيطة، وهذا لا يعني عدم وجود مواقع تعود لهذين العصرين، وربما كشفت أعمال المسح المستقبلية عن مواقع تعود لهما، إذ أن المسح الأثري لم يستكمل بعد في هذه المنطقة**



كسر فخارية من موقع الصفراء

التي وجدت فيها الكتابات «علقان»، و«حسْمى» و«مغاير شعيب»، و«وادي حِجِّيَّة (نصلة الجرَّة)»، و«جبل خوي رشود».

وتميزت منطقة «البِدع» كذلك بوجود «الكتابات الإسلامية» لوقوعها على طريق التجارة والحج الذي يربط منطقة الحجاز ببلاد الشام ومصر، مع وجود طرق فرعية أخرى تربط الجزء الساحلي بالمناطق الداخلية، وقد عثرت فرق البحث على ما يربو على ستين نقشًا إسلاميًا، كانت أهم مناطقها: «ثميلة بجدة»، و«طوى الحمدة»، و«القارة الحمراء(قاع بني مرّ)».

وقد بينت المعلومات الواردة في النقوش الإسلامية معلومات مهمة عن القبائل والأسر القاطنة في هذه المنطقة، أو عابري سبيل على الطرق التي كتبت فيها هذه النقوش، التي تبدو في مجملها أن تاريخها يقع بين القرنين الأول والثاني الهجريين.

## الأعمال الحقلية

وكان آخر فصول الكتاب عن الأعمال الحقلية التي جرت في منطقة «جبل اللوز» الذي يعرف أيضًا بجبل «أبا العَجَلْ» وما حوله، ويعدّ هذا الجبل أعلى السلاسل الجبلية في منطقة «حِسْمى» التي تشكل جبالها امتدادًا لجبال السروات من غرب تبوك حتى منطقة رم بالأردن، وبسبب وجود مواقع أثرية في هذا الجبل لم تكتشف بعد ولم يرد لها ذكر في كل المصادر التاريخية، فقد قررت وكالة الآثار السعودية إجراء حفريات ومجسّات أثرية

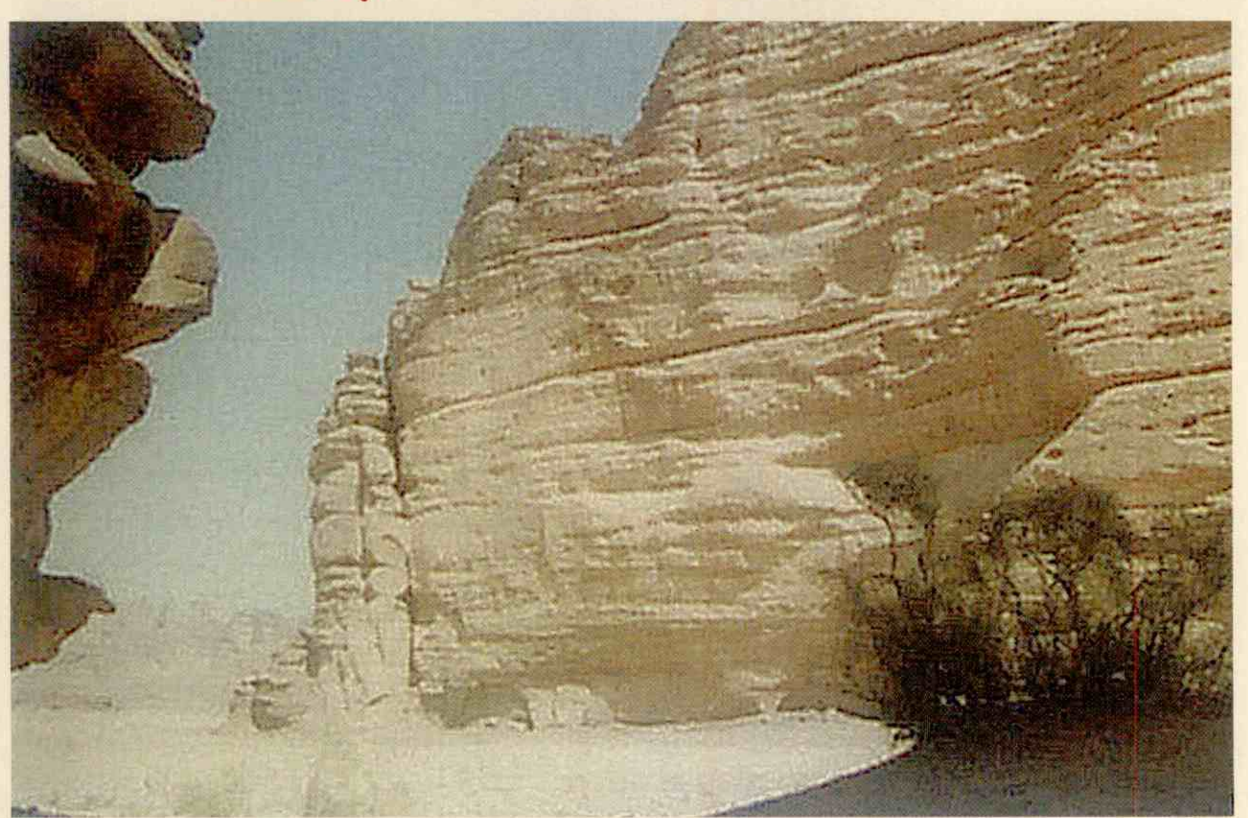
لمعرفة العمق الحضاري لهذه المنطقة، وقام فريق علمي من الوكالة برئاسة الدكتور عبدالله بن سعيد أبو راس ومجموعة من الباحثين الآثاريين ومصور ومساح بإجراء دراسات ميدانية وتنقيبات أثرية في منطقة جبل اللوز في الفترة من ١ إلى ١٥ أبريل/ نيسان ١٩٩٥م، وتم تضمين نتائج أعمال الفريق العلمي في هذا الكتاب.

### النتائج

وأثبت المسح العام والدراسة اللذان أجراهما فريق المسح الأثري لآثار «جبل اللوز» أنها حلقة من حلقات حضارة الجزيرة العربية منذ فجر التاريخ حتى العصور الإسلامية، كما أثبتا أيضاً العلاقة الوثيقة بين مختلف أنواع الحضارات السائدة في شمال الجزيرة العربية، ومنها «قُرَيَّة، وتيماء، وحائل، ودومة الجندل، وسكاكا وغيرها». وقد شهدت منطقة «جبل اللوز» ازدهاراً حضارياً في مرحلة مبكرة من تاريخها، كما شهدت قيام سوق تجارية بسبب موقعها الجغرافي المهم.

كذلك أثبت البحث أن أودية منطقة جبل اللوز، وبالأخص وادي الأبيض، يعد مكاناً مناسباً لتجول القبائل للرعي والتنقل، كما أن ما يتوافر في المنطقة من معادن ومواد البناء المستخدمة في العصور القديمة (الرخام)، يعد دليلاً واضحاً على ازدهار المنطقة واشتراكها في النمو الحضاري على الأقل خلال حقبة زمنية معينة هي الفترة النبطية خلال القرن الأول قبل الميلاد، والقرنين الأول والثاني الميلاديين.

**بسبب وجود مواقع أثرية في جبل «اللوز» لم تكتشف بعد ولم يرد لها ذكر في كل المصادر التاريخية، فقد قررت وكالة الآثار السعودية إجراء حفريات ومجسّات أثرية لمعرفة العمق الحضاري لهذه المنطقة**



منظر عام لموقع (أبا البيبان)



موقع محجر الرخام

وأثبتت الدراسة أيضاً أن الحيوانات، مثل: الوعول والأبقار والماعز وغيرها، بالإضافة إلى الذئاب ومناظر الصيد كانت جزءاً من الحياة المألوفة لدى الإنسان، عبّر عنها بالرسم المتاح على الصخور. أما المعتقدات الدينية فكانت كثيرة كعبادة الشمس والقمر، وقد ذكر القرآن الكريم العبادات القديمة، ومنها عبادة العجل الذي صورت لنا الآثار الكثير من ملامح عبادته في أكثر من مكان بالجزيرة العربية وغيرها، كما أن الرسوم الحيوانية الواقعة عند سفح جبل اللوز وما حوله قد يكون لها مدلول من المعتقدات السائدة لدى القبائل العربية في هذه المنطقة في حقبة قديمة جداً تصل إلى ٤٥٠٠ سنة قبل الميلاد، وليست منطقة «حِسْمى» بالذات هي التي تنتشر فيها مثل هذه الرسوم الصخرية فقط.

وأكد الباحثون أن ما شهدوه من رسوم صخرية في منطقة جبل اللوز يرجح أن ليس لها علاقة بالمعبودات الواردة من مصر خلال فترة سيدنا موسى - عليه السلام - أي: فترة القرن الثالث عشر قبل الميلاد (١٢٧٩ - ١٢١٣ق. م) وهو ما يرى عكسه بعض المشوشين على تاريخ الجزيرة العربية القديم، فهذه التقاليد والفنون الصخرية لها جذورها التي تعود إلى أحقاب سحيقة تصل إلى فترات أقدم «١١.٠٠٠سنة ق.م»، وهو ما أثبتته الدراسة المتأنية لهذا النوع من الرسوم لموقع «مصيون».

وقدمت الدراسة، في «الخاتمة»، سرداً شاملاً للمسوحات الأثرية التي قامت بها وكالة وزراة المعارف للآثار لمختلف المناطق الأثرية في المملكة العربية السعودية، وأسماء بعض الحوليات التي نُشرت بها نتائج هذه المسوحات.

كما قام الباحثون كذلك بلفت نظر القارئ إلى كتابين: الأول بعنوان: «جبل موسى أو أسطورة جبل سيناء» The Mountain of Moses// The Mount Sinai


منظر عام للمدينة الإسلامية «الملقطة»

أما كتاب «ذهب الخروج» الذي أعدّه «بلوم» فهو حصيلة لكتاب «لاري وليامز» وبناء على طلبه، بالإضافة إلى مقابلات شخصية أجراها مع شخصين آخرين هما «رون وايت Ron Wyatt ممرض تخدير»، و«ديفيد فاسولد - David Fasold خبير بحري»، فالسيد وايت دخل المملكة متسللاً عام ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، وعاد مرة أخرى في العام الذي يليه بصحبة فاسولد لاكتشاف الذهب المزعوم واقتسامه مع مضيفهم من أبناء منطقة تبوك «سمران المطيري».

وقد جاء كتاب «بلوم» على غرار كتب القصص البوليسيَّة، ومؤلفه صحفي، وليس له صلة بعلم الآثار، كما أنه غير مطلع على تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها.

وأشار الباحثون إلى النقد الذي وجهه الدكتور سعد الراشد - وكيل وزارة المعارف للآثار والمتاحف في المملكة العربية السعودية حاليًا، وأستاذ الآثار بجامعة الملك سعود سابقًا - للسيدين «رون وايت» و«ديفيد فاسولد» في المقابلة التي أجراها معهما.

وأوضح الباحثون أن أفكار وايت وفاسولد تبناها لاحقًا وليامز ومعاونوه، وبأسلوب لا يتوافق مع أساسيات علم الآثار، والبحث عن الحقيقة، وهو ديدن علماء الآثار والتاريخ والحضارة، مؤكدين أن «هناك عشرات المؤلفات والمقالات العلمية والبحوث الميدانية التي تناولت حياة موسى عليه السلام، وقصة الخروج، وفترة التِّيه، وموقع جبل موسى المتعارف عليه عند العلماء في أرض سيناء».

صدر الكتاب باللغتين العربية والإنجليزية في نسخة واحدة، وقد وُثِّقت المعلومات التاريخية الواردة فيه بكثير من الصور الفوتوغرافية واللوحات والأشكال.

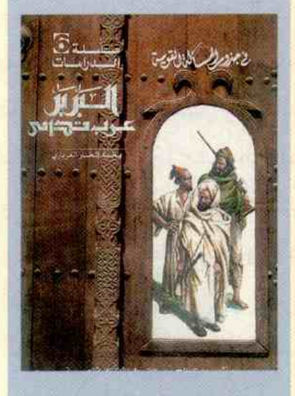
Myth (New York1995 Nw: Wyn Wood Press من تأليف: لاري وليامز، والثاني بعنوان «ذهب الخروج/ اكتشاف جبل سيناء الحقيقي» The Gold of Exodus:The Discovery of The True Mount Sinai-New York, Simon and Schuster, 1998. من تأليف هوارد بلوم: Howard Blum

ووصف الباحثون هذين الكتابين بأنهما «ليسا من الكتب العلمية المتخصصة، ولا يمكن تصنيفهما من المصادر التي يعتد بها في الحقل الأكاديمي»؛ لأن «السيد لاري وليامز مسوق بضائع «Commodity Trader» دخل منطقة تبوك بطريقة غير شرعية بصحبة روبرت كورنوك «Robert Cornuke» ضابط بوليس سابقًا بهدف إثبات الموقع الذي وصل إليه موسى - عليه السلام - بعد خروجه من مصر، حيث يجعله في موقع جبل اللوز، مُعللاً ذلك بوجود رسوم صخرية منحوتة على بعض الواجهات الصخرية بالقرب من جبل اللوز، بالإضافة إلى مشاهدته لدوائر حجرية عند حافة الجبل»، ووصفوا ما قام به لاري وليامز بأنه «نوع من العبث، ويدعو إلى السخرية؛ لأنه غير متخصص، ولم يلتزم بأدبيات البحث العلمي، وأقرب ما يكون عمله هو من وسائل التجسس التي عفا عليها الزمن».

# البربر عرب قدامى

**سعد بوفلاقة**
عنابة - الجزائر

**صدر هذا الكتاب عن منشورات «المجلس القومي للثقافة العربية» في الرباط بالمملكة المغربية في طبعته الأولى عام ١٩٩٣م، ويضم في طياته دراسة وافية عن «عراقة البربر في العروبة». وقد بذل الباحث جهداً كبيراً في الحجاج الموثق لتأكيد هذه الأطروحة.**



البربر عرب قدامى
**محمد المختار العرباري**
الرباط: المجلس القومي للثقافة العربية، ط١، ١٩٩٣م، ٣٠٥ص.

وجاء الكتاب - بعد التقديم - في عدة مباحث، وقد ورد في التقديم أن البحث يتجه إلى إثبات عروبة البربر، وقد تطلب من الباحث، للدفاع عن هذه الأطروحة، معالجة حقول معرفية مختلفة من مجال التاريخ إلى بعض ميادين متعلقة باللغات والفنون والآداب.

إن القضية التي يطرحها الكتاب للبحث ليست جديدة من حيث المبدأ، ولكن الأهداف الثاوية من وراء الطرح قد اختلفت كثيراً منذ القديم إلى اليوم.. ولاتزال النيات المبيَّتة والنزاعات الاستعمارية الخبيثة في مختلف أرديتها العلمية المزعومة، أو جحافلها الغازية المكشوفة، أو خططها السياسية الدفينة، تعمل للنيل مما أقامه العامل الحضاري العربي البربري الإسلامي من صرح وحدة كان لها، ولا يزال أثرها البالغ في توجيه دفة التاريخ نحو ما يدعم حرية الأمة ووحدتها في بلاد المغرب العربي، ومن ثم في الوطن العربي بكامله.

والمجلس القومي للثقافة العربية بخطه الفكري الواضح في خدمة الأهداف السامية للأمة العربية، بكل ما يعمل على ترسيخ وحدتها، وتحصين مواقفها ضد الهجمات والأخطار المحدقة بها، لا يسعه إلا أن يبارك مثل هذا الجهد في خدمة المسألة القومية العربية، خصوصاً أن المدرسة الاستعمارية التاريخية والسياسية لا تزال تفرخ إلى يومنا هذا، وتخرج كل حين جديداً، تحاول أن تكمل به ما بدأته منذ بداية الحركة الاستعمارية من عمل دؤوب على التفرقة بين أبناء الأمة الواحدة، متذرعة بشتى الأساليب والحيل.

من هذا المنظور يأتي هذا الكتاب ردًا على دعاوى ومواقف معادية للوحدة، كثيراً ما عانت وتعاني منطقة المغرب العربي من التعرض لها، وهي دعاوى ومواقف لم يكن الظهير البربري بالمغرب عام ١٩٣٦م أولى نكساتها في المغرب العربي، ولا كان آخر انتصار لوحدة الأمة عليها.

بيد أن الاتفاق على الهدف بل والاقتناع به، لا يكفيان بالضرورة للاتفاق المطلق مع المناهج المؤصلة، والوسائل المستعملة، فمجال البحث فسيح، والقضايا شائكة.. مما يجعل مثل هذا العمل الجاد يعادل في أهميته وخطورته، ما يمكن أن يثار بصدده من نقاش وجدال، بل إن مثل هذا النقاش يعدّ أحسن مكافأة للمؤلف، لما تحمَّلَه فيه من صبر ومجالدة، متجاوزاً كل النزاعات العرقية، والاختلافات الدينية والمذهبية، والاتجاهات الطائفية، ومقدراً أهمية العامل الحضاري العربي البربري الإسلامي في ترسيخ وحدة الأمة وتحصينها(١).

## نقد أطروحات المدرسة التاريخية الاستعمارية

أما في المبحث الأول فيتحدث المؤلف عن أطروحات المدرسة التاريخية الاستعمارية، وما قامت به من تحريف الحقائق وتشويهها، ببث نزاعات الانقسام، ومن غير شك. فإن «النزعة البربرية» من أخطر ما ابتكره الاستعمار في هذا السياق من عوامل الهدم والتقويض.

ثم تناول القضية البربرية من الناحية العلمية لمعرفة أصل البربر وحقيقة انتمائهم في ضوء جملة من المعارف تم التوصل إليها بالاعتماد على منهج مركّب تتداخل فيه عدة علوم من أثرية وتاريخ الإنسان (أنتروبولوجية) وبلنولوجية، ولغوية، واجتماعية وغيرها.. إذ يكشف كل منها عن جانب من هذه القضية، ويوفر مجموعة من الأدلة تساعد على الاستيعاب الشامل، وتقود إلى الحقيقة.

وقد كشف المؤلف في هذا المبحث عن أساليب الاستدمار الفرنسي وأهدافه الهدامة في المغرب العربي، كالفرنسية وتلهيج العربية، والتمسيح، وبث التفرقة وولادة النزعة البربرية وغيرها(٢).

## السامية والحامية من مبتكرات الاستعمار

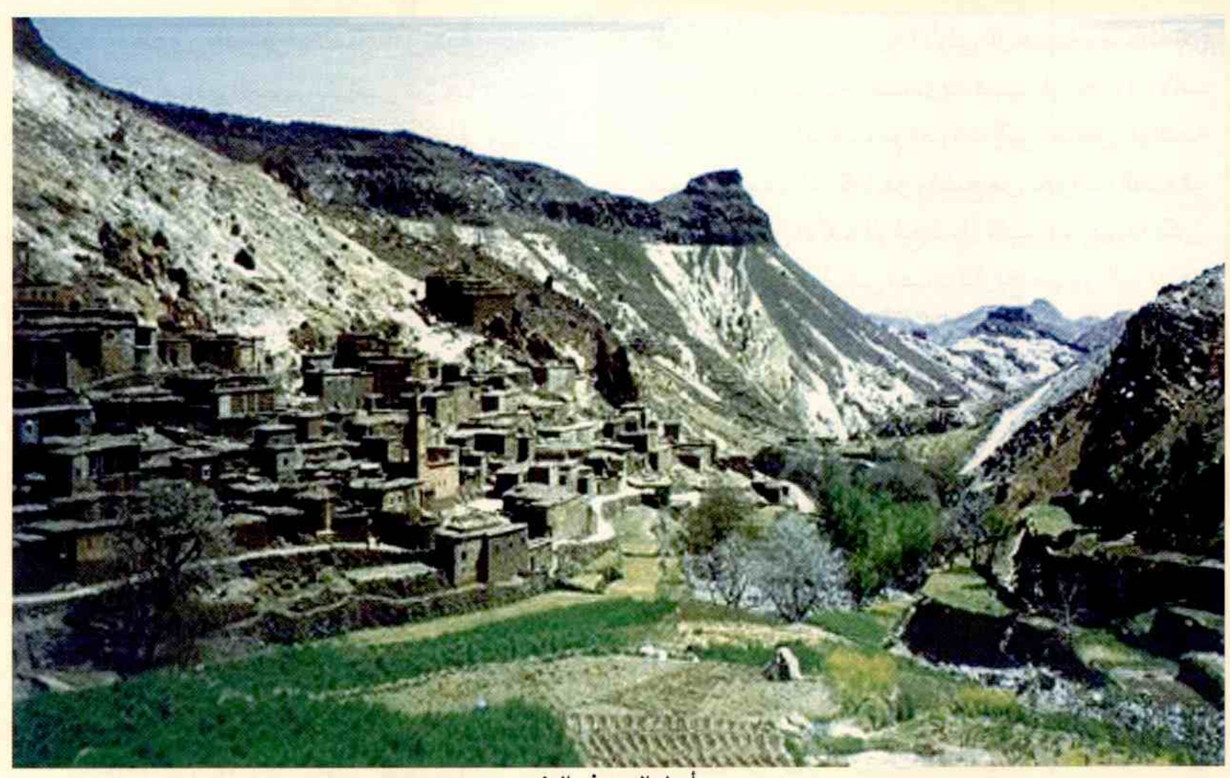
وفي المبحث الثاني يتحدث المؤلف عن قضية «الحامية والسامية»، وهي أيضاً من مبتكرات المدرسة الاستعمارية، فبعد إخفاقها في تصنيف البربر ضمن الشعوب الأوربية صنفتهم ضمن ما يسمى «بالشعوب الحامية».

**المطّلع على البربرية بمختلف لهجاتها يدرك تماماً مدى تأثرها الواسع العميق بالعربية إلى درجة أن هذا التأثير غيّر كثيراً من سماتها، وجعلها تختلف بدرجة أو بأخرى عما كانت عليه في العهود القديمة**

بيد أن الدراسات العلمية الحديثة أقرت بأن البربر سامية صميمة، وأن البربر أشقاء للعرب، ومنتسبون معاً إلى أصل واحد وأرومة واحدة. وهذا أول انتصار علمي يسجل ضد المدرسة التاريخية الاستعمارية على صعيد المعرفة، وأول خطوة في كنس المعلومات المغلوطة التي تحولت لدى المثقفين الغارقين في حمأة الاستعمار الثقافي إلى قناعات لا تدحض(٣).

## الحضارات والأنواع البشرية بشمال إفريقية

أما في القسم الثالث من الكتاب فيحدثنا المؤلف عن الحضارات والأنواع البشرية في ما قبل التاريخ بشمال إفريقية، وقد اتضح للمؤلف أن هناك تنوعاً ثقافياً وحضارياً ما قبل التاريخ بشمال إفريقية، فإلى جانب الثقافة الضبعانية والوهرانية والقفصية، هناك ثقافات أخرى تنتمي إلى العصر الحجري



من أحياء البربر في المغرب

الأعلى، تحدث عنها علماء ما قبل التاريخ، ولكن معلوماتهم عنها حتى الآن لا تزال محدودة، فالباحثون لم يتمكنوا بعد من تحديدها بدقة، ومن تعرّف أصحابها، وما يهمنا في شأن هذه الثقافات ما قاله (بالوت) عن صناعة الصفائح التي عثر عليها بالجنوب التونسي من أنه «ينبغي البحث عن الأصل باتجاه الشرق، برقة، ومصر، والشرق الأدنى»، وهذا اعتراف صريح منه بوجود ثقافات قديمة بالمغرب العربي ذات أصل شرقي، وأن الشرق الأدنى هنا لا يمكن أن يكون الجزيرة العربية ومنطقة الهلال الخصيب(٤).

اللغة البربرية سامية صميمة

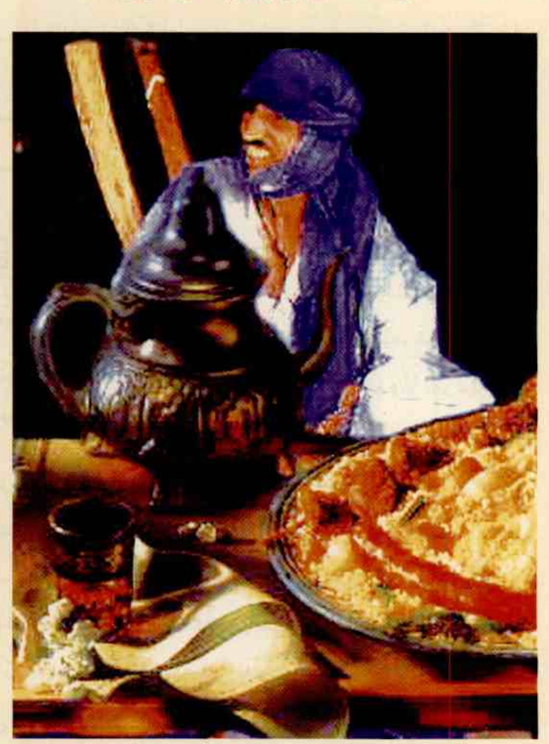
## الجزيرة العربية مصدر الحضارات والهجرات القديمة

وفي القسم الرابع: يتحدث المؤلف عن الجزيرة العربية - مصدر الحضارات والهجرات القديمة - واستهله بمدخل وضّح فيه أن للبربر هجرات، فهم ليسوا أفارقة جنساً ولغة، ولا أوربيين كما سبق ذكره، فهم إذن آسيويون من الجزيرة العربية، لا بحكم سيطرة ثقافتها ولغتها على منطقة الشرق العربي الحالية منذ ما قبل التاريخ بآلاف السنين فحسب، ولكن بصفتها في نظر الجميع من أهم مراكز الهجرة العالمية وأقدمها في منطقة غرب آسيا، وذكر المؤلف كل ذلك في نقاط محاولاً الإجابة عن بعض الأسئلة المهمة، منها: فما هي هذه الجزيرة؟ وما الذي جعل منها مصدراً قوياً للهجرات؟ ومتى كان ذلك على سبيل التقريب؟(٥).

## ظهور البربر بشمال إفريقية

وينتقل المؤلف في القسم الخامس من هذا الكتاب ليحدثنا عن (ظهور البربر في شمال إفريقية). ويبتدئ كلامه في أول القسم عن العصر الحجري الحديث وظهور البربر في شمال إفريقية معتمداً في بحثه على الوثائق المصرية التي انفردت في الفترة الطويلة السابقة للفينيقيين بمعلومات مهمة حول جماعات البربر القديمة (اللوبيين)، وقدّم خلاصة لتلك الوثائق، ومن خلالها وصل في نهاية المبحث إلى خلاصة فحواها: أن

**كشف المؤلف في هذا المبحث عن أساليب الاستدمار الفرنسي وأهدافه الهدامة في المغرب العربي، كالفرنسية وتلهيج العربية، والتمسيح، وبث التفرقة وولادة النزعة البربرية وغيرها**


البربر وعادات عربية أصيلة

الجماعات البربرية الأولى الرعوية وصلت إلى الصحراء الليبية وانتشرت فيها في حدود الألف الخامس قبل الميلاد، ثم تحولت إلى المناطق الواقعة شمال الصحراء، كما هو واضح من تحولات الظروف المناخية في الألف الرابع قبل الميلاد، وبهذا يكون الباحث قد توصل إلى تحديد تاريخ ظهور البربر في شمال إفريقية، وهو أمر لا يرتاح له من يكذبون على التاريخ، وفي طليعتهم أنصار المدرسة الاستعمارية التاريخية والسياسية(٦)..

## اللغة البربرية

وفي القسم السادس من هذا الكتاب يتحدث المؤلف عن اللغة البربرية باختيار الأدلة اللغوية من أفضل الأساليب وأوضحها لإثبات ما بين الشعوب من علاقات ثقافية وصلات نسب، ولذا فقد خاض المؤلف في هذا الموضوع معتمداً على منجزات علم اللغة المقارن، وعلى ما توصل إليه من معلومات وحقائق لغوية في مجال الدراسات البربرية وعلاقتها باللغة العربية القديمة، ومن أبرز الجوانب التي تناولها المصنف في هذا القسم ما يأتي:

- تصنيف البربرية والفكر الإقليمي الطائفي.
- البربرية واقع لغوي قديم.
- السمات المشتركة بين البربرية والأكدية.
- الحالة الصوتية.
- الموازنة مع الأكدية ولغات عربية قديمة أخرى.
- التصريف.
- صيغة الفعل.
- التعريف والتنكير.
- الناحية المعجمية.

وهكذا، فإن الدلالة التي قدّمها المؤلف من خلال الاطّلاع على البربرية واللغات العربية تزيدنا دراية بمعرفة كثير من الأصول والظواهر اللغوية في عربية القرآن بوصفها خلاصة لتوطر لغوي واسع قديم ومتنوع(٧).

## السمات المشتركة بين البربرية والعربية

وتحدث في القسم السابع من هذا الكتاب عن السمات المشتركة بين البربرية والعربية، فقال: إن المطّلع على البربرية بمختلف لهجاتها يدرك تماماً مدى تأثرها الواسع العميق بالعربية إلى درجة أن هذا التأثير غيّر كثيراً من سماتها، وجعلها تختلف بدرجة أو بأخرى عما كانت عليه في العهود القديمة.

وقد أكد هذه المسألة كثير من الباحثين على اختلاف مشاربهم، وقدّم الباحث أمثلة كثيرة من أوجه التشابه اللغوي، وكذلك التشابه الاجتماعي في فن العمارة(٨).

## الأسماء ودلالاتها بين العربية والبربرية

أما القسم الثامن من الكتاب، فتحدث فيه عن الأسماء ودلالاتها، ولاحظ المؤلف أن الأسماء البربرية، ولا سيما القديمة منها، لم تبحث ولم تقع موازنتها بما في اللغات العربية القديمة، مع ما لهذا الموضوع من أهمية في دراسة مسائل كثيرة، ومنها الهجرات وتنقل الجماعات البشرية، ثم درس جملة من الأسماء لها صلة بالواقع البربري، وحللها وفحص مدلولها، ومن هذه الكلمات التي وقف عند دلالتها طويلاً: البربر: وقد خصها بأكثر من عشر صفحات من التحليل والدرس.

وكلمة البربر من الكلمات ذات الشأن في تاريخ منطقتنا المغربية، وقد اكتسبت قيمتها التاريخية منذ مجيء العرب المسلمين، فصارت منذ ذلك الزمن علماً مميزاً يطلقه الناس جميعاً على سكان شمال إفريقية، كما تناول بالدرس والتحليل كلمات: أمازيغ - المور أو الموريين - الطوارق - الشاوية - جيتوال - أو جدالة - الفاروزيون - القبائل، وغيرها(٩).

## مظاهر التشابه بين العرب والبربر

أما القسم التاسع من الكتاب: فتحدث فيه المؤلف عن مظاهر أخرى من التشابه بين البربر والعرب، فتناول

**وضّح المؤلف أن للبربر هجرات، فهم ليسوا أفارقة جنسًا ولغة، ولا أوربيين كما سبق ذكره، بل آسيويون من الجزيرة العربية التي هي من أهم مراكز الهجرة العالمية وأقدمها في منطقة غرب آسيا**



البربر: عراقة في العروبة وأصالة فيها

فيه: التنظيم الاجتماعي للبربر - أسرة الأب ودلالتها على الهجرة - الموسيقى الشعبية - تقنيات جمع المياه وفلاحة المدرجات وغيرها من عناصر التشابه في نظامهم وثقافتهم وأسلوب حياتهم(١٠).

## المؤرخون المسلمون وأصل البربر

أما القسم العاشر والأخير من الكتاب؛ فتحدث فيه المؤلف عن المؤرخين المسلمين وأصل البربر، فقد ذكر

**الدراسات العلمية الحديثة أقرت بأن لغة البربر سامية صميمة، وأن البربر أشقاء للعرب، ومنتسبون معًا إلى أصل واحد وأرومة واحدة. وهذا أول انتصار علمي يسجل ضد المدرسة التاريخية الاستعمارية على صعيد المعرفة**

آراء المؤرخين وبعض النسابين المتعلقة بالبربر وأصولهم، ووازن بينها وبين نتائج الأبحاث الحديثة، وهذه أهم العناصر التي تناولها في هذا المبحث: البربر وشجرة الأنساب، والبربر وجالوت، والبربر من الجبارين، والبربر خليط، والبربر وإفريقيش، ومكان البربر وخروجهم منه، ونظرة عامة حول الآراء السابقة وغيرها.

وقد أسلمته الدراسة إلى نتائج علمية أهمها: أن البربر عامة ما هم إلا فرع كبير من تلك الشعوب العربية القديمة انتقل إلى المغرب على مراحل، وانعزل فيه، مما ساعده خلال أحقاب طويلة على الاحتفاظ ـ قليلاً أو أكثر ـ بسمات من الصورة التي كانت لأجدادنا ذات يوم في العهود القديمة.

وهكذا تتضح عراقة البربر في العروبة وأصالتهم فيها، وهم لهذا السبب اندمجوا بالعرب ونسجوا معهم في سياق التطور العام للتكوينة الجديدة للأمة العربية(١١).

## القيمة التاريخية والعلمية للكتاب

إن هذا العرض الوجيز لمحتويات هذا الكتاب لا يعطي سوى نظرة سطحية عن قيمته الحقيقية ـ التاريخية والعلمية ـ التي ستجعل منه مرجعًا أساسيًا لتاريخ البربر وأصلهم في شمال إفريقية، لا كما أشاعه علماء المدرسة التاريخية الاستدمارية الفرنسية الذين قاموا بتحريف التاريخ وتشويه الحقائق من حيث بث نزعات الانقسام بين أفراد المجتمع الواحد، كالنزعة البربرية التي هي من أخطر ما ابتكره الاستدمار الفرنسي في شمال إفريقية.

وعسى أن يكون من فوائد هذا الكتاب أنه كشف عن أساليب الاستدمار الفرنسي وأهدافه الهدامة في المغرب العربي الكبير، كالفرنسية، وتلهيج العربية، والتمسيح، وبث التفرقة بين أبناء الوطن الواحد، كخلق النزعة البربرية، وغيرها.

وهذا الكتاب أحد الكتب النفيسة التي لا تقل قيمته العلمية عن أثمن الأطروحات الجامعية التي تقدم لنيل شهادة الدكتوراه، فقد جمع المؤلف ما كتب في الموضوع من آراء، وما تفرق في مختلف المظان والمصادر والمراجع باللغة العربية واللغات الأجنبية، وقرأها قراءة نقدية، وحللها تحليلاً علميًا، وقد سلك في دراسة تلك الآراء مسلك الحياد العلمي، وعارض مؤرخي المدرسة التاريخية الاستدمارية من عرب وعجم، وبيّن زيف بعض دعاويهم بالاعتماد على الأدلة والحجج الدامغة، مما جعل الكتاب مهمًا قيمًا لا يستغني عنه أي مهتم بتاريخ البربر، وبتاريخ شمال إفريقية مطلقًا، خصوصًا وقد أضفى عليه المؤلف جمالاً، ورونقًا بأسلوبه الماتع الشائق حين توخى فيه السهولة والسلاسة مما جعل الكتاب ذا قيمة علمية وتاريخية وأدبية، فهو يذكر المصادر والمراجع بكل دقة، ويتعمق في البحث، ولذلك فالكتاب صالح للجمهور والباحثين معًا.

المراجع


١ـ البربر عرب قدامى، محمد مختار العرباوي، ص ـ ٥.
٢ـ المرجع نفسه، ص٧، وبعدها.
٣ـ المرجع نفسه، ص٨٤، وبعدها.
٤ـ المرجع نفسه، ص٩٩، وبعدها.
٥ـ المرجع نفسه، ص١٢٠، وبعدها.
٦ـ المرجع نفسه، ص١٥١، وبعدها.
٧ـ المرجع نفسه، ص١٦٣، وبعدها.
٨ـ المرجع نفسه، ص١٨٨، وبعدها.
٩ـ المرجع نفسه، ص٢١٩، وبعدها.
١٠ـ المرجع نفسه، ص٢٥٧، وبعدها.
١١ـ المرجع نفسه، ص٢٧٨، وبعدها.

# آنّا ماري شيمل
# السفير الثقافي بين الشرق والغرب

**صادق العبادي**
طهران - إيران



**البروفسورة آنا ماري شيمل فارقت الحياة في يناير / كانون الثاني عام ٢٠٠٣م عن عمرٍ يناهز الثمانين عامًا في مدينة بون بألمانيا، وقد عرفها العالم العربي عبر دراساتها العلمية عن جلال الدين الرومي، ومحمد إقبال والتصوف، واهتمامها بالآداب الشرقية، وقد استضافها مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات قبل وفاتها بعام، وحاضرت حول الأدب العربي في الهند (الفيصل ٣٠٣).**

شهد بفضلها الشرقيون والغربيون والسفير الألماني في الرياض الدكتور هارالد كيندرمان الذي قال في حفلة الضيافة: «إن الاحترام الكبير والسمعة الطيبة اللذين تتمتع بهما شيمل في دوائر الثقافة الإسلامية والغربية يعودان إلى سعيها الدائم من أجل الحقيقة، وكفاحها طوال حياتها ضد الأحكام المسبقة». شهدت لها الأوساط العلمية بالفضل في التقريب بين الشعوب والحضارات، والتعريف بالقيم الإنسانية والحضارية في الإسلام. ما سيرة حياتها، وماذا قدمت للشرق الإسلامي؟

## إطلالة على حياتها

ولدت آنّا ماري شيمل Anne Marie Schimmel في السابع من أبريل عام ١٩٢٢م، وكان هذا اليوم يومًا مباركًا وميمونًا للاستشراق والمستشرقين، كما تقول هي عن ذلك؛ لأنه، بالإضافة إلى أنه يوم ميلاد شيمل، قد ولد فيه أيضًا الباحث الإيراني سيد حسين نصر زميلها في الدراسات الإسلامية، واقليان برتيساك، وهانس آلنبرغ أول مدرّس عربي للسيدة شيمل.

ولدت شيمل في عائلة دينية بروتستانتية متوسطة،

وكان الجو العائلي الديني أحد العوامل المشجعة لها في التوجه نحو الشرق الإسلامي؛ لأن أبويها وفّرا لها جواً دينياً منفتحاً يؤمن بالتفاهم والحوار والتعايش، إلى جانب الاهتمام بالأدب والشعر.

كان أبوها موظفًا متوسطًا في البريد، وذا علاقة بالفلسفة والروحانيات، وكانت أمها ربة بيت، وكانت شيمل البنت الوحيدة في هذه العائلة، فلم يكن لها أخ أو أخت، وعلى الرغم من أنها بدأت بتعلم الفرنسية واللاتينية، لكن الشرق كان في انتظارها. تقول هي عن نفسها: «منذ الطفولة ارتبطت بالشرق، لا أدري متى توجهت نحو الإسلام والشرق، وكيف كان ذلك، ولكنني أتذكر أنني قرأت أول قصة جميلة شرقية وأنا بنت السابعة من عمري، وهذه القصة هي التي جذبتني نحو الإسلام وحضارة الشرق، وجعلتهما مادة دراساتي وتخصصي، في الخامسة عشرة من عمري تعلمت العربية على يد أستاذ ألماني(١)، ومنذ البداية كنت أُحبّ العربية وأعشقها، حقًا كنت أعشقها، فبدأت بمطالعة الكتب والقصص العربية، حتى إنني حفظت جزءاً كاملاً من القرآن».

في السادسة عشرة من عمرها حصلت على الدبلوم وتعلمت الإنجليزية اللغة الأجنبية الثالثة في المدارس بعد الفرنسية واللاتينية، وعلى الرغم من أن دراستها كانت في مجال العلوم الطبيعية، إلا أنها بدأت دراسة تاريخ الفن الإسلامي عند أرنست كونل R. Kuhnel واستمرت في تعلم العربية عند والتربيوكمن بعد أن نصحها كونل بأن تترك العلوم الطبيعية وتهتم بالفنون الإسلامية والثقافة العربية والتركية والفارسية، فبدأت شيمل بدراسة الفارسية والتركية أيضًا إلى جانب العربية. عندها بدأت كتابة رسالتها باقتراح من ريجارد هارتمان R. Hartmann عام ١٩٤١م بعنوان «الخليفة والقاضي في مصر أواخر عصر المماليك»(٢) وكانت في سن ١٩، وبعد تخرجها عملت فترة مترجمة في الخارجية الألمانية أيام الحرب، وأسرها الأمريكيون، وكانت فرصتها لمراجعة الآداب الشرقية خصوصًا الرومي.

**أرادت شيمل بعد مئة وثمانين عامًا من وفاة جوته أن تجسد آماله في ربط الروح الشرقية بالروح الغربية عندما طبع كتابه «ديوان الشرق والغرب» الذي أخذ شهرة عالمية**

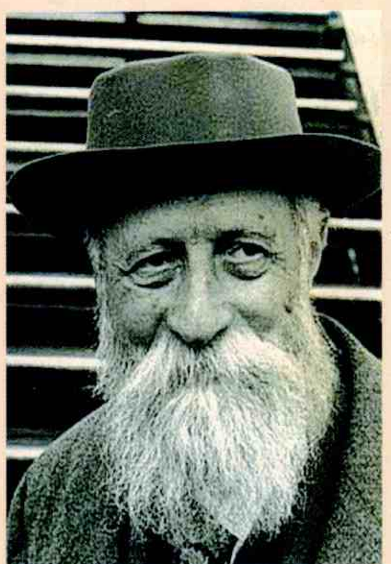


آنا ماري شيمل (في شبابها)

بعدها عيّنت أستاذة مساعدة في الاستشراق في جامعة ماربورغ وهي في سن ٢٣ من عمرها، واشتهرت بسرعة، وكانت هذه الفترة من أخصب مراحل حياتها؛ لأنها كانت تدرس مختلف المواد عن الشرق والإسلام كالآداب العربية والفارسية والتركية والفن الإسلامي والتاريخ، وكانت تدرس أيضًا عند فريدريش هايلر F.Heiler. عام ١٩٤٩م سافرت أول مرة إلى خارج ألمانيا، ثم إلى السويد (مدينة أوبسالا)، ثم في عام ١٩٥١م قدمت رسالة ثانية عن (تاريخ الأديان) وحصلت على دكتوراه في الفلسفة عام ١٩٥٢م. ثم سافرت إلى أول مدينة إسلامية هي إستانبول للتحقيق في مخطوطات المكتبات، وزارت قبر جلال الدين الرومي(٣) في قونية، وبعدها تكررت زياراتها إلى تركيا، وتوثقت علاقاتها بأدباء تركيا وكتابها، وترجمت الكثير عن التركية. حاضرت ودرست وتوثقت علاقتها بالثقافة الإسلامية في تركيا التي يكشف عن حبها للإسلام مبكراً، ثم قبلت إدارة كرسي التاريخ وأصول الأديان في جامعة الإلهيات بأنقرة، وحينها كان في هذه الجامعة ٤٠٠ طالب وطالبة أصبحوا يدرسون القرآن والحديث وأصول الفقه والعربية، إلى جانب الفلسفة الأوربية وعلم الاجتماع الديني وعلم الأديان المقارن، بإشراف سيدة ألمانية.

في تركيا ازدادت علاقاتها بالعالم الإسلامي ثقافة وشعبًا، كانت علاقاتها مع المثقفين إلى جانب الناس العاديين، وتأثرت كثيراً بالروح والثقافة الإسلامية، ويمكن اكتشاف ذلك في أكثر مقالاتها وكتبها. لقد نشرت (في ١٩٩٠م) ذكرياتها عن تلك الأيام في تركيا في كتاب باسم (أخي اسماعيل ... ذكريات عن تركيا) تعرض فيه خمسين عاماً من الحياة الثقافية والروحية في تركيا والمشروعات الثقافية والعلمية. تقول عن تلك الأيام: «في السنوات الخمس التي قضيتها في التدريس في جامعة أنقره التقيت المثقفين الشباب والسيدات والمفكرين وناقشتهم كثيراً، وكان ذلك هو العامل في صياغة رؤيتي عن الإسلام، فاختلفت رؤيتي عن الإسلام ثقافة وشعباً عن كثيرٍ من المستشرقين الذين هم أعلى منّي علمًا، لقد ذهبت إلى قرى تركيا والتقيت الناس العاديين، واستفدت منهم كثيراً، وكررّت ذلك في الباكستان أيضًا، ولكن في إيران وللأسف لم أوفق إلاّ للحضور في الندوات والمؤتمرات العلمية، ولذلك أرى تجربتي في إيران ناقصة»(٤).

**الاستشراق الألماني تميز بالدراسات الشرقية القديمة، والاهتمام بالآثار والآداب والفن، وهذا النوع من الدراسات عادة يكون خاليًا من الأغراض السياسية**



بوبير

في هذه الفترة لفت انتباهها ديوان «رسالة الشرق» لإقبال اللاهوري الذي كان مدخلاً لها لاكتشاف الشاعر جلال الدين الرومي؛ وقد كتبت حينها عدّة مقالات عن إقبال نشرت في مجلة Quartery Pakistan، ثم ترجمت كتاب «جاويدنامه» لإقبال إلى الألمانية والتركية. بعدها دُعيت السيدة شيمل إلى باكستان وتعرفت إلى إنتاج إقبال أكثر فأكثر، والتقت عائلة إقبال وأولاده، ومنذ هذه السفرة عشقت بلاد الهند وباكستان، وأصبحت بالنسبة إليها الموطن الثاني، وركزت أكثر اهتماماتها العلمية في الأدب الإسلامي في الهند(٥).

عام ١٩٥٩م انتقلت من تركيا إلى ماربورغ، ثم رأست المؤتمر العالمي عن تاريخ الأديان بالتعاون مع فريدريش هايلر، وفي عام ١٩٦١م عيّنت أستاذة للأدب العربي والدين الإسلامي في الجامعة، واستمرت علاقاتها الحميمة مع باكستان والآداب الإسلامية في بلاد الهند.

في عام ١٩٦٥م سافرت إلى كاليفورنيا للاشتراك في مؤتمر تاريخ الأديان، فعرض عليها كرسي (الثقافة الإسلامية في الهند) في جامعة هارفارد الذي أسسه أحد الهنود المسلمين الذي أوصى بأمواله لخدمة شعراء الهند الإسلاميين خصوصًا غالب دهلوي وميردرد، وهناك قدمت السيدة شيمل دروسًا عن الخط الإسلامي، والأدب، والتصوف، ولغة الأردو في الهند، وأشرفت على ترجمة الآداب الإسلامية الهندية إلى الإنجليزية. وفي عام ١٩٧٠م حصلت على رتبة أستاذ (بروفسور)(٦).

## مناصبها العلمية

بالإضافة إلى التدريس في جامعات تركيا وألمانيا والسويد وأمريكا فإنها رأست كل من المركز العالمي لتاريخ الأديان بعد وفاة الباحث ميرشا الياده Mircea Eliadeعام ١٩٨٦م، والجمعية العالمية للعلوم الدينية، وكانت عضواً في كثير من الأكاديميات العالمية، فقد أصبحت عضواً في الأكاديمية الملكية للعلوم الدينية١٩٨١م، وأكاديمية راين وست فالن في ألمانيا، وأكاديمية العلوم والفن في أمريكا عام ١٩٨٧م، والمتحف الفني في نيويورك عام ١٩٨١م، وعضواً في دائرة المعارف الإسلامية للأديان، وكثيرٍ من المؤسسات والأكاديميات الأخرى.

## معرفتها باللغات

كانت شيمل تعتقد أنه لايمكن نقل ثقافة أي أمّة إلى لغة أخرى إلا بعد معرفة لغة تلك الأمة، لذلك تعلمت اثنى عشر لغة منها: العربية والفارسية، والتركية، والأردية، ولغة السند والبشتو، والبنجاب، بالإضافة إلى معرفتها بالألمانية والإنجليزية والفرنسية واللاتينية والهولندية.

لقد كانت تكتب دراساتها وكتبها بالألمانية والإنجليزية، وكانت تترجمها بنفسها إلى اللغات الأخرى؛ لأنها كانت تشك في أن الآخرين يستطيعون أن ينقلوا عمق تحليلها وتصوراتها إلى لغة ثانية.

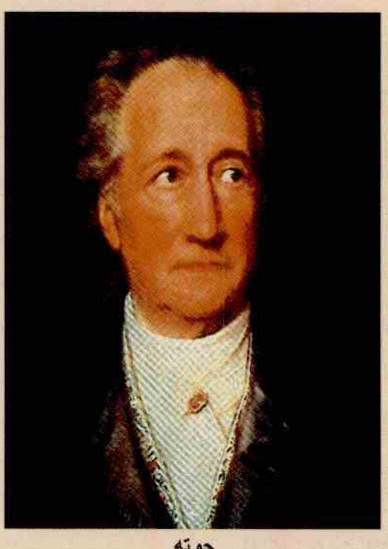
## الجوائز والأوسمة

لقد تحول منزلها إلى متحف للجوائز والميداليات والأوسمة لما قدمته من خدمة للثقافة والعلم في الشرق والغرب، فقد حصلت على عدة دكتوراه فخرية من جامعة السند، وجامعة القائد الأعظم في باكستان عام ١٩٧٥م، وجامعة بيشاور عام ١٩٧٨م، وجامعة أوبسالا السويدية عام ١٩٨٥م، وجامعة قونية عام ١٩٨٨م، وجامعة طهران عام ١٩٩٨م، وحصلت على عشرات الأوسمة والميداليات منها: جائزة روكرت الألمانية التي تعطي لأفضل ترجمة إلى الألمانية عام ١٩٦٥م، والميدالية الذهبية لهامر - بورغشتال من النمسا عام ١٩٧٤م، وجائزة يوهان فوس الألمانية عام ١٩٨٠م لأفضل الكتب المترجمة، ووسام «هلال امتياز» وهو أفضل وسام في باكستان عام ١٩٨٤م، وجائزة الصلح لجمعية دور النشر الألمانية عام ١٩٩٥م، وهي أهم جائزة ثقافية اجتماعية، اعدّتها شيمل أهم جائزة حصلت عليها، وأخيراً «وسام الصداقة» الذي قدمه رئيس جمهورية أوزبكستان لشيمل عام ٢٠٠٢م لدراسات شيمل عن تيمور في مدينة بخارى(٧).

## دراساتها ومنهجيتها

لقد كانت شيمل تهتم بدراساتها في نقد أعمال المستشرقين وتقويمها. وقبلها كانت تهتم بالتصوف والمتصوفين، والعلاقة الشديدة بالشعر والأدب خصوصاً جلال الدين الرومي، وإقبال اللاهوري، وإبراز دور المجددين في الفكر الإسلامي، ودور المرأة في المجتمع الإسلامي، والاهتمام بالآداب الإسلامية، كالعربية والفارسية والتركية، وبذلك استطاعت أن تقدم الكثير من هذه الدراسات بلغة علمية أكاديمية، إلى جانب جمالها الأدبي والبياني، فكتاباتها، بالإضافة إلى أنها مراجع للدارسين والباحثين، تجذب القارئ العادي وتشده أيضاً لبساطتها وسلاستها.

**لم تكتف بدراسة الثقافة والآداب في طيات الكتب، فقد كانت تدخل إلى وسط المجتمع، وتتحاور مع الناس العاديين إلى جانب المثقفين، وقد انتهجت ذلك في تركيا والهند وباكستان**



جوته

لقد اتبعت السيدة شيمل منهجية جديدة في بحوثها الإسلامية تمتاز هذه المنهجية بـ:

١- تعلم لغة المادة وكما أشرنا فقد كانت لا تكتب عن أي مادة إلا بعد أن تتعلم لغتها، وكانت حصيلة ذلك تعلمها ست لغات شرقية وست لغات أوربية.

٢- التفاعل الروحي مع المادة، فعندما تكتب عن الشعر أو التصوف أو الإسلام أو الفن فإنها تتفاعل روحياً ومعنوياً مع الموضوع، وتركز أيضاً في الشعر والأدب لقدرتهما التأثيرية.

٣- لم تكتف بدراسة الثقافة والآداب في طيات الكتب، فقد كانت تدخل إلى وسط المجتمع، وتتحاور مع الناس العاديين إلى جانب المثقفين، وقد انتهجت ذلك في تركيا والهند وباكستان، وعندما كانت تحاضر عن الثقافة والمعارف الإسلامية في جامعة

هارفارد كانت توصي طلابها بعدم الاكتفاء بالكتب النظرية، وإنما عليهم زيارة المتاحف والمهرجانات والأماكن التاريخية، وزيارة البلاد الإسلامية حتى يمكن لهم فهم الآداب والفنون والثقافة الإسلامية بشكل أفضل.

## منهج شيمل في عرض الإسلام

لقد انتشرت الدراسات الإسلامية والمقالات والكتب خلال العقود الكثيرة في المكتبات والصحف والإنترنت ولكن نرى أن أكثر هذه المقالات لاتعطي صورة صحيحة وإيجابية عن الإسلام لسببين:

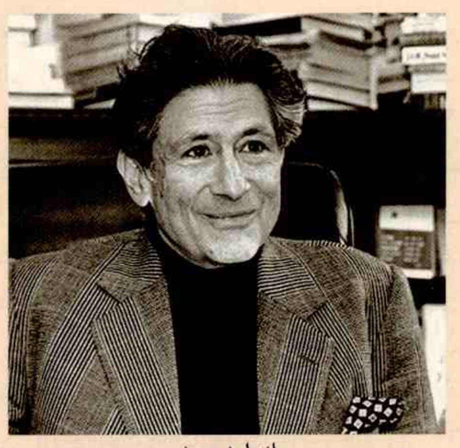
الأول : أن أكثر هذه المقالات هي من إنتاج الصحفيين أو الكتاب الذين لا يملكون خلفية علمية وأكاديمية عميقة عن الإسلام، فجاءت مقالاتهم بمنتهى السطحية.

الثاني : المقالات التي ولدت ضمن أجواء العداء والإرهاب والحروب التي صوّرت الإسلام على أنه دين العنف والقوة، وليس دين الحب والعلم والإيمان.

وفي هذه الاجواء ظهرت مقالات السيدة شيمل وكتبها لتعرض الإسلام: ثقافة، وأدبًا، وفنًا، وإيمانًا، وحبًا يحتاج إليه الإنسان الغربي اليوم، كما كان يحتاج إليه الشرقي بالأمس، وامتازت بالصفاء والخلوص والروح إلى جانب الدقة العلمية والأكاديمية، يفهمها القارئ العادي، كما يستفيد منها الطالب الجامعي الأكاديمي.

عندما كانت تستلم شيمل جائزة الصلح الألمانية قالت: إن الفهم الصحيح هي ولادة المعرفة التدريجية التاريخية، ولكن مع الأسف أن الكثير منا اليوم يفقد هذا الفهم الصحيح، وأصبحنا، كما قال القديس أغوسطين «الإنسان يفهم كل شيء إلى الحد الذي يحب ذلك الشيء»(٨).

**كانت لشيمل علاقة خاصة بالقرآن الكريم؛ لأنها كانت تؤمن بأن المنبع الأصيل لفهم الإسلام هو القرآن، وكانت تحبه حبًا جمًا، وقد حفظت قسمًا منه**



إدوارد سعيد

وحول اتهام النظام الإسلامي بالاستبداد والعنف تقول شيمل: لماذا هذه المغالطة؛ لقد كتبت وقلت مرارًا في مقابلاتي: إن الغرب قبل أن يعرف الديمقراطية وأن يسمع عنها، عرف المسلمون الديمقراطية وجرّبوها وهذا أمر بديهي. لقد دعى القرآن الناس إلى الشورى، وأن القرآن قائم على دعوة الناس للحوار وتبادل الآراء، والدعوة إلى التفكر والتأمل(٩).

في هذا المحيط الذي أصبح الإسلام فيه عرضة للتهكم والنقد وإبراز الوجه الخشن عنه، تظهر أهمية الدراسات والمقالات التي قدمتها البرفسورة آنّا شيمل إذ تعرض الجانب الإنساني والمعرفي من الإسلام الذي يؤدي دورًا كبيرًا في تحسين صورة الرأي العام، وإيجاد الجسور المناسبة للتقارب بين الحضارات.

خلال الفترة الطويلة من عمرها الذي امتد أكثر من ثمانين عامًا، قدمت شيمل للغربيين بإخلاص وصدق كل ماكان في جعبتها من أجل تعريف الثقافة والحضارة والآداب الإنسانية الشرقية، وهي لم تصحح رؤية الغرب عن الإسلام فحسب، وإنما أثارت الباحث الشرقي والمسلم أيضًا لاكتشاف الكنوز الأدبية والروحية لتراثنا التي كانت مختفية في المكتبات وبين دفات الكتب.

لقد كانت شيمل تبتعد عن الموضوعات المثيرة للاختلاف، وتركز في نقاط الوحدة البشرية، لأنها أوجدت الأرضية المناسبة لتبادل الثقافات بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، واستطاعت بذلك أن ترمم الصدع الذي أوجده المستشرقون الأوائل.

## عن القرآن الكريم

لقد كانت السيدة شيمل لها علاقة خاصة بالقرآن الكريم؛ لأنها كانت تؤمن بأن المنبع الأصيل لفهم الإسلام

هو القرآن، لذلك فإنها كانت تحب القرآن حباً جمّاً، وقد حفظت قسماً منه، وهي في العشرينيات. كانت تعتقد أن العرفان والتصوف الإسلامي هو انعكاس للتوجيه المعنوي للقرآن قبل أن يكون حصيلة ثقافات أخرى، لذلك اهتمت بتصحيح ترجمة معاني القرآن وتكميله إلى الألمانية عام ١٩٦٠م التي كان قد أعدها سابقاً ماكس هنينغ Max Henning.

وفي يوم استلامها جائزة الصلح للناشرين الألمان عام ١٩٩٥م قالت : «لو أنني وأمثالي من الذين صرفنا أعمارنا لدراسة وتحقيق وكشف عالم الإسلام بأبعاده المختلفة، لو استطعنا أن نعرض الجانب الإيجابي والبنّاء من الإسلام على عامة الناس الذين يغلب عليهم عدم الاطلاع عليه إلاّ نادراً، لرأينا أن الهزّة التي ستصيبنا كم هي عظيمة وشديدة، خصوصاً بعد هذه الأحداث التي حدثت خلال القرن الأخير في العالم الإسلامي. إن الكثير منا ينسى ذلك المقام العظيم للسيد المسيح وأمه العذراء مريم في القرآن، وأن القرآن كيف يصور ويمجّد لنا تقوى وطهارة السيدة مريم»(١٠).

ومن شدة اعتقادها بالقرآن وعمق رؤيتها فإنها افتتحت كل فصل من فصول كتابها «الشمس المنتصره» The Triumphal Sun حول أفكار جلال الدين الرومي بآية من آيات القرآن الكريم حسب سياق موضوع كل فصل(١١).

## اهتمامها باللغة العربية

مع أن السيدة شيمل بدأت معرفتها بالإسلام عبر معرفتها بالعربية، وسافرت إلى بغداد والقاهرة واليمن، واشتركت في تأسيس مجلة «فكر وفن» الصادرة في ألمانيا إلاّ أنّ جل اهتماماتها انصب على تركيا وإيران والهند وباكستان، وأن أكثر إنتاجها العلمي كان من المصادر الفارسية والتركية والأردية، إلاّ أن ذلك لايعني عدم اهتمامها بالعربية أو البلاد العربية فقد اشتركت السيدة شيمل في تحرير مجلة "فكرٌ وفن» Fikran wa Fann الصادرة في ألمانيا عشرة أعوام من عام ١٩٦٣ - ١٩٧٣م، أسس هذه المجلة العربية في ألمانيا البروفسور ألبرت تايله Albert Theile بدعم من معهد جوته الألماني لتكون جسراً ثقافياً بين ألمانيا والعالم العربي، وكان للسيدة شيمل دور بارز في نجاح هذه المجلة. وكان أول رسالتها عن مصر هو الخليفة والقاضي في نهاية عصر المماليك عام ١٩٤٣م. ثم عملت على كتاب «بدائع الزهور في وقائع الدهور» لابن إياس عام ١٩٤٥م، وترجمت مختارات من مقدمة ابن خلدون من العربية إلى الألمانية عام ١٩٥١م، ونشرت مختارات عن الشعر العربي المعاصر عام ١٩٧٥م، وكتاباً عن تعليم اللغة العربية ١٩٧٥م، بالإضافة إلى تدريسها العربية في أكثر من جامعة، وكان آخر إنتاجها عن الأدب العربي هو كتاب الأسماء الإسلامية من علي إلى الزهراء عام ١٩٩٣م، وآخر حضورها في العالم العربي قبل وفاتها في يناير/ كانون الثاني ٢٠٠٣م هو زيارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية حيث حاضرت عن الأدب العربي في الهند في شهر نوفمبر/تشرين الثاني عام ٢٠٠١م.



محمد إقبال

## الشعر والشعراء

من الاهتمامات الأساسية للسيدة شيمل هو الشعر والشعراء، فقد ترجمت لعديد من شعراء الشرق، مثل: محمد إقبال اللاهوري (جاويدنامه، جناح جبرائيل، رسالة الشرق، زبور عجم) وجلال الدين الرومي (مختارات من ديوان شمس التبريزي، والرومي: حياة وتراث جلال الدين الرومي، والشمس المنتصرة، وانظر إلى الحب، وترجمت وكتبت عن الشعر والشعراء في بلاد فارس وتركيا والأدب العربي، بالإضافة إلى كل ذلك فإنها كانت ذات قريحة شعرية، فقد نشرت أول مجموعة لها عام ١٩٤٨م بعنوان «صوت الناي»، ثم المجموعة

الثانية عام ١٩٩٨م بعنوان «المرآة الشرقية» التي هي انعكاس لتأثرها بالأدب الشرقي الإسلامي شكلاً ومضموناً.

من أهم خصائص شيمل اهتمامها الدائم بالشعر والآداب الشرقية، وليس هناك إنتاج لها يخلو منه؛ لأنها كانت تعتقد أن الشعر والأدب لهما تأثير عميق في الناس، ومنهجها هذا كان بفضل أستاذها فريدريش روكرت الذي كان يترجم أشعار اللغات الأخرى إلى الألمانية؛ لأنه كان يعتقد أن أصل كل اللغات واحدة، وأن من يعرف اللغات الأخرى يكسب قلوب الآخرين، ويستطيع أن يكتشف وحدة قلوب البشرية الكامنة خلف اختلافهم في اللغات، إنه كان يعتقد أن اللغة مع تنوعها تكشف عن الذات الإلهيه الواحدة. ومن هذا المنطلق كانت شيمل تعتقد أن لغة الشعر والدعاء أكثر تأثيراً من المسائل النظرية حول أصول العقائد في حوار الحضارات والأمم، أو بين عالم الإسلام والمسيحية. تقول شيمل: «لقد نشرت كتيباً عن الأدعية، وقد انتشر بين أصدقائي المسيحيين حتى المتعصبين منهم، وكنت أراهم يقرؤون هذا الكتاب. وهو ليس إلاّ ترجمة لمجموعة من الأدعية والمناجات الإسلامية. وبنظري أنها وسيلة مناسبة للتفاهم أفضل من فتح الحوار حول القضايا الكلامية»(١٢).

## الاستشراق الألماني

في يوم من الأيام كان الإستشراق حربة بيد الاستعمار الغربي للتأثير والنفوذ في ثقافة الشرق والسيطرة عليه، ولكنه اليوم تحول إلى علم وتخصص جامعي كالعلوم الأخرى، إننا لانستطيع أن ندّعي أن الاستشراق المعاصر تخلّى كليًا عن أهدافه الغربية، ولكننا نستطيع أن نؤكد أن غالبية المستشرقين - لاعتبارات خلفياتهم وحياتهم واهتماماتهم - كانوا منغمسين في «الرؤية الغربية» إلى الإسلام وبالنتيجة فإنهم كانوا يقدمون رؤية غير «الرؤية الشرقية»؛ لأن آثار القرون الماضية من الاستشراق الذي كان يومًا مّا وسيلة للاستعمار والسيطرة، وكان مهيمناً على هذا الحقل من الدراسات، ولازال الاستشراق المعاصر يعاني تأثيرات الجيل الأول من المستشرقين.

يعتقد بعض الباحثين العرب أن الاستشراق الألماني لم يخضع لغايات سياسية ودينية أو استعمارية بسبب عدم تورطه بالاستعمار وعدم اهتمامه بنشر الدين المسيحي في الشرق، ولكن يبدو عدم صحة هذا الإطلاق، وأن محاولات استعمارية من قبل ألمانيا كانت ولكنها باءت بالفشل، نعم يمكن القول: إنّ الاستشراق الألماني تميز بالدراسات الشرقية القديمة، والاهتمام بالآثار والآداب والفن، وهذا النوع من الدراسات عادة يكون خاليًا من الأغراض السياسية. وكذلك غلب على الاستشراق الألماني الروح العلمية والموضوعية والتجرد والإنصاف ومبعث ذلك خصال الألمان المجبولة على الدقة والصبر والمنهج العلمي الصارم(١٣).

**شيمل: عرف المسلمون الديمقراطية وجربوها قبل أن يعرفها الغرب، والقرآن يدعو إلى الشورى، وقائم على دعوة الناس إلى الحوار وتبادل الرأي**

كانت شيمل تخالف نظرية إدوارد سعيد حول نقد الاستشراق بإطلاقها، فهي تقسم الإنتاج الاستشراقي إلى نوعين، وتقول: «بنظري الاستشراق علمٌ من العلوم، والعالم الغربي استطاع أن يفهم تاريخ الإسلام وثقافته عبر ذلك، ولايجوز لنا أن ننكر الخدمات العظيمة التي قدمها كثيرٌ من المستشرقين في مجال ترجمة الكثير من التراث الإسلامي الأدبي والفلسفي إلى اللغات الأوربية، وكذلك معرفة التاريخ وغيره. ومن الخطأ أن نقوّم المستشرقين بمعيار واحد، وأن نضع جميعهم في خانة المغرضين.

صحيح أن بعض الإمبراطوريات الاستعمارية، كبريطانيا وفرنسا استخدمت الاستشراق لمصلحة أغراضها العسكرية والسياسية والاستعمارية، ولكن الاستشراق طريقة علمية استفاد منها علماء الغرب والشرق بدرجة واحدة، وبنظري أن أشخاصًا كطه حسين اكتشفوا هذه الحقيقة، ولكن إدوارد سعيد يهاجم الجميع، وهذا عيب كبير، طبعًا كتابه جيد، ولكن ليس أمينًا، وليس موضوعيًا»(١٤).

## سفيرة الحوار بين الحضارات

وإذا تحـول اليوم حـوار الحضـارات إلى شـعار عـالمي تبنتـه المؤسـسـات الدولـيـة، فـإن السـيـدة شـيـمل عـملت وأنتجت وتحـولـت إلى سـفـيـرة ثقـافـيـة في الحـوار بين حضـارة الشرق وحـضارة الغرب، فـهي منذ ستين عـاماً تجاهد في سبيل تبيين رسـالة الشرق الإنسانية إلى العالم الغـربي المنغـمس في الماديات والحـروب والجـشع المالي، لقد ولدت شيمل وترعرعت بـين حربين كونيتين، وعانت مآسي الحـرب العالميـة الثانيـة وسجنت وأسـرت، وذاقت العنف والسلاح، وعندما فتحت عـينها على ثقافة الإسلام وآدابهـا، اكتـشـفت عالمًا جـديداً من الحب والإنسـانية مـا أحوج الـغرب إليـهما، ولـذلك اهتمت بتـرجمـة أكبـر قدر ممكن من آداب الهند وباكـسـتـان وإيران وتركيـا والبـلاد العربيـة إلى الألمانية والإنجليـزية، وحصلت عـلى أفضل الجوائـز لأعمالهـا. تقول عـن تجربتـها بهذا الـشأن: «إن رؤيتي عن الإسـلام ليس فقط نابعـة من عشـرات السنين من البحث الدائم في الثـقافة والآداب والفنون الإسلامـيـة، إنما أخـذت ذلك من جـمـيع أطـراف العـالم، ومن جـمـيع طبـقـات الناس؛ لأنهم كـانوا يـحـتـضـنونـنـي بحب وافـر، ويقدّمون لي ثـقافاتهم، وكما قـال مارتين بوبر: «Martin Buber: أسـاس كـل كـلام هو تصـديق وتأييـد الطرف المقابل» وأنا اعتقد أن هذه الحقيقة صادقة في العلاقة بين دول الغـرب والعـالم الإسـلامي، خـصـوصـاً أنه بعـد أن انتـهت خلافـات الشـرق والغـرب وضع الإسلام وصُوّر على أنه عدو جديد، ولكنني مازلت أعتقـد كما يعتقد بوبر وأومن بأن الشـعـوب والأمم يـسـتـطيـعـون عبـر الحـوار الصـادق أن يصلوا إلى التفـاهم الواقـعي والمتسـالم، ولكن بشرط أن يحترم كل طرف عقيدة الآخر، وإذا لم نستطع أن نزيل الخـلافات مـرّة واحـدة، فإننا نسـتطيع أن ننزلّهـا إلى أدنى المسـتـويات بحـيث يتـحـملهـا الناس حـتـى تزول نهائيًا(١٥).

لقد أرادت شيمل بعد مئـة وثمانين عاماً من وفاة جوته Goetheأن تجـسد آمـال جوته في ربط الروح الشـرقـيـة بالروح الـغـربـيـة عـنـدمـا طبع كـتــابه «ديوان الشـرق والغـرب» الذي أخذ شهرة عالمية، وقد جسدت شيمل هذه الآمـال عـبر تخـصـيص أكـثـر حيـاتهـا في خـدمـة الفكر الشـرقي الإسـلامي، وربما كـان هذا هو السـبب في أن شيـمل دعت الباكسـتـانيين إلى تسمية أحـد شوارع لاهور باسم جوته. ولذلك يمكن أن نعدّ شيمل حقًا السفير الثقافي بين الشرق والغـرب. لقد علا اسمها من لاهور إلى ليدن، ومن قونيـة إلى كمبريج، ومـن طهران إلى توبينغن، ومن أنقرة إلى أوبسالا، ومن بيشاور إلى فينا.

## قصة جائزة الصلح في ألمانيا

كـمـا أشـرنا، فـإن رؤية الـسـيـدة شـيـمل عن الإسـلام والشرق ودفـاعها المسـتميت عنه تـختلف كثـيراً عن رؤية غالبية المسـتشرقين، ويظهر ذلك جليًا في قصة اسـتلامها لجـائزة الصـلح للناشـرين الألمان عـام ١٩٩٥م، وعلى الرغم من أنها لا تتـدخل في القضايا السياسية إلاّ أنّ هذه القضـيـة أقحمتها في الـسياسة، كما هو مـعروف، فإن هذه الجائزة تعدّ من أهم الجوائز الثقافية التي تمنح في المعرض الدولي للكتـاب في فرانكفـورت لأحد العلمـاء أو الكتّاب أو المترجمين أو الفنانين الذين خـدموا فكرة الصلح، ويحضـر احـتـفـال منح الجـائزة رئيس جـمـهورية ألمانـيا، وصـدرها الأعظم والوزراء ومـئات الشخـصـيات الـعلمية والثـقافـية والاجـتـمـاعـيـة من ألمانيا وغـيـرها، ومنذ أن أسـست هذه الجائزة عـام ١٩٥٠م فإنها لا تمنح لكتاب أو مـؤلف معين بل تمنح لمجـمـوعـة الآثار والإنتـاج الفكري وسـيرة حـيـاة الشخصية التي سعت من أجل الصلح والسلام من أي بلدٍ أو جنسـية. ويشـهد على ذلك الشـخصـيات التي حـصلت على هذه الجـائرة من أمـثـال: مارتـين بوبـر الفـيـسلـوف والمؤرخ النمسـاوي ١٩٥٣م، وهـرمـان هـسـه الكاتـب الألمـانـي ١٩٥٥م، وكـارل ياسـبـرس الفيلسـوف الألماني ١٩٥٨م، وسارو بالي رادا كريشنان أسـتاذ فلسفة ورئيس جـمـهورية الهند ١٩٦١م، وأرنست بلوخ، فـيلسوف ألماني ١٩٦٧م، وكـورجـاك طبـيب وأسـتـاذ بولندي ١٩٧٢م، وأرنسـتـو كـاردينال، قـسـيس وشـاعـر من نيكـارغـوا ١٩٨٠م، وهانس يـوناس فـيلسـوف أمـريكي ١٩٨٧م، وغيرهم، وعندما حصلت السيدة شيمل على هذه الجائزة بعد خـلاف شديد حول ذلك قـالت: «إنني فخورة باسـتلام جـائزة الصـلح هذه، وإنني لم أصـدق ذلك. لقـد اسـتلمت

عشرات الجوائز والأوسمة والدكتوراه الفخرية التي لم أكن أعتني بها، ولكنني لم أكن أصدق حتى في الحلم بأنني سوف أحصل على جائزة دولية كبيرة مثل جائزة الصلح هذه».

عندما رشحت السيدة شيمل لاستلام هذه الجائزة بدأت بعض الدوائر المخالفة للإسلام في ألمانيا بانتقاد موقفها من سلمان رشدي (١٦) الكاتب الذي أهان الإسلام والرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم في كتابه آيات شيطانية، لقد صرحت شيمل حينها: بنظري أن الكاتب الذي يتجاسر على النبي - وسلمان رشدي يعرف جيداً ما هو الشأن المقدس للنبي عند المسلمين - فإنه قطعًا قد أهان وتجاسر على مقدسات الإسلام، إنني رأيت شيوخاً طاعنين في السن بدؤوا يبكون عندما سمعوا ماجاء في كتاب آيات شيطانية وإنني اعتقد أن المس بأحاسيس وعواطف جمع عظيم من المؤمنين، طريقة سيئة، وإنني لا أستطيع أن أقبلها، إنني سوف أنتقد هذا الموقف حتى الموت. إن جماعات الضغط المؤيدين لسلمان رشدي لا يستطيعون أن يخيفوني. إن شخصية الرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم في الغرب لم تُطرح بشكل صحيح ومناسب، وإن القليل فقط في أوربا يعرفون أن رسول الإسلام هو مركز الولاء والمحبة لملايين المسلمين وكم هذا الكلام يستثير مشاعرهم!»(١٧).

**شيمل: أومن بأن الشعوب والأمم تستطيع عبر الحوار الصادق الوصول إلى التفاهم الواقعي والمتسالم، ولكن بشرط أن يحترم كل طرف عقيدة الآخر**

وبعد أن حصلت على الجائزة التي تشمل أيضًا على ٢٥.٠٠٠ فرانك فإنها أهدتها إلى مؤسسة في جامعة بون تعطي منح دراسية لشباب العالم الإسلامي للدراسة فيها.

وعلى الرغم من أن السيدة شيمل تقاعدت عن العمل في عام ١٩٨٢م إلاّ أنها لم تترك البحث والدراسة والكتابة حتى آخر لحظة من حياتها عندما وافاها الأجل في بون في كانون الثاني عام ٢٠٠٣م عن عمرٍ يناهز الثمانين عامًا، كله عطاء وخدمة للشرق الإسلامي.

الهوامش والمراجع

١ـ أستاذها كان الدكتور هانس النبرغ Ellenberg، معلم العربية واللاتينية ومتخصص في علم اللغات والاستشراق.
٢ـ طبعت الرسالة بعنوان: Kalif an Kadi im Spaet Mittelalterlichen Aegypten عام ١٩٤٣ في لايبزيك.
٣ـ جلال الدين الرومي (٦٠٤ ـ ٦٧٠هـ) مولانا محمد بن بهاءالدين البلخي الرومي، فقيه حنفي ومن أكابر الشعراء الصوفية، هاجر أبوه من كابل إلى قونية في سنة ٦١٦ هـ. من كتبه المهمة «مثنوي معنوي» الذي يحتوي على ٢٦،٠٠٠ بيت في قضايا الأخلاق والعرفان والدين والتربية. ترجم إلى العربية أولاً بواسطة عبدالوهاب عزام، القاهرة عام ١٩٤٦ وآخر ترجمة للدكتور إبراهيم الدسوقي شتا، القاهرة، المجلس الأعلى للثقافة عام ١٩٩٦م.
٤ـ مقابلة مع مجلة كيهان، العدد ١٢٣، (طهران ١٩٩٥م).
٥ـ انظر نتاجاتها عن الأدب الإسلامي في الهند في القائمة المرفقة في هذا المقال.
٦ـ أفسانه خوان عرفان، مقالة شرح أحوال، آثار، وأفكار بروفسور شيمل، إعداد حسين خندق آبادي، مؤسسة توسعة العلم والتحقيق الإيرانية، طهران ٢٠٠٣م.
٧ـ المرجع السابق، ص ٢٤.
٨ـ المرجع السابق، ص ٢٧.
٩ـ المرجع السابق.١٠
١٠ـ المرجع السابق. ص ٢٩.
١١ـ ترجم هذا الكتاب إلى الفارسية حسن لاهوتي بعنوان: شكوه شمس، وترجمه إلى العربية الدكتور عيسى على العاكوب بعنوان الشمس المنتصرة، دراسة آثار الشاعر الإسلامي الكبير جلال الدين الرومي، طهران ١٤٢١هـ، وزارة الثقافة والإرشاد.
١٢ـ أفسانه خوان عرفان، مرجع سابق، ص ٣٠.
١٣ـ للمزيد انظر: ساسي سالم الحاج، نقد الخطاب الاستشراقي (فصل خصائص الدراسات الاستشراقية في ألمانيا)، طرابلس، دار المدار الإسلامي ٢٠٠٢م.
١٤ـ مجلة نشر دانش، مقابلة مع شيمل، طهران، السنة ١٧، العدد ٢، ١٩٨٦م، نقلاً عن مجلة الفكر والفن الصادرة من ألمانيا. (ملاحظة : إذا كانت المجلة متوفرة عندكم يرجى نقل النص العربي من أحد أعداد ١٩٨٥ ـ ١٩٨٦م).
١٥ـ من كلمتها في حفل استلام جائزة الصلح للناشرين الألمان، نوفمبر عام ١٩٩٥م، مجلة كيان، العدد ٢٨ (طهران ١٩٩٥م).
١٦ـ السيدة شيمل اتخذت موقفًا مخالفًا لسلمان رشدي بسبب كتابه، وكذلك أعلنت مرارًا أنها ليست مع الفتوى الصادرة بإهدار دم سلمان رشدي؛ لأنها تدافع دائمًا عن حرية البيان والقلم. انظر خطابها بمناسبة استلام جائزة الصلح في ألمانيا عام ١٩٩٥م ـ مجلة كيا، العدد ٢٨، ١٩٩٥م، طهران.
١٧ـ في مقابلة مع تلفاز ألمانيا A.R.D ، أفسانه خوان عرفان، ص ٢٩.



# منح للدراسات الإسلامية في أكسفورد

يعلن مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية عن فتح باب الترشيح للحصول على منحة دراسية في جامعة أكسفورد في جميع المجالات الدراسية، مع منح الأفضلية لمن يتقدم للدراسة في الدراسات الآتية: دراسات التاريخ الحديث، والدراسات الاجتماعية، والأنثروبولوجيا «علم الإنسان»، والدراسات الشرقية، واللاهوت، والقانون.

وتشمل المنح منحة سيف بن محمد آل نهيان، ومنحة عيسى صالح القرق، ومنحة باركليز، وتغطي المنحة الرسوم الجامعية، ومصاريف الإعاشة، ومدة المنحة سنة واحدة قابلة للتجديد لمدة ثلاثة سنوات حسب تحصيل الطالب.

وينبغي أن تشمل الطلبات المقدمة سيرة ذاتية، وخلاصة موجزة للبحث المقترح، كما يرسل الباحث مع الطلب خطابي توصية مباشرة إلى المركز.

وآخر موعد لقبول الطلبات هو الخامس عشر من يناير / كانون الثاني ٢٠٠٤م.

العنوان:

Academic Secretary, Oxford Center For Islamic Studies, George Street, Oxford, OX1 2AR, UK

Tel: 44 1865 278730

Fax: 44 1865 248942

Website: www.oxcis.ac.uk




لقاء وطني للحوار الفكري

افتتاح المقر الرسمي لمؤسسة
الفكر العربي في بيروت

معرض فني للخط العربي
ومؤتمر علمي خليجي ـ مغاربي

نظام حماية حقوق المؤلف،
ومشروع وطني ثقافي للكتاب

جوائز لعلماء مصر وزهى حديد

البحث عن قبر جلجامش
ومومياء نفرتيتي

الإعلام الأمريكي والمصداقية

رحيل عبدالله الطيب والصيداوي



**خاتمة المطاف**

التكنولوجيا: وهم
إبداع أم وهم
استيراد؟

## لقاء وطني للحوار الفكري

أقيم برعاية صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد، ونائب رئيس مجلس الوزراء، ورئيس الحرس الوطني في يوم ١٥ ربيع الآخر الماضي اللقاء الوطني للحوار الفكري في مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الذي استمر إلى يوم ١٨ ربيع الآخر.

وقد تضمنت جلسة الافتتاح كلمة سمو ولي العهد قال فيها: «نحمد الله تعالى على ما أنعم به على هذه البلاد من نعم كثيرة من أعظمها نعمة سيادة عقيدة التوحيد، وتطبيق الشريعة السمحة، والتسليم بمبادئها وتعاليمها، والاعتراف بأنها الحاكم الأعلى، ونعمة توحيد البلاد ولمّ أجزائها، بعد أن عانت لأزمنة طويلة من الفرقة والجاهلية وفقدان الأمن وشيوع الجهل، ونحمده ونثني عليه على ما أفاء به علينا من خيرات لا تعدّ ولا تحصى».

وأضاف سموه: «لا يخفى عليكم وقد اجتمعتم في هذا اليوم المبارك لهدف نبيل وغاية شريفة ما يحدق ببلادنا من أخطار، وما تمر به من ظروف دقيقة حرجة، وما تعانيه من ضغوط، وما تواجهه من هجمات شرسة تمس العقيدة، وتهدد الوحدة الوطنية، وتعرضها للاختراق من قبل الأعداء الأمر الذي يوجب على كل مخلص من أبنائها أن يبذل أقصى الجهد والاجتهاد للتصدي لمحاولات النيل من وحدتها والمساس بأمنها واستقرارها وتهديد مصالحها».

وأشار سموه إلى ظروف انعقاد اللقاء بقوله: «وبحكم أننا جزء من هذا العالم الفسيح، ومجتمع من مجتمعاته، ولا نستطيع العيش في عزلة عنه، وأن حماية البلاد والمواطنين من الأفكار المخالفة والاتجاهات المؤثرة الضارة لم تعد متاحة بوسائل «الحجب والمنع» كما كانت في السابق، فقد أصبحت الحاجة ملحة وماسة إلى أن نفكر سوياً في نهج أساليب جديدة وطرق مختلفة لحماية ديننا ومواطنينا بما هو مجد وفعال، ولا شك في أنكم تتفقون معي في أن أنجع الأساليب وأجداها في هذا الاتجاه هو الإقناع ومخاطبة العقل والاستعانة بالمنطق الفكري في إطارمنطق سليم وحوار هادئ منظم يرتكز على تبيان الحجة واحترام الرأي الآخر وإتاحة الفرص لتبادل الرأي والمناقشة.



الأمير عبدالله بن عبدالعزيز

من هذا المنطلق فقد نشأت فكرة إقامة هذا الحوار الفكري في لقاء وطني بين أبناء الوطن المهتمين بهمومه المعنيين بشؤونه وشجونه ليتناول عدداً من الموضوعات التي تختلف فيها الآراء، ويثور حولها الجدل، ويكثر فيها النقاش في جو من الحوار العلمي الموضوعي الهادئ بعيداً عن أجواء التنافر ووحشة القلوب وإساءة الظن».

وعن هدف اللقاء قال سموه: «هذا اللقاء لمناقشة قضية هي من أهم القضايا وأولاها في المرحلة الدقيقة الراهنة من تاريخ بلادنا وأمتنا الإسلامية، ألا وهي قضية الخطاب الإسلامي الداخلي والخارجي بأمل الوصول إلى ما يرسّخ تمسك المملكة بعقيدتها الإسلامية، ويمكن من توثيق صلاتها بالعالم الإسلامي وتوثيق عرا الوحدة الوطنية في إطار من الوسطية والاعتدال والبعد عن التشدد والغلو».

واشتمل اللقاءعلى عدة موضوعات جاءت في محورين: الأول عن الوحدة الوطنية وأثر العلماء فيها.

والمحور الثاني عن العلاقات والمواثيق الدولية وأثر فهمها في الوحدة الوطنية.

وأوضح فضيلة الشيخ صالح بن عبدالرحمن الحصين رئيس اللقاء أن هذه الفكرة نشأت عندما اجتمع في شهر رمضان المبارك العام الماضي فريق من أهل العلم والرأي والاهتمام بالمصلحة العامة، ورأوا أن حرية الرأي والتعبير، هي ضرورة أولية لصلاح كل مجتمع

وتقدمه، ولكي تكون مجدية ومنتجة وبناءة لا بد أن يتوافر لها بيئة صالحة، ورأوا أن ذلك يتحقق بأن يكون الحوار الملتزم بأدبه وأخلاقياته منهجًا وأسلوبًا للعمل وعادة متبعة لدى أعضاء المجتمع السعودي على جميع مستوياته وشرائحه وحول كل القضايا التي تهمه.

وأشار إلى أنهم قدموا اقتراحًا لصاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني بإجراء تجربة في هذا الأمر إذا نجحت أمكن تكرارها في صور مختلفة، وحظي هذا الاقتراح بموافقة سموه وكلّف الفريق المشار إليه باقتراح موضوعات معينة للحوار، واختيار عدد من الشخصيات من ذوي الاهتمام بالموضوعات المقترحة، وأن يراعى تمثيلهم لوجهات النظر المختلفة.

وخلص الملتقون إلى التوصيات الآتية ..

- اعتبار خطاب الأمير عبدالله بن عبدالعزيز وثيقة رئيسة للقاء يسترشد أطراف الحوار بما أكدته من معان وأفكار وما تضمنته من مضامين مهمة.

- التوصية بتقوى الله سبحانه وتعالى ودعوة طلبة العلم من أساتذة الجامعات وأئمة المساجد وخطبائها بإعطاء هذا الجانب ما يستحق من العناية والنصح والإرشاد والتوجيه مستخدمين في ذلك جميع وسائل التبليغ المتاحة.

- التطوير العملي لفكرة هذا اللقاء وتوسيع دائرة المشاركة فيه ليشمل جميع المستويات، ويعالج مختلف الموضوعات، وذلك بإنشاء مركز للحوار الوطني يعني بتنظيم اللقاءات وإعداد البحوث والدراسات.

- المحافظة على الوحدة الوطنية.

- تأكيد مكانة العلماء ودورهم في ضمان الوحدة الوطنية.

- أن من أقوى دعائم الوحدة الوطنية الاهتمام بمعالجة هموم الحياة اليومية للمواطن والتوازن في توزيع برامج التنمية بين مناطق المملكة.

- الاستمرار في تطوير عناصر العملية التربوية بما يحقق مواكبة العصر وتعزيز الوحدة الوطنية.

- مراعاة قضايا الشباب في خطط التنمية وبرامجها، وبذل المزيد من الاهتمام بهم والمعالجة الشاملة جميع المشكلات التي يواجهونها.

- على وسائل الإعلام مراعاة الإسهام في تعضيد الوحدة الوطنية وعدم المساس بالثوابت التي قامت عليها.

- الاستمرار في عملية الإصلاح بجوانبه كافة، وتوسيع قاعدة المشاركة.

- الإسلام دين وسط في العقيدة والأحكام الشرعية لا يقبل الغلو والتشدد، كما لا يقبل التحلل من الثوابت الشرعية.

- قاعدة سد الذرائع من القواعد التي شهد لها الشرع بالاعتبار، وهذه القاعدة ينبغى إعمالها بتوسط واعتدال.

- أهمية الحوار وسيلة للتعبير عن الرأي وأسلوبًا للحياة وتأطيره لتحقيق التعايش من خلال منهجية شاملة تلتزم الأصول والضوابط الشرعية.

- الاختلاف والتنوع الفكري سنة كونية وحقيقة تاريخية لذا لا يمكن الغاؤه وتجاوزه.

- العمل على معالجة القضايا والمشكلات والمظالم والممارسات والتقاليد التي تواجه المرأة في العصر الحاضر، والعمل على وجودها في الوطن نموذجًا للمرأة المسلمة، وتوسيع دائرة مشاركتها فيما يخدم قضايا المرأة المسلمة.

- ضمان حرية التعبير عما يراه المسلم حقًا وفق الضوابط الشرعية .

- للفتوى مكانة سامية مهمة عظيمة في المجتمع المسلم، ولذا تتأكد حاجتها إلى مواكبة العصر والتواصل مع مختلف المجامع الفقهية، وتفعيل الاجتهاد والاستفادة من المختصين في العلوم الأخرى، وتأسيس مراكز للدراسات والبحوث العلمية المساندة للفتوى وتكوين لجان للفتوى في مختلف مناطق المملكة .

- ضرورة الوعي بالظروف الإقليمية والدولية ومراعاتها واتباع المصالح القائمة على العدل في تأسيس العلاقات الدولية.

- الجهاد ذروة سنام الإسلام، وقد بيّنت الشريعة أحكامه وأسسه ومبادئه والحاجة قائمة إلى ربط تلك

الأحكام بالواقع، وإعلان الجهاد منوط بولي الأمر.

- يؤكد المجتمعون على أن مقاومة الاحتلال الصهيوني في فلسطين حق مشروع ويؤيدون بهذا الخصوص جهود المملكة في نصرة الشعب الفلسطيني.

- أن مما يتألم له المشاركون في هذا للقاء الاعتداءات الآثمة على المسلمين من المواطنين والمقيمين وغيرهم من المستأمنين، ويقررون أن ذلك محاربة لله ورسوله وإفساد في الأرض، وأن الإسلام بريء من تلك الأفعال الإجرامية.

## الأمير خالد الفيصل: الأمة لن تقبل منا مجرد بيان يضاف إلى رصيد العجز العربي



الأمير خالد الفيصل

افتتح رئيس الجمهورية اللبنانية أميل لحود ممثلاً بوزير الثقافة غازي العريضي في بيروت في الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة ١٤٢٣هـ/ الموافق عام ٢٩ مايو ٢٠٠٣م، المقر الرسمي لمؤسسة الفكر العربي، في احتفال شهده صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل رئيس مؤسسة الفكر العربي، ورئيس مجلس النواب نبيه بري ممثلاً بالنائب ياسين جابر، ورئيس مجلس الوزراء رفيق الحريري ممثلاً بشقيقته النائبة بهية الحريري، وحضر حفل الافتتاح نخبة من الشخصيات العربية يأتي في مقدمتهم: الأمين العام للأمم المتحدة السابق بطرس غالي، ورئيس الوزراء اليمني السابق محسن العيني، والوزير البحريني علي فخرو، ورئيسة جامعة الخليج د. رفيعة عبيد غباش، والوزير التونسي عبدالسلام المسدي، وعضو مجلس الأمة الجزائري محي الدين عميمور، والوزير الأردني السابق ناصر الدين الأسد، والوزيرة الأردنية السابقة ليلى شرف.

وألقى سمو الأمير خالد الفيصل كلمة في الاجتماع التشاوري للمدعوين من المفكرين والمثقفين العرب الذي أعقب الافتتاح رحب فيها بالحضور مقدراً حرصهم على «حضور هذا الاجتماع في وقت يحدد - بل يهدد - مصير الأمة وبخاصة بعد السقوط العربي المدوي مؤخراً في بغداد، وهو السقوط الذي لم يكن مفاجأة كما يظن البعض، بل نتيجة متوقعة لعوامل كثيرة ونذر لا تخفاكم، معظمها من صنع أيدينا للأسف، وليس أقلها الإصرار على الفرقة والشتات في عالم لا يقيم وزناً للصغار المتفرقين».

وأشار الأمير خالد الفيصل إلى أن النموذج الغربي - الذي يبهرنا دائماً منتجه الحضاري - يلاحظ أن مشروع نهضته قد بدأ - ولا يزال قائماً - على المنتج الفكري من مراكز البحوث والدراسات التي تعود غالبيتها إلى القطاع الخاص، أي أن شعلة الانطلاق في سباق النهضة لابد أن يحمل الفكر أمانتها... ويؤمن المالُ لها عوامل الحياة .

وأضاف سموه أن الأمة العربية عاتبة على الكثير من مفكريها: العزلة والشتات والإفراط في التغريب - النقد للنقد - والتنظير بما ينافي الواقع على الأرض .. إلى غير ذلك مما يوجه إليهم، وقال: إن أمتكم لا يمكن أن تقبل منا مجرد بيان يضاف إلى رصيد العجز العربي الذي لم يحرك للأزمة ساكناً ولا غيّر من مرارة الواقع شيئاً.

وأضاف سموه قائلاً: كفى رسوفاً في أغلال التشكيك وعجاج الخلافات وليكن خلافنا - إذا وقع - في الأساليب لا في الغايات، التي يجب أن تنحصر اليوم فيما يمكن أن نفعله لبناء مستقبل الأمة العربية، والاعتراف بأننا في حاجة ماسة إلى موقف قوي موحّد من أجل ذلك، وكفى شكوى من تآمر الآخرين علينا، والاكتفاء بانتقاد وضع الخطط والبرامج لنا من قبل الآخرين، مع أن أهل الوطن أدرى بشعابه... لكنه الفراغ الصامت، وإلا لماذا لا نصنع نحن خططنا وبرامجنا التي تحقق مصالح أمتنا رضي الغير بها أم سخط؟!.

ثم ألقى وزير الثقافة اللبناني غازي العريضي كلمة الرئيس العماد أميل لحود أكد فيها دقة المرحلة التي تمر بها المنطقة العربية التي تتعرض لشتى أنواع الضغوطات والإرهاب الفكري من خلال ماترميه مراكز أبحاث ودراسات من مصطلحات ومفاهيم ومفردات تغرق الناس فيصبح عدد كبير منهم أسرى لها.

وطرح العريضي عدة تساؤلات تشكل هموم الواقع العربي خصوصًا العلاقة بين الفكر العربي والقومي ومستقبل العلاقات العربية ـ العربية، والعربية ـ الإسلامية وقضايا العولمة، والتكنولوجيا وغيرها، داعيًا مؤسسة الفكر العربي إلى رسم خريطة طريق فكرية والتعاون لرسم خطة إعلامية لإبداء وجهة نظرنا، ومخاطبة الآخر، والدفاع عن قضايانا، ثم ألقى النائب ياسين جابر كلمة نيابة عن رئيس مجلس النواب نبيه بري عبر فيها عن أمله في أن تكون المؤسسة بداية لتعزيز الحوار بين النخب العربية بتحديث التشريعات المهتمة بوقف وإقصاء ومحو العقل العربي أو مصادرته وتفعيل دوره بمشاركته في كل ما ينتج حياة دولنا ومجتمعاتنا، ووضع بري إمكانات مديرية الدراسات والأبحاث، ومكتبة المجلس النيابي اللبناني لدعم أنشطة المؤسسة. وقال ياسين جابر: إن المؤسسة في هذه اللحظة السياسية تتجاوز الجغرافية العربية إلى العالم لنقل الموقف العربي والرؤية العربية للقضايا العربية وبلغات العالم وعبر شبكة الإنترنت، خصوصًا أن القضية الفلسطينية تكاد تضيع بين تقرير ميتشل، وخطة تينت، وخريطة الطريق.

أكدت النائبة بهية الحريري ممثلة رئيس مجلس الوزراء اللبناني رفيق الحريري بدورها، أن هناك أمرين يجب التنبه لهما هما: نشأة مؤسسة الفكر في السنتين الأخيرتين، وانطلاقتها من بيروت بوصفها بيئة للثقافة والمثقفين ومنارًا لحاملي الكلمة والمؤثرين في القرار، كما عرفت بالانفتاح على البيئات الثقافية والسياسية العربية يقصدها كل المعنيين بالشأن العربي والثقافي والاقتصادي والسياسي، ويؤسسون حرية الكلمة والفكر، وينشرون أفكارهم في الوطن العربي.

يشار إلى أن مؤسسة الفكر العربي تقوم بالإعداد للملتقى العربي للتربية والتعليم الذي سيعقد في العاصمة اللبنانية في الفترة من ١٧ـ٢٠ فبراير/شباط عام ٢٠٠٤م، ويهدف إلى التعرف إلى أوضاع التربية والتعليم في الوطن العربي في أداء رسالتها، واقتراح الحلول العملية لتطوير التربية والتعليم في الوطن العربي في ضوء المتغيرات الدولية، واحتياجات البلاد العربية، وتعزيز دور منظمات العمل المشترك المتخصصة في إثراء جهود البلاد العربية لتطوير التربية والتعليم لديها، وتشجيع البحث التربوي والتطبيقي الذي يهدف إلى الارتقاء بمستوى الجودة والنوعية في التربية العربية.

وسيعقد المؤتمر السنوي الثاني لمؤسسة الفكر العربي في بيروت في الفترة من ٤ ـ٧ ديسمبر/كانون الأول عام ٢٠٠٣م، ويناقش استشراف مستقبل الأمة العربية، وسيعقد المؤتمر الثالث في المغرب عام ٢٠٠٤م.

## افتتاح معرض «الضاد»


الأمير تركي بن سلطان

افتتح صاحب السمو الملكي الأمير تركي بن سلطان بن عبدالعزيز مساعد وزير الثقافة والإعلام في مساء يوم السبت ٢٣ ربيع الأول ١٤٢٤هـ، معرض فن الخط العربي «الضاد»، الذي نظمه معهد النهضة للتدريب والتطوير التابع لجمعية النهضة النسائية الخيرية، وذلك بمقر الجمعية الرئيس في الرياض.

وقام سمو الأمير تركي بن سلطان بقص الشريط إيذانًا بافتتاح المعرض وتجول في أرجائه واطّلع على ما يحويه من اللوحات الفنية والخطوط العربية. وفي نهاية الجولة سجل سموه كلمة في سجل الزيارات.

وقد شارك في المعرض الذي استمر خمسة أيام عدد

من الفنانين هم: إبراهيم ناصر الفصام، وأمجاد خالد الجار الله، وبلال سمير الزعبي، وحمد عبدالله المواش، وسعيدة سعيد باغزال، وعبد الله عبده فتيني، والياباني فؤاد قونيتشي هوندا، وطاهر عبدالقادر عمارة، وشريفة تركي السديري، ومحمد جمعان الدوسري، ومحمد علي العجلان، ومنال رشدي الحربي، ومنيرة خالد السديري، ومها فهد الهذيلي، وناصر عبدالله الموسى، وناصر عبدالعزيز الميمون، وهديل سعد العمار.

## نظام حماية حقوق المؤلف في السعودية

وافق مجلس الوزراء السعودي في جلسته التي عقدها في التاسع من ربيع الآخر ١٤٢٤هـ، (الموافق التاسع من يونيو/ حزيران ٢٠٠٣م)، بقصر اليمامة بمدينة الرياض، على مشروع نظام حماية حقوق المؤلف، وتتمثل أبرز الملامح العامة لهذا المشروع في الآتي:

- يحمي النظام المصنفات الأصلية، وهي المبتكرة في حقول الآداب والفنون والعلوم، أيًا كان نوعها، وطريقة التعبير عنها، أو أهميتها، ومنها على سبيل المثال الكتب، والمحاضرات، وأعمال الفن التشكيلي، والعمارة، وبرمجيات الحاسب الآلي، كما يحمي المشروع المصنفات المشتقة، ومنها على سبيل المثال مصنفات الترجمة والتلخيص، والموسوعات.

- حدد النظام المصنفات المستثناة من الحماية بمقتضى هذا النظام، ومنها على سبيل المثال الأحكام القضائية، وما تنشره الصحف والمجلات والإذاعة من الأخبار اليومية.

- بيّن النظام أنه يعد مؤلِّفًا «بكسر اللام المشدّدة» أي شخص نشر المصنف منسوبًا إليه سواء بذكر اسمه على المصنف، أم بأي طريقة من الطرائق المتبعة في نسبة المصنفات إلى مؤلفيها، إلا إذا دلّ دليل على عكس ذلك.

- بيّن النظام أن التراث الشعبي «الفلكلور» يعد ملكًا عامًا، للدولة وتمارس وزارة الثقافة والإعلام حقوق المؤلف عليه.

- أوضح النظام الحقوق الأدبية والمالية للمؤلف، وطرائق انتقال ملكية حق المؤلف.

- بيّن النظام التصرفات التي تعد تعديًا على الحقوق التي يحميها النظام.

- حدد النظام تاريخ سريانه والعمل به، وذلك بعد مضي ستة أشهر من تاريخ نشره في الجريدة الرسمية، وأن يحل محل نظام حماية حقوق المؤلف الصادر بالمرسوم الملكي رقم (م/١١) وتاريخ ١٩ جمادى الأولى ١٤١٠هـ.

## مشروع وطني ثقافي للكتاب



فيصل بن عبدالرحمن بن معمر

صرح المشرف العام على مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض الأستاذ فيصل بن عبدالرحمن بن معمر أن الموافقة السامية قد صدرت على تصميم مشروع وطني ثقافي للكتاب، وأن تكون مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض مقرًا للأمانة العامة الدائمة لهذا المشروع وتابعة لها.

ويهدف هذا المشروع إلى نشر الوعي بأهمية القراءة والتعريف بفوائدها على جميع المستويات، وتكوين الاتجاهات الإيجابية لدى النشئ تجاه القراءة، ونشر ثقافة القراءة بين جميع شرائح المجتمع، وتنمية مهارة القراءة السليمة بينهم، وبث روح التنافس في القراءة بين الطلاب والطالبات، وتوفير الكتب المناسبة في المكتبات العامة وأماكن الانتظار في الأماكن العامة، بالإضافة إلى دعم برامج المؤسسات الاجتماعية والثقافية والتعليمية في مجال القراءة والكتاب.

وشدد المعمر على أن تدشين هذا المشروع الثقافي الوطني من شأنه أن يفيد المثقفين بفئاتهم المختلفة، إذ إنه يطلعهم على ذخائر الإبداع الفكري والعلمي والأدبي والفني لكبار المبدعين، كما يتيح هذا المشروع فرصة نادرة لاقتناء الكتب وقراءتها خاصة الكتب التي تمثل

علامات مهمة في تاريخ الفكر الإنساني بكل رحابته وآفاقه العالمية.

وأفاد أن العمل جار لمتابعة تنفيذ الأمر السامي الكريم بتشكيل لجنة تنفيذية تمثل الجهات ذات الصلة بالقراءة في المملكة لوضع الخطط والإجراءات اللازمة لتنفيذ المشروع.

## المؤتمر العلمي الخليجي - المغاربي الأول


عبدالجليل التميمي

بدعوة من مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات بزغوان في تونس، ودارة الملك عبدالعزيز بالرياض، انعقد المؤتمر العلمي الخليجي - المغاربي الأول في الفترة بين ٢و٤ ربيع الآخر سنة ١٤٢٤هـ، الموافق ٢و٤ يوليو/ حزيران عام ٢٠٠٣م. وتخللت جلسة الافتتاح كلمات لعدد من الشخصيات العلمية والدبلوماسية والسياسية. وقد حضر جلسات المؤتمر عدد من الوزراء السابقين ومن أعضاء السلك الديبلوماسي التونسيين ورجال الفكر والباحثين والصحفيين وممثلي وكالات الأنباء من تونس ومن الدول العربية.

وشهد المؤتمر انعقاد ثماني جلسات علمية قُدّمت خلالها ٢٤ محاضرة، من قبل باحثين متخصصين وجامعيين من: الإمارات العربية المتحدة، والبحرين، وتونس، والجزائر، وسلطنة عمان، وقطر، والمغرب الأقصى، والمملكة العربية السعودية، وموريتانيا.

وقد عالج عدد من البحوث أهمية التعاون العلمي بين الخليج والمغرب العربيين، وحسن الاستفادة من جميع القدرات والكفاءات العلمية والموارد المادية المتوافرة.

و تناولت مسائل التعاون والشراكة العلمية، وضرورة وضع إستراتيجيات واضحة المعالم لتحقيق ذلك، كما عالجت بحوث أخرى عمق الصلات الثقافية بين الفضاءين الخليجي والمغاربي، وطالبت بتأسيس علاقات على قاعدة علمية ومعرفية جديدة. وهناك بحوث أخرى كشفت عن الحاجة الملحة إلى تعميق إدراك كل طرف للآخر والسعي إلى تغيير الصور النمطية المتبادلة بين الطرفين.

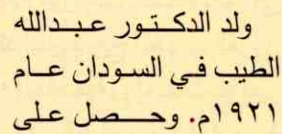
وقد شدد المشاركون على ضرورة إنشاء مؤسسات للتعاون المشترك، وآليات علمية لإدخال البعدين الخليجي والمغاربي في المناهج الدراسية الجامعية مستقبلاً.

واقترح المشاركون إنشاء مركز متخصص عن المغرب العربي بدارة الملك عبدالعزيز، وإنشاء مركز عن الخليج العربي بالفضاء الجامعي المغاربي، وتوفير مرجعية توثيقية متكاملة لتشجيع الباحثين المغاربيين على التخصص في قضايا الخليج، كما اقترحوا تدريس تاريخ المغرب العربي والخليج في المناهج التدريسية الجامعية، وإحداث كرسي للدراسات المغاربية المعاصرة في الجامعات الخليجية والعكس بالعكس، كما دعوا إلى إعداد دليل للباحثين، معززة بقواعد بيانات للبحوث العربية المنجزة مع تحديثها دورياً، وتدعيم العلاقات بين الجمعيات العلمية في الخليج والمغرب العربيين، وإيجاد برامج تكوينية لطلاب الدراسات العليا المختصين من الشبان القادرين في فترات محدودة خلال الإجازات الصيفية، وإنشاء مواقع على شبكة الإنترنت لمؤسسات البحوث الخليجية والمغاربية، وتخصيص صفحة لكل باحث عربي للتعريف ببحوثه مع زملائه في التخصص نفسه، ويتم ذلك بالتنسيق مع عدد من المؤسسات البحثية الخليجية والمغاربية الجادة، ولتفعيل الشراكة العلمية المستقبلية، وسوف يكون مجدياً تبادل بنوك المعلومات في عدد من التخصصات، دون مقابل، وتعزيز ذلك من خلال روافد الترجمة الذكية والمواكبة لآخر المستجدات البحثية الدولية، وإقرار النشر الأكاديمي المشترك، وإجراء المقاربات الأساسية لحسن تنظيم المؤتمرات ذات النجاعة والمردودية العلمية الثابتة. كما تمت إثارة عدد من الملفات حول القواسم المشتركة والمتقاطعة لاتحاد المغرب العربي واتحاد دول مجلس التعاون العربية، وكيفية تعميق التواصل الثقافي والعلمي وتشجيع الأعمال الأثرية المشتركة.

وتم الاتفاق على عقد المؤتمر الثاني في السنة القادمة، بدارة الملك عبدالعزيز بالرياض، والثالث بجامعة الرباط بالمغرب الأقصى في عام ٢٠٠٥م.

## رحيل عبدالله الطيب





عبدالله الطيب

توفي في الخرطوم في العشرين من يونيو/ حزيران الماضي البروفسير عبدالله الطيب بعد صراع مرير مع المرض عن عمر يناهز ٨٥ عاماً.

ولد الدكتور عبدالله الطيب في السودان عام ١٩٢١م. وحصل على درجة البكالوريوس والدكتوراه في الآداب من جامعة لندن عام ١٩٤٨م، و١٩٥٠م على التوالي.

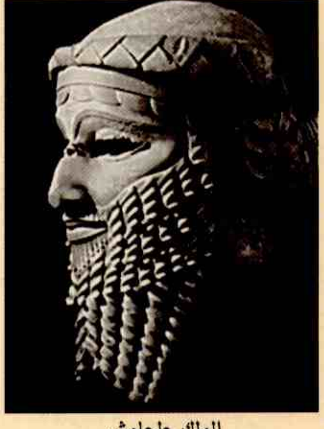
ويمتد التاريخ الأكاديمي للدكتور عبدالله الطيب إلى أكثر من نصف قرن، فقد عمل محاضراً في معهد دراسات الشرق الأوسط وإفريقية في جامعة لندن، ثم رئيساً لقسم اللغة العربية ومناهج المدارس المتوسطة في معهد بخت الرضا لتدريب المعلمين في السودان، ثم أستاذاً في قسم اللغة العربية في جامعة الخرطوم، وعميداً لكلية الآداب فيها. وأشرف على إنشاء كلية عبدالله باريو في جامعة أحمدو بيلو في كانو بنيجيريا، وكان أول عميد لها. واختير مديراً لجامعة الخرطوم، ثم مديراً لجامعة جوبا، كما عمل أستاذاً للدراسات العليا في كلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة سيدي محمد بن عبدالله في مدينة فاس بالمغرب. وكان عضواً في هيئة تحرير الموسوعة الإفريقية في غانا، وهو عضو في مجمع اللغة العربية في القاهرة، ورئيس اتحاد الأدباء السودانيين، وأستاذ زائر لعدد من الجامعات العربية والإفريقية والبريطانية. وقد نال درجة الدكتوراه الفخرية من عدد من الجامعات، كما تولَّى رئاسة مجلس جامعة الخرطوم، ومجمع اللغة العربية في السودان.

ويحتل الدكتور عبدالله الطيب مكانة مرموقة في الأوساط الثقافية والأكاديمية في الوطن العربي. وتشمل اهتماماته مختلف مجالات الفكر والأدب واللغة العربية فهو شاعر وكاتب روائي ودارس متعمِّق في الأدب العالمي، وله إسهامات أدبية متميِّزة في مجال النقد الأدبي القديم عند العرب، وفي حقول الفكر والأدب عموماً. فهو محيط بالشعر العربي وتاريخه وقضاياه إحاطة قلَّ أن تتوافر في كثير من الدارسين. وقد تميَّزت مؤلفاته بطابع أصيل يربطها بأمات الكتب في الأدب العربي ونقده، ومنها كتابه «المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها» الذي قدم له الدكتور طه حسين، المكوَّن من خمسة مجلدات، وكان قد فرغ من الجزء الخامس قبل إصابته بالمرض ببضعة أعوام . وهو سفر قيِّم يحلِّل فيه مختلف جوانب الشعر العربي وخصائصه منذ العصر الجاهلي. وقد استغرق تأليف أجزائه أكثر خمسة وثلاثين عاماً، وصدر الجزء الرابع منه عام ١٩٩٠م، متضمِّناً إشارات متعددة لدور النقاد العرب في العصور المختلفة، وتطور القصيدة العربية وتأثيرها في عدد من الشعراء الغربيين. وقد صدر له أيضاً عدد من المؤلفات والكتب والبحوث الأخرى باللغتين العربية والإنجليزية وتناول فيها قضايا الشعر والنثر والنصوص. وله عدة دواوين شعرية ومسرحيات، وقصص للأطفال باللغة العربية، وكان له أيضاً نشاط واسع في الأوساط الإعلامية امتد على مدى خمسين عاماً؛ ومن ذلك برنامجه الإذاعي حول تفسير القرآن الذي استمر تقديمه خمسة وثلاثين عاماً، وقد فاز بعدد من الجوائز من بينها جائزة الملك فيصل العالمية التي فاز بها عام ٢٠٠٠م.

وقد ووري الثرى في مقابر حلة حمد بالخرطوم بحري في موكب مهيب شارك في الآف السودانيين يتقدمهم رئيس الجمهورية وعدد من الوزراء والمسؤولين والأكاديميين وطلاب العالم الراحل.

## قبر الملك جلجامش

يأمل فريق من الآثاريين السويسريين والألمان أن يكون البناء المطمور الذي عُثر عليه في مدينة أوروك جنوب العراق قبل بداية الحرب الأخيرة على العراق هو القبر المفقود للملك الأسطورة «جلجامش»؛ وأكد هؤلاء الآثاريون الذي يستعدون إلى العودة إلى جنوب العراق


الملك جلجامش

لاستئناف مهمة كانوا قد قطعوها في نهاية العام الماضي لظروف الحرب، أن شكل البنيان المطمور يتطابق مع أوصاف وتعريفات وشروحات جاءت في أقدم كتاب عرفه العالم، وهو لوح من الطين يعود تاريخه إلى ٢٥٠٠عام قبل الميلاد، يحكي ملاحم هذا الملك السومري، ويقع القبر الذي عثر عليه في حوض مجرى قديم لنهر الفرات، وهو ما يتوافق مع ماجاء في الملحمة التي تقول: إن الملك دفن تحت مياه الفرات الذي «انشق على نفسه»بعد موته.

ويسيطر التفاؤل على أغلب أفراد الفريق الآثاري على الرغم من التحذيرات التي يطلقها رئيس الفريق يورك فاسبيندر من الإفراط في هذا التفاؤل، وتقول الآثارية السويسرية سفرين ماراشي: «إن مجمل الآثاريين يحدوهم الأمل في أن يكون البناء المطمور هو قبر «جلجامش» ليكونوا بذلك قد حققوا اكتشافاً كبيراً، يفوق ذلك الذي تم تحقيقه في عشرينيات القرن الماضي لقبر توت عنخ آمون، وليتم تثبيت كثير من الحقائق العلمية حول حضارة ما بين النهرين».

ويعدّ موقع أوروك، الذي يقع على بعد ٤٠٠ كلم جنوب بغداد، من أهم المواقع الأثرية الموجودة في العراق، وربما تكون مدينة أوروك أول مدينة كبيرة متطورة بنيت في تاريخ الإنسان كما يرجح بعض العلماء، وقد بقيت هذه المدينة مأهولة بالسكان على مدى ٤٠٠٠ عام، وتم فيها اكتشاف أكثر من ١٠٠٠ لوح طيني يحتوي على كتابة وصفية لتفاصيل إدارية وسياسية، ولبرلمان يتكون من مجلسين.

ويأمل الآثاريون من هذا الاكتشاف المتوقع أن يصلوا إلى حقيقة هل كان جلجامش قد عاش فعلاً أو أنه مجرد أسطورة تخيلها عقل الإنسان القديم قبل ظهور الحنيفية، واعتقد أن نصفه ينتمي إلى البشر ونصفه الآخر إلى الآلهة، على الرغم من التفاصيل التي ذكرت في قصائد الشعر التي تتحدث عن ملحمة جلجامش، واللوحات الطينية التي تمجد بأسه وشجاعته وسعيه إلى الخلود.

## صورة المشتاق وفرسان البحر

صدر مؤخراً عن دار الوراق في بيروت كتابان للأديب السوري نزار نجار: جاء الكتاب الأول بعنوان «صورة المشتاق»، وهو مجموعة من القصص القصيرة تبلغ في مجملها ١٤ قصة، منها: «الرغبة في الاختفاء»، و«السنديانة»، و«الواحة»، و«زيارة فاطمة». وجاء الكتاب الثاني بعنوان «فرسان البحر»، وهو مجموعة قصص للناشئين بلغ عددها ست قصص منها: «عكا .. دمشق»، و«الطرابلسي»، و«سر النهر».



غلاف الكتاب

وقد أهداها المؤلف إلى الناشئين العرب في كل مكان، وقال المؤلف في إهدائه: إن هذه القصص مستلهمة «من تاريخنا العربي المشرق، ومن صفحاته الوضّاءة .. وربما تكون القصص الواقعية أبلغ من القصص الخيالية، وأعمق، وأغنى، وأكثر إثارة ومتعة و.. فائدة».

والجدير بالذكر أن نجار كاتب قصصي للأطفال، ومن مؤسسي جمعية أدب الأطفال في سورية، وقد أصدر في حماة مجلة مصورة للأطفال والناشئين اسمها «تعال نقرأ»، وقد نال عدداً من الجوائز عن قصص الأطفال منها: «جائزة دولة الإمارات العربية المتحدة - أبوظبي» الجائزة الأولى للسيرة القصصية، وجائزة نادي مكة الأدبي، وجائزة نادي الطائف الأدبي (المملكة العربية السعودية)، وجائزة طهران عن قصص الانتفاضة والقدس «الجمهورية الإسلامية الإيرانية»، وجائزة دائرة ثقافة الأطفال «العراقية»، وجائزة وزارة الثقافة «السورية».

وقد صدر له عدد من الكتب الموجهة إلى الأطفال، «قصصاً إبداعية وأبحاثاً ثقافية». وقد ترجمت بعض أعماله إلى عدد من اللغات، منها الروسية والألبانية والألمانية والأرمنية، والفارسية والصينية والسويدية.

وهو عضو في اتحاد الكتّاب العرب، واتحاد الصحفيين أيضاً.

## ماجستير في الفن الإسلامي والفن الهندي الإسلامي

أعلن معهد سوثبي في لندن عن منح ماجستير في الفن الإسلامي والفن الهندي الإسلامي معترف به من جامعة مانشستر، وتبدأ الدراسة للحصول على هذا الماجستير في شهر سبتمبر/أيلول ٢٠٠٣م.

وستكون الدراسة في فصلين دراسيين: يدور الفصل الأول حول تشكيل الفن الإسلامي وتطوره في سورية، ومصر، والعراق، وإيران إلى نهاية العهد العباسي، مع التركيز في الفنون التطبيقية فيما يتعلق بالخزف، والأشغال المعدنية والزجاج ..، ويركز الفصل الثاني في الفنون الرفيعة في العصور الإسلامية اللاحقة، لاسيما فترات حكم العثمانيين والصفويين والمغول.

وهناك فصل ثالث لتحضير رسالة الماجستير.

موضوعات الدورة: تشكل الفن الإسلامي، والصين، والهند، والعالم الإسلامي: اتصالات وتبادل. ومقومات الفن الهندي، والفن الهندي الإسلامي، والنزاعات والتبادل بين المغول والمماليك في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، وسلالة تيمورلنك المغولي في إيران والهند، والفن ورعايته في الدولة العثمانية، والعصر الذهبي للفن الإيراني ١٥٠١ ــ ١٧٢٢م، والفنون في قصور الحكام: السلاطين، والمغول وراجبوت، وفنون النحت في الهند.

ويمنح الطلاب الذين يكملون بنجاح الفصلين الدراسيين ولا يريدون أن يعدوا رسالة ماجستير درجة الدبلوم.

وهنالك وحدات دراسة فردية مفتوحة للذين لا يستطيعون التزام دوام كامل.

وسوف تقدم هذه الدورة:

- محاضرات وندوات يلقيها علماء وخبراء بارزون في هذا الحقل.
- القيام بجولات على المقتنيات الفنية المخصصة للبيع والعامة والخاصة.
- فرص للتعامل مع الأعمال الخزفية، والمجوهرات والأشغال المعدنية، والسجاد، والمنسوجات.
- التخطيط للقيام برحلات إلى باريس، وبرلين، وإستانبول.
- إجراء توازن بين الدراسة الأكاديمية والعملية.
- دعم تعليمي وثيق خلال البرنامج.
- خطة أو برنامج للحصول على مهنة في المجال التجاري أو في المتاحف.

ومن يهمه هذا الإعلان، يمكنه الحصول على معلومات عن دورات سوثبي الاتصال على هذا العنوان:

Sotheby's Institute of Art, 30 Oxford Street,
London W1D 1AU, United Kingdom
Tel: +4420 74623232
Fax: +4420 75808160
Email: education@sothebys.com
www.sothebys.com/education

## زهى حديد تفوز بجائزة


زهى حديد

فازت المهندسة المعمارية العراقية التي تحمل الجنسية البريطانية زهى حديد مؤخراً، بجائزة الاتحاد الأوربي - مايس فان دير روو للهندسة المعمارية، لتنفيذها مشروعاً في المرآب والمدرج الشمالي لمطار هونهايم في ستراسبورغ في فرنسا.

وتسلمت حديد جائزتها في مدينة برشلونة شرق إسبانيا، وقد عبرت عن سرورها للفوز بهذه الجائزة التي «تحمل اسم مهندس معماري ذائع الشهرة ومعروف بآرائه الراديكالية، وإنني أتسلمها في مدينة أعشقها

بعمق، ولد ونشأ فيها المهندس الشهير أوريول بويغاس». و طالبت المهندسة زهى في كلمتها كذلك «بتنظم مدني ومعماري متواضع وخال من الضخامة»، موضحة أن الشعب والمهندسين المعماريين عملوا سنوات طويلة من أجل إقناع الحكومات بأن هذا النوع من الهندسة العمارية ممكن.

وقد نالت زهى حديد شهرة عالمية بتصميمها لعدد من المشروعات الرائعة مثل مركز الإطفاء في فيترا عام ١٩٩٣م، ومركز ميلانيوم دوم في لندن عام ١٩٩٩م، وناطحة سحاب في ساحة عامة في برشلونة من المقرر أن تستضيف مستقبلاً متحف الفنون الداخلية الذي رسمه وخطط له المهندس المعماري البرشلوني الشهير اوريول بويغاس.

## جوان فليتشر والملكة نفرتيتي

نفى زاهي حواس الأمين العام للمجلس الأعلى للآثار بمصر أن تكون عالمة مصريات بريطانية قد عثرت على مومياء الملكة نفرتيتي.

وكانت الباحثة جوان فليتشر، وهي خبيرة تحنيط من جامعة يورك البريطانية، ورئيسة بعثة أثرية في مصر، قد أعلنت مؤخراً أن فريقها استخرج مومياء ربما كانت لنفرتيتي من غرفة سرية في القبر رقم (كيه. في. ٣٥) في وادي الملوك بالأقصر.

نفرتيتي

لكن حواس قال في تصريحات لوكالة أنباء الشرق الأوسط المصرية إن نظرية الباحثة البريطانية (خاطئة تماماً)، وإن تصريحاتها غير مبنية على حقائق وأدلة مؤكدة.

والملكة نفرتيتي هي زوجة الملك أخناتون الذي حكم مصر في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. ويعني اسمها «الجميلة قد أقبلت»، وينظر إليها على أنها كانت إحدى أقوى النساء في مصر القديمة.

وقالت جوان في بيان نشرته محطة ديسكفري التي مولّت البعثة، ويقع مقرها في واشنطن: على الرغم من أنه لا يسعنا إلا أن نشير إلى أن تحديد هوية نفرتيتي هو مجرد احتمال قوي، فإن النتائج التي تم التوصل إليها سيكون لها تداعيات واسعة المدى بالنسبة لعلم المصريات.

من ناحية أخرى، قال حواس: إن مصر لا تستطيع وقف المزادات على قطع أثرية فرعونية في الخارج مادام أنها غير مسجلة، ولا نعرف تاريخ خروجها من البلاد. وأوضح تعليقاً على بيع ٨٩ قطعة أثرية فرعونية نادرة في صالتين للمزاد بنيويورك، أن مصر لا تستطيع استعادة هذه القطع حتى نثبت أنها مسجلة لدينا أو أنها مسروقة.

وقال مدير قطاع الآثار الفرعونية في المجلس لآثار شمال مصر محمد عبدالمقصود من جهته: أن هناك مشكلة قانونية تواجهنا في مصر، وهي قانون السماح بالمتاجرة بالآثار الذي تم تعديله عام ١٩٨٣م، عندما بدأ تجريم بيع الآثار المصرية ومنع انتقالها. وأوضح عبدالمقصود من جهته: أن المصدر الأساسي لغالبية القطع التي تباع في المزادات تأتي من الحفريات غير القانونية التي يقوم تجار الآثار بتهريبها إلى خارج البلاد بطرائق لا تترك لنا دليلاً يؤكد سرقتها من البلاد. وقال: إنه يجب أن نحقق تعاوناً كبيراً بيننا وبين الجهات الأمنية في مصر، لتشديد الحراسة على الأماكن الأثرية والمناطق التي يحتمل أن يكون فيها آثار غير مكتشفة بعد لوضع حد لاستنزاف الآثار المصرية وتهريبها للخارج. وكانت «الأهرام» قد ذكرت أنه من أبرز القطع المعروضة للبيع في المزاد في نيويورك وعددها ٣٢ قطعة تمثال لـ«مت» من عصر توت عنخ آمون، وتمثال آخر من عصر الفرعون سيتي الأول، وتمثالان لكل من الفرعونين تحتمس الثالث، وأمنحتب الثالث، ووعاء برونزي، ولوحة لامرأة من الأسرة الوسطى.

## الإعلام الأمريكي والمصداقية


صحفية في الميدان

سلط المؤتمر الدولي السنوي لرؤساء التحرير ومراسلي التحقيقات الصحفية في نادي الصحافة الوطني بواشنطن الضوء على تراجع مصداقية وسائل الإعلام الأمريكية على الصعيدين الداخلي والدولي. وناقش المؤتمر الذي استمر أربع أيام بحضور مئات الصحفيين من الولايات المتحدة وبلدان العالم انحياز وسائل الإعلام الأمريكية في تغطيتها لحرب العراق وتعاملها العرضي مع الديانات المختلفة بالأخص الدين الإسلامي، كما جاء في صحيفة البيان بتاريخ ١١ يونيو/ حزيران الماضي.

وأظهر معظم الصحفيين الذين حضروا المؤتمر عدم موافقتهم على فكرة إرسال المراسلين مع القطع العسكرية الغازية، وعبروا عن اعتقادهم بأن المراسلين الذين رافقوا القوات الأميركية أدوا دور أداة دعاية للحكومة الأمريكية. واعترف حتى الصحفيون الذين كانوا برفقة الوحدات العسكرية الأميركية في الحرب بأنهم كانوا يرون الأحداث من منظور القوات الأمريكية.

وتعرضت شبكة «فوكس نيوز» لانتقادات شديدة، وألقي اللوم أيضاً على «سي. إن. إن» لمساومتها على مبدأ الموضوعية في غمار سعيها لمنافسة «فوكس نيوز»، كما احتج بعض المشتركين على الانحياز الشديد في اختيار الصحفيين المرافقين للقوات الأميركية، إذ تم تجاهل وسائل الإعلام الوطنية وأرسل صحفيون من وسائل إعلام إقليمية لاستغلال تعاطفهم مع الجنود الأمريكيين أبناء مناطقهم.

وكشف النقاب في المؤتمر عن نتائج استطلاع أظهرت أن ٦٢٪ من الأمريكيين لا يثقون بوسائل إعلامهم، وتطرق أحد المتحدثين إلى تقصير وسائل الإعلام الأميركية في تثقيف الناس حول الإسلام، وعدم وجود رقم موثوق به حول عدد المسلمين في أمريكا، وأشار إلى التقارير الكثيرة عقب ١١سبتمبر عن وجود مسلمين خطيرين في البلد على الرغم من عدم العثور على أي متهم بعد ذلك.

## جوائز مصر العلمية لعام ٢٠٠٢م

أعلن في مصر مؤخراً أسماء الفائزين بجوائز الدولة المصرية في مختلف المجالات العلمية والتكنولوجية لعام ٢٠٠٢م، ويبلغ عدد الجوائز ٥٦ جائزة.

وكانت جائزة مبارك في العلوم، التي تبلغ قيمتها ١٠٠ ألف جنيه، من نصيب الدكتور أحمد محرم أحمد، كما فاز الدكتور محمود محفوظ بجائزة مبارك في العلوم والتكنولوجيا المتقدمة وقيمتها ١٠٠ ألف جنيه.

أما جوائز الدولة التقديرية، التي يبلغ عددها ٩ جوائز بقيمة ٥٠ ألف جنيه لكل جائزة، فقد جاءت تفاصيلها كالآتي: ففي مجال العلوم الأساسية فاز بالجائزة الدكتور كمال الدين حسن البتانوني، كما فاز الدكتور خليفة عطية عكاشة بالجائزة في مجال العلوم الزراعية، وفي مجال العلوم الطبية فاز الدكتور رفعت كامل بولس، والدكتور محمد نبيل البلقيني، وفي العلوم الهندسية فاز الدكتور عادل حلمي سالم، وفي مجال العلوم والتكنولوجيا فاز الدكتور فوزي حسن حماد، وفي مجال العلوم الأساسية الدكتورة فاطمة الجوهري، وفي مجال الزراعة الدكتور أمين الحسيني سيد النواوي، وفي مجال العلوم الطبية الدكتور علي عبدالمجيد رمزي.

وقد أعلن الدكتور مفيد شهاب وزير التعليم العالي والبحث العلمي أسماء الفائزين بجوائز الإبداع العلمي لعام ٢٠٠٢م، وقيمة كل جائزة ٢٥ ألف جنيه، ويبلغ عددها سبع جوائز وتمنح للأسماء التي رشحت لجوائز الدولة التقديرية.

## رحيل يوسف الصيداوي

رحل قبل أيام اللغوي والإعلامي السوري يوسف الصيداوي، الذي كانت له إسهامات واضحة في مجال تقريب اللغة العربية وقواعدها من الحياة والمواطن،

وعرفه الناس عن طريق برنامجه الأسبوعي «اللغة والناس» في التلفاز السوري.

وقال عنه وزير الدفاع السوري مصطفى طلاس: إنه أحد العلماء المتمكنين من اللغة العربية، وكان يحاول أن يقدمها للناس بسيطة سهلة.

وقال علي عقلة عرسان رئيس اتحاد الكُتَّاب العرب من جهته: تجمعنا ذكرى رجل له فضل علينا في مجال اللغة والجد والاهتمام، ومن منا لم يرافقه في «اللغة والناس» حين فتح أبواب عشق اللغة لمن لديهم استعداد طيب للعشق.

وقد نعاه الشاعر والكاتب شوقي بغدادي في قصيدة منها:

تصورت أنك تمشي ورائي وتبكي على
وها لم يعد للخوالي مكان سوى خلف ظهري وبين الخصوم
وإلا فمن ذا سيحزن حزنك عند فراق السنين.

## سر مي زيادة


مي زيادة

صدر مؤخراً عن دار الثقافة في لبنان كتاب «السر الموزع للآنسة مي» للباحث اللبناني فاروق سعد، وهو قراءة جديدة لظاهرة هذه الأديبة التي ولدت في فلسطين، ونشأت في لبنان، وعاشت وماتت في القاهرة. وقد سبق للباحث فاروق سعد أن وضع كتاباً ضخماً بعنوان «باقات من حدائق مي» ١٩٧٣م، ضم سيرتها وإنتاجها الأدبي، ويرى فاروق سعد أن ما كتب عن هذه الأديبة لم يكشف إلا الجزء المعروف عن سيرتها انطلاقاً من الرسائل التي تبادلتها مع أدباء عصرها، ومن الأخبار عن صالونها الأدبي الذي جعلته ملتقى للأدباء والشعراء المصريين والعرب.

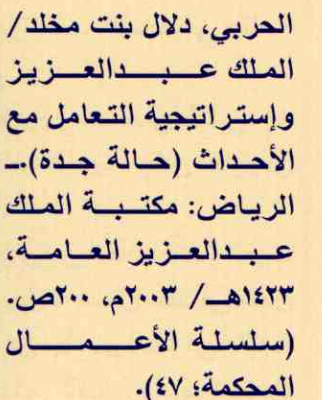
وعلى الرغم من الكتابات الكثيرة عن مي زيادة إلا أن هناك مرحلة مفقودة لم تكتشف بعد من تاريخ حياتها، وهي مرحلة دخولها المصح العقلي في لبنان، وقد دونت فيها وقائع حجزها في المصح الذي كان يسمي «العصفورية»، وهناك مخطوطات أخرى لا تزال مفقودة تتحدث فيها عن خروجها من «العصفورية»، ولقائها أمين الريحاني، وكذلك مخطوط «مذكراتي»، و«رسالة إلى هتلر».

## المساعدة الإنسانية في النزاع المسلح

منحت جائزة بول رويتر لهذا العام المخصصة لمكافأة الأعمال المتميزة في مجال القانون الدولي الإنساني، للسيدة روت أبريل ستوفيلس أستاذة القانون الدولي للعلاقات الدولية بكلية العلوم القانونية والاجتماعية في جامعة «كاردنيال هيريرا» بفالنسيا في إسبانيا، وذلك عن كتابها «المساعدات الإنسانية في حالات النزاع المسلح: المفاهيم القانونية والمبادئ الإرشادية وآليات الضمان».

ويتناول الكتاب الطبيعة القانونية للمساعدات الإنسانية: تعريفها وأهدافها النظرية، والنظام القانوني للمساعدة في إطار القانون الدولي، وحقوق الضحايا، ثم يتطرق إلى الآليات والتدابير القانونية المتصلة بها، وإشكالية التدخل الإنسانية .وتأتي أهمية هذا العمل الحائز على الجائزة من كونه أداة عمل ومرجعًا لجميع الهيئات الحكومية وغير الحكومية المعنية بالموضوع، كما أنه عمل مهم في تعزيز ونشر القواعد المتصلة بالمساعدة الإنسانية.

يشار إلى أن صندوق بول رويتر أسس في عام ١٩٨٣م، بفضل التبرع الذي قدمه بول رويتر الأستاذ بجامعة باريس وعضو معهد القانون الدولي والرئيس الأسبق للجنة القانون الدولي بالأمم المتحدة، ويمول هذا الصندوق جائزة بول رويتر التي تبلغ قيمتها خمسة آلاف فرنك سويسري، وتمنح كل ثلاث سنوات.

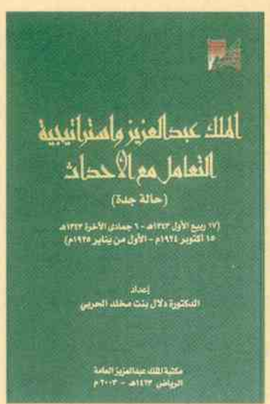



**تراث العرب السياسي (بحوث ومناقشات ندوة قضايا المخطوطات ؛٥)، تنسيق وتحرير د. فيصل الحفيان ـ القاهرة: معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ٢٨٨ص.**

تتضمن هذه الندوة محورين أساسيين: الأول السياسة في التراث: مفهومها واتجاهاتها وتحولاتها، وفيه ـ أولاً ـ بحث بعنوان: «مفهوم السياسة عند العرب: مقاربات أولى» للدكتور فيصل الحفيان، والبحث الثاني للدكتور رضوان السيد عن الحضور التراثي في الفكر السياسي الإسلامي الحديث والمعاصر، والبحث الثالث بعنوان«التراث العربي السياسي في المشرق: قمم وتحولات» للأستاذ عصام الشنطي، والمبحث الرابع بعنوان «القمم والتحولات في تراثنا السياسي في المغرب والأندلس» للدكتور محمود علي مكي.

والمحور الثاني بعنوان: «مصدر التراث السياسي وأوعيته وتقويم الجهود التي قامت حوله» وفيه ثلاثة بحوث: أولها للدكتور يوسف زيدان عن أصول هذا التراث ومصادره، وثانيها للدكتور سعيد مغاوري عن التراث السياسي في وعاء الوثائق، وثالثها ذو طابع ببليوجرافي وجاء تحت عنوان« نحو تأسيس منهج للمقايسة الببليوجرافية في تراثنا السياسي» للدكتور كمال عرفات نبهان

وعنوان المحاضرة الختامية : «الفكر السياسي الإسلامي: مدارسه واتجاهاته» للدكتور رضوان السيد، واحتوت الجلسة الختامية التقرير الختامي والتوصيات منها: السعي إلى استخلاص نظرية سياسية عربية إسلامية من خلال المصادر الأصلية، والدعوة إلى جمع المخطوطات العربية في مجال السياسة في مختلف أنحاء العالم، ونشر المخطوطات والوثائق التي لم تنشر من تراثنا السياسي، والاهتمام بمصطلحات علم السياسة في تراثنا، والدعوة إلى إصدار فهرس للمخطوطات التي تندرج تحت إطار علم السياسة.




**الحربي، دلال بنت مخلد/ الملك عبدالعزيز وإستراتيجية التعامل مع الأحداث (حالة جدة).ـ الرياض: مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ٢٠٠ص. (سلسلة الأعمال المحكمة؛ ٤٧).**

تلقي هذه الدراسة الضوء على إستراتيجية الملك عبدالعزيز في التعامل مع الأحداث من خلال موقفه من دخول جدة، والكيفية التي عالج بها الأمور الشائكة كافة للوصول إلى هدفه في ظل تداخلات دولية ومحلية، وتسعى الدراسة إلى تتبع تلك الإستراتيجية التي تركزت في فترة زمنية قصيرة (١٧ ربيع الأول ـ ٦ جمادى الآخرة ١٣٤٣هـ/ ١٥ أكتوبر(تشرين الأول) ١٩٢٤م ـ يناير(كانون الثاني) ١٩٢٥م)، والتعرف إلى النمطية القيادية والإدارية للملك عبدالعزيز في القيادة والكيفية التي واجه بها الأحداث والخطط التي اعتمدها في تلك الإستراتيجية.

تتوزع الدراسة على خمسة مباحث رئيسة: الأول عن ضم مكة واستراتيجية الانتظار، والثاني : يناقش وضع حكومة سلطنة نجد وملحقاتها في مكة من خلال (الإجراءات العسكرية، والمشكل الاقتصادي، والتعبئة العسكرية)، ويتناول المبحث الثالث وضع حكومة علي بن الحسين في جدة من خلال (تحصين جدة، وتعزيز الجيش، والعجز المالي، وتردي أوضاع الجيش)، أما المبحث الرابع فيتطرق إلى المواجهة الإعلامية بين الطرفين، ويوضح المبحث الخامس وساطات الصلح ونتائجها المتمثلة في الوساطة المؤسساتية، والوساطة الشخصية مثل وساطة أمين الريحاني.

**نايفة، عدنان (وآخرون)/ العلوم والتكنولوجيا في الوطن العربي: الواقع والطموح.- عمان: مؤسسة عبدالحميد شومان والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢م، ٤٦٢ ص.**



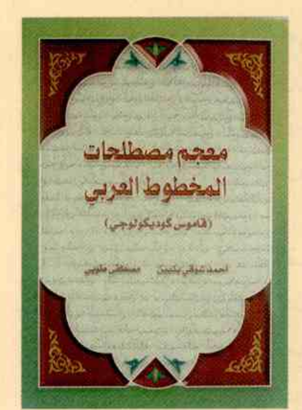

يشتمل الكتاب على ندوة عقدت في عمان في الفترة من ٢٠- ٢١ أكتوبر/تشرين الأول عام ٢٠٠١م، ونظمتها مؤسسة عبدالحميد شومان، وشارك فيها نخبة من المتخصصين والأكاديمين العرب.

وشملت الندوة عدة جلسات ناقشت موضوعات متصلة بالعلوم والتكنولوجيا مثل: واقع العلوم والتكنولوجيا في العالم المعاصر، وسياسة العلم والتكنولوجيا في ماليزيا، إضافة إلى سبل المواءمة بين البيئات الثقافية والاجتماعية والسياسية في الوطن العربي ومتطلبات بناء قاعدة علمية وتكنولوجية، كما استعرضت الندوة واقع العلوم والتكنولوجيا في عدد من البلدان العربية مثل: الأردن، والسعودية، ومصر، وتونس.

كما تناولت الندوة تطوير التعليم الأساسي والثانوي والتعليم العالي، وتفعيل اللغة العربية لمواكبة التطورات العلمية والتكنولوجية، وواقع البحث العلمي في الوطن العربي ودور مؤسسات التعليم العالي ومراكز البحوث والمؤسسات الصناعية في توطين العلوم والتكنولوجيا، إضافة إلى نقل التكنولوجيا من الدول المتقدمة، وموضوع هجرة الكفاءات العربية المهاجرة وسبل الحد منها.

ومن موضوعات الندوة دور البحث العلمي والتقاني العربي في التنمية، وموضوع التجارة الإلكترونية في الوطن العربي، والاستخدامات الإلكترونية في القطاع المصرفي وختمت الندوة بوضع إستراتيجية للعلوم والتكنولوجيا في الوطن العربي بغية الوصول إلى تعزيز الوجود العربي في هذا المجال.

**بنبين، أحمد شوقي ومصطفى طوبي/ معجم مصطلحات المخطوط العربي (قاموس كوديكولوجي) .- مراكش: المطبعة والوراقة الوطنية، ٢٠٠٣م، ٢٩٣ ص.**




يقول المؤلف عن الكتاب: «كانت فكرة وضع هذا المعجم الذي نضعه بين يدي الباحث منذ السبعينيات من القرن الماضي حينما كنت أحضر رسالتي عن تاريخ المكتبات في المغرب، ولما تمّ ـ بفضل الله ـ إنجازها ذيلتها بمعجم موجز عن المصطلحات المخطوطية التي استعملتها في بحثي، وهي تزيد على مئة كلمة بين ألفاظ عربية وأخرى فرنسية؛ لأن الأطروحة قدمت ونوقشت في الجامعة الفرنسية، وبقي المشروع في ذهني إلى أن اتّفقت مع زميلي الدكتور مصطفى طوبي على الإشراف على رسالته التي كان موضوعها «ترجمة تاريخ المكتبات في المغرب إلى العربية»، فاقترحت عليه تذييله بمعجم خاص بمصطلحات المخطوطات يكون الجزء الثاني للأطروحة.

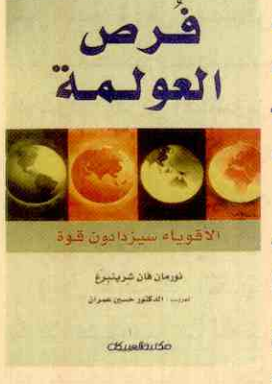
وقد قام الباحثان بزيادة مصطلحات أخرى؛ وذلك بالبحث في المخطوطات وفي المصادر والمعجمات، بل في المراجع الحديثة التي جعلت من دراسات المخطوطات موضوعاً لها، وتجاوز البحث مصطلحات المخطوط إلى المصطلحات الخاصة بتقنية صناعة المواد الأساسية، كالرق والمداد، فتّم البحث في الألفاظ الخاصة بدباغة الجلود وصناعة الكاغد وما ماثل ذلك.

أما مادة العمل ولحمته الرئيسة التي هي المعجم في ذاته فقد جاءت وفق الأبواب المعجمية الآتية: ـ المعجم التقني المعجم: ويقصد به التوجيه العلمي للمعجم.

ـ المعجم التقني المنقول أو المشتق: ويتمثل في ارتباط المادة الاصطلاحية القشيبة بمستهلكات لغوية متداولة معروفة.

ـ المعجم التقني الدخيل: ويتعلق الأمر بإدخال بعض المصطلحات إلى العربية بحسب حرمتها الدلالية والصوتية.

ـ المعجم التقني الموزون: ويتعلق الأمر هنا بخضوع جزء من معجم علم المخطوطات لقانون الموازين في إطار الدلالة المحددة لكل ميزان.

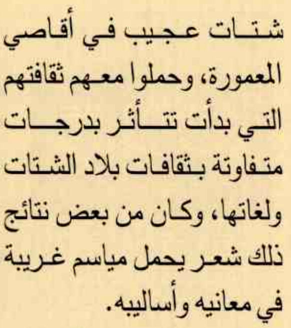
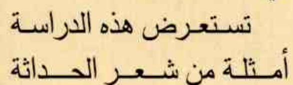



**شر بنبرغ، نورمان فان/ فرص العولمة: الأقوياء سيزدادون قوة، تعريب: حسين عمران.- الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤٢٣هـ. ٢٠٠٢م، ٣٢٠ص.**

على الرغم من أن المؤلف يتناول الشأن الألماني في هذا الكتاب وكيفية التعامل مع العولمة، إلا أن هذا الكتاب يوضح فرص العولمة والإجراءات التي لابد من اتخاذها في ظل التطورات الجديدة، وهو مفيد للدول النامية؛ إذ يمثل رؤية إحدى الدول المتقدمة، وهي ألمانيا، ويجيب الكتاب عن الأسئلة الآتية: كيف يتمكن المرء من تنظيم التضامن الاجتماعي الشعبي؟ وكيف يمكن تمويل التربية والعلوم والبحث العلمي بصورة تجعل هذا القطاعات «مادة للتصدير»؟ وهل يستطيع المرء أن يشكل سوق العمل بطريقة تحفز أرباب العمل لكي يجعلوا التشغيل الكلي هدفًا لهم، وألا يقتصر هذا الهدف على السياسيين؟ وهل بالإمكان إعادة بناء شؤوننا الصحية بشكل يجذب فيه مرضى من كل العالم، ويؤمن في الوقت نفسه عناية طبية مُثلى للمرضى.

ويقدّم المؤلف مقترحات محددة، ويعطي إجابات عن أسئلة كثيرة مشابهة ويقول: «نحن لسنا بحاجة إلى تغيير راديكالي وسياسة ليبرالية جديدة جذرية، إنما نحتاج إلى إعادة إصلاح حاسمة لنظام تنفيذ الوظائف والمهام الحكومية والأمن الاجتماعي، وسيترتب على هذا النظام نوعية حياة أفضل، وأمن اجتماعي أكثر رسوخاً، ومن ثم سيتقوى مركز ألمانيا في التنافس بين الأمم».

**لؤلؤة، عبدالواحد/ مدائن الوهم: شعر الحداثة والشتات: (دراسة نقدية) .- بيروت: رياض الريس للكتب والنشر، ٢٠٠٢م، ٢٧٤ص.**


في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين تفاقمت ظاهرة غير صحية في المجتمع العربي تمثلت في الاغتراب عن الوطن والعيش في بلاد غريبة، لأسباب ودوافع شتى، وكان بين المغتربين عدد كبير من الشعراء والأدباء، تفرقوا في شتات عجيب في أقاصي المعمورة، وحملوا معهم ثقافتهم التي بدأت تتأثر بدرجات متفاوتة بثقافات بلاد الشتات ولغاتها، وكان من بعض نتائج ذلك شعر يحمل مياسم غريبة في معانيه وأساليبه.

تستعرض هذه الدراسة أمثلة من شعر الحداثة والشتات في العربية، الذي نشر في حدود العقدين الأخيرين من القرن العشرين، والغالب من هذه الأمثلة لا يرتفع كثيراً فوق المتوسط من جيد الشعر، عند مقارنته بالشوامخ من تراث الشعر العربي، والتِماس التسويغ بأنه شعر «حداثة» يختلف عن شعر «التراث»، هو سعي في حدود الوهم، كما أن التفرق في بلاد الشتات، بحثًا عن ظروف حياة أفضل يشير في كثير من أمثلة شعر المغتربين إلى أنه سعي في مدائن الوهم.

**صارم، سمير/ إنه النفط يا (...)!: الأبعاد النفطية في الحرب الأمريكية على العراق .- دمشق: دار الفكر، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ٢٥٦ص، (قضايا الساعة؛٦).**

يقول أنتوني سامبسون مؤلف كتاب «الشقيقات السبع»: هي حرب من أجل النفط وإمدادات الطاقة الرخيصة!!»، ويؤكد مايكل روبرت الأستاذ الجامعي الأمريكي «أننا نشهد حرباً متتابعة للسيطرة على أكبر احتياطيات نفط على كوكب يتناقص فيه النفط بسرعة!»، ولخص الكاتب الأمريكي «بيل كيلر» أهداف الحملة على العراق في: الحصول على نفط رخيص وأصوات انتخابية رخيصة، أما باتريك سيل الصحفي والكاتب البريطاني فيرى أن إستراتيجية الولايات المتحدة البعيدة المدى هي إضعاف أوبيك في سوق النفط، ويقول المؤلف: «إنهم يريدون أن يكون القرن الحادي والعشرون قرناً أمريكيًا خالصًا من خلال

السيطرة على مراكز القوة ووسائلها المتمثلة أولاً بالنفط، كمحرك للاقتصاد العالمي، وركيزته الأساسية، ثم فرض إملاءاتها وشروطها على العالم غربه وشرقه وشماله وجنوبه، دون أن تسمح لأحد أن يقول لها: «لا» حتى نكاد نقول : إن زعيم البيت الأبيض وإدارته يحلمون الآن بروما جديدة تمثلها الولايات المتحدة!!».

يتضمن هذا الكتاب أربعة فصول رئيسة: يركز الأول في النفط في العالم من خلال (الإنتاج العالمي للنفط، والاحتياط العالمي، والطلب العالمي على النفط)، ويسلط الفصل الثاني الضوء على أهمية النفط العربي في الصراع العالمي، ويتطرق الفصل الثالث إلى موضوع الولايات المتحدة والحلم الإمبراطوري المتمثل في الهيمنة والسيطرة على العالم ودور النفط في ذلك، بينما يناقش الفصل الرابع موضوع الحرب على العراق «السيناريوهات: التداعيات».

**السويدان، طارق محمد وفيصل عمر باشراحيل/ صناعة القائد .ـ الرياض: المؤلفين، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ٢٩٥ص.**

ما القيادة؟ وهل هناك تعريف للقيادة متفق عليه لدى العلماء؟ وهل كل العلماء والمفكرون قادة؟ وهل هناك أزمات قيادية؟ ما الفرق بين القيادة والإدارة؟ وأيهما أهم؟ هل يمكن لأي أنسان أن يتعلم القيادة؟ وما أركان القيادة ونظرياتها؟ هل أخرج الرسول صلى الله عليه وسلم جنوداً أم قادة؟ هل يلزم أن يكون القائد هو المسؤول؟ هل القائد هو السبب الرئيس في إخفاق أو نجاح المنظمات؟ ما الصفات التي يجب أن تتوافر في القائد؟ وما مدى صحتها؟ ما الصفات القيادية التي لا يمكن الاستغناء عنها؟ وهل هناك صفات يتميز بها القائد المسلم من غيره؟ هل تختلف النساء عن الرجال فيما يتعلق بالقيادة؟ ما الصفات التي تميز النساء عن الرجال والتي لها الأثر على طبيعتهن القيادية؟ وما الموازنة القيادية بين الرجل والمرأة؟ وهل هناك صفات شخصية لدى الرجال والنساء القياديين، حسب انطباع العاملين لديهم؟ وهل هناك طريقة لاكتشاف استعداد بعض الناس للقيادة؟وما مبادئ صناعة قائد المستقبل؟

كل هذا الأسئلة وأخرى يحاول الكتاب الإجابة عنها من خلال النظريات العلمية الحديثة، وهو محاولة لبلورة نظرية إسلامية في القيادة، والإجابة عن الأسئلة المحيرة في فن القيادة، وهو موجه للرجال والنساء وللوالدين، والمعلمين، والإداريين، والدعاة.

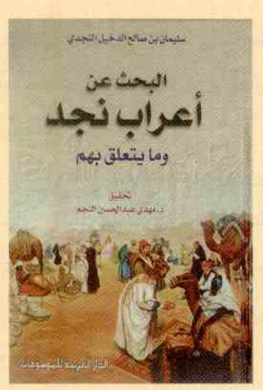
**الحجي، عبدالرحمن علي/ هجرة علماء الأندلس لدى سقوط غرناطة (ظروفها وآثارها).ـ أبوظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠٣م، ٢٩٠ص. (السلسة الأندلسية؛ ٨).**




لاتزال المكتبة العربية تفتقر إلى موضوعات تتناول أسباب سقوط الحضارة الإسلامية في الأندلس، وما تعرض له المسلمون من تعذيب وإرهاب مارسته محاكم التفتيش السيئة الذكر.

وفي هذا الكتاب يتناول الباحث ما تجشمه علماء العربية وأدباؤها في أندلس العرب الغابرة من بؤس وعذاب، ويحكي قصة العلماء والأعلام الذين جفت أقلامهم، وطويت صفحات فكرهم، بعد أن كانت ينابيع في شتى أنواع العلوم والآداب، واصفاً رحلة المعاناة للذين هجروا الديار، من دون أن ينسى أولئك الذين تغمدوا صوارم العلم، وامتشقوا سيوف الإباء والحمية دفاعاً عن شيمة العرب، في ساحات الوغى. فقد بقيت شواهد قبورهم تحكى للأجيال جلافة العلوج وسماحة العرب، علماء وقادة من غرناطة الأندلس التي ما فتئت مخطوطاتها العربية مصدراً رئيساً لنهضة أوربا العلمية بوجه عام، وقد تتبع المؤلف أخبار العلماء المهجرين، ومنهم: أبو الحسن القلصادي، وابن داود أبو جعفر البلوي الوادي آشي، وأبو القاسم الفهري القرعة، وأبو عبدالله الجعدالة، وأبو محمد عبدالله الجابري الزيعجي، وابن الأزرق الصبحي، وآخرون.

**النجـدي، سليمـان بن صـالح الدخيل/ البحث عن أعراب نجد وما يتعلق بهم، تحقيق: مهدي عبدالحسين النجم.- بيروت: الدار العـربيـة للمـوسـوعـات، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٢٩٦ص.**

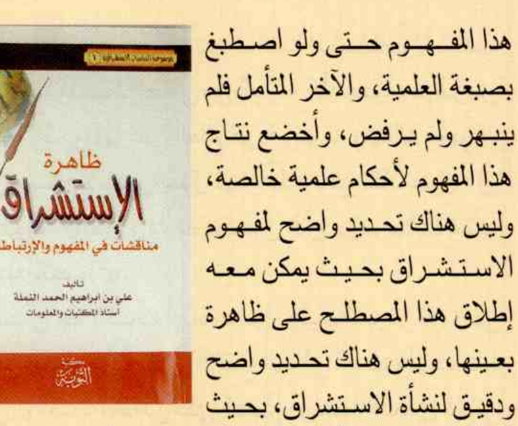


مؤلف هذا الكتاب هو الصحفي النجدي الذي قال الشيخ حمد الجاسر عنه: (إنه أول نجدي مارس الصحافة)، وقد أصدر جريدة الرياض في بغداد عام ١٩١٠م، كما أصدر بالاشتراك مع المرحوم إبراهيم حلمي العمر «مجلة الحياة»، وللدخيل عدة مؤلفات حُقق أغلبها، وآخرها هذا الكتاب الذي أصله مخطوط في دار صدام للمخطوطات برقم ١٩٢٦، ويقع في ٣٣٤ ورقة وكتب عام ١٩١٢م، وقد ضم ١٣٨ قصيدة لأربعين شاعراً. معظمها من الشعر الشعبي (النبطي)، وقد أراد المؤلف أن يضيف أشياء أخرى تتعلق ببدو نجد والجزيرة العربية غير الشعر، ولكن الظروف وقفت به عند هذا المجموع، وتحدث عن خصائص الشعر البدوي وأوزانه وألغازه، ووعد بأن يلحق هذا المجموع بتراجم الشعراء مرتبة على حروف الهجاء، ولكنه لم يفعل.

وعلى الرغم من الجهد الذي بذله المحقق في الرجوع إلى مصادر أخرى لأجل ضبط النص الشعري وتقويمه مثل: ديوان النبط الذي جمعه خالد محمد الفرج، والأدب الشعبي في جزيرة العرب لعبدالله بن خميس، والشعر عند البدو لشفيق الكمالي، وقصائد من البادية لأحمد جواد العامل، وديوان عبدالله الفرج، إلا أن هناك عدداً من الألفاظ الركيكة التي أخلت بمعاني الأبيات الشعرية والتي تحتاج إلى تدقيق ودراية بالشعر الشعبي في الجزيرة العربية.

**النملة، علي بن إبراهيم الحمد/ظاهرة الاستشراق : مناقشات في المفهوم والارتباطات.- الرياض: مكتبة التوبة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ٢١٠ص.**

يرى المؤلف أن مفهوم الاستشراق غير واضح المعالم لدى المفكرين العرب والمسلمين، فمنهم من ينظر إليه نظرة إعجاب تصل أحياناً إلى الانبهار، ومنهم من يرفض كل ما يأتي عن هذا المفهوم حتى ولو اصطبغ بصبغة العلمية، والآخر المتأمل فلم ينبهر ولم يرفض، وأخضع نتاج هذا المفهوم لأحكام علمية خالصة، وليس هناك تحديد واضح لمفهوم الاستشراق بحيث يمكن معه إطلاق هذا المصطلح على ظاهرة بعينها، وليس هناك تحديد واضح ودقيق لنشأة الاستشراق، بحيث يستطيع الباحث أو المطلع في هذا المجال أن يحدد تاريخاً بعينه، ولم تكن لمفهوم الاستشراق دوافع واضحة متميزة فجاءت الدوافع في الأدبيات العربية متداخلة بعضها مع بعض، كما لم يكن هناك وضوح في تحديد الأهداف بل هناك خلط أحياناً بين الدوافع والأهداف.



يتضمن هذا الكتاب بابين رئيسين: الأول مناقشات في التعريف والنشأة والدوافع والأهداف، أوضح فيه المؤلف مفهوم الاستشراق، والنشأة والتاريخ، إضافة إلى مناقشة الدوافع «ديني، علمي، تجاري، استعماري، سياسي، وأخرى»، والأهداف «ديني، استعماري، سياسي، تجاري، اقتصادي، علمي».

أما الباب الثاني فعالج علاقة الاستشراق بالاستعمار والتنصير واليهودية، وكذلك العلاقة بين الاستشراق والصحوة، وخلص المؤلف إلى نتيجة يؤكدها الأستاذ محمود حمدي زقزوق في كتابه «الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري» : «كان ولا يزال جزءاً لا يتجزأ من قضية الصراع الحضاري بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، بل يمكن أن نذهب إلى أبعد من ذلك ونقول: إن الاستشراق يمثل الخلفية الفكرية لهذا الصراع». ولهذا لا يجوز التقليل من شأنه بالنظر إلى أنه قضية منفصلة عن باقي دوائر هذا الصراع الحضاري، فقد كان له دور في صياغة التصورات الأوروبية عن الإسلام، وفي تشكيل مواقف الغرب إزاء الإسلام على مدى عدة قرون .... والواقع الذي لايمكن إنكاره هو أن الاستشراق له تأثيراته القوية في الفكر الإسلامي الحديث إيجاباً أو سلباً أردنا أم لم نرد، ولهذا فإننا لا نستطيع أن نتجاهله أو نكتفي بمجرد رفضه وكأننا بذلك قد قمنا بحل المشكلة».

### مجلة أدماتو (ع٧، ذو القعدة ١٤٢٣هـ/ يناير (كانون الثاني) ٢٠٠٣م)



مجلة نصف سنوية محكّمة تعنى بآثار الوطن العربي.

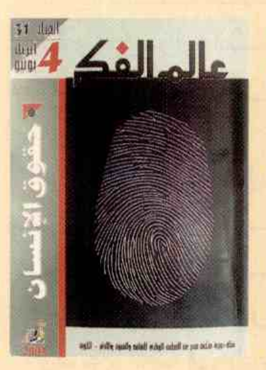
تضمن هذا العدد من الدورية تسعة أبحاث علمية تناقش قضايا آثارية متنوعة جاءت ستة أبحاث منها في القسم العربي من المجلة، وثلاثة أبحاث في القسم الإنجليزي، وكتب افتتاحية العدد الدكتور عبدالرحمن الطيب الأنصاري رئيس هيئة التحرير، أثار فيها عدة قضايا تتعلق بدور الشرق في احتضان الحضارات العالمية الروحية منها والمادية، وفضله في فتح آفاق المعرفة للعالم، قبل أن يشع نور الإسلام ليقرن الحضارة المادية بنور التوحيد. وجاء في أبحاث القسم العربي: «النيل والصحراء خلال العصور الحجرية: تباين بيئي وتكامل حضاري» للدكتور العباس سيد أحمد محمد علي، وتناولت الدكتورة عفراء محمد الخطيب «علاقات شمالي إفريقية بالصحراء الكبرى وجنوبي جزيرة العرب خلال العصور القديمة: الحيوانات المتوّجة نموذجًا»، وتتبع الدكتور وليد ياسين التكريتي «ثقافة العبيد في دولة الإمارات العربية المتحدة»، وقدمت الدكتورة عميدة محمد شعلان دراسة تحليلة في الدلالة اللغوية لـ «نقش سبئي جديد من جدران»، وقدم الدكتور عاطف منصور محمد رمضان بحثًا عنوانه «دراهم صفارية نادرة ضرب عُمان».

كما دعا الأستاذ أحمد يوسف ذياب إلى توحيد «المصطلح الآثاري لأدوات ما قبل التاريخ» في باب نحو مصطلح آثاري موحّد، بالإضافة إلى الأبواب الثابتة: مؤتمرات وندوات، وعرض الكتب، الذي جاء فيه عرض لكتاب «البدع: تاريخها وآثارها» تأليف الدكتور عبدالرحمن الأنصاري وآخرون، قدمته الدكتورة عواطف بنت أديب سلامة، وكتاب «ديانة الأنباط» تأليف: جون هيلي، قدمه الأستاذ مولاي محمد جانيف.

وجاءت أبحاث القسم الإنجليزي على النحو التالي: «تحريات آثارية تعود إلى العصر الحجري الحديث في موقع الصفية بوادي الموجب في الأردن» للدكتور حمزة المحاسنة، و«استعراض للغات والكتابة والقراءة في السودان القديم (مملكة كوش): اللغتان المصرية والمروية» للدكتور عبدالقادر محمود عبدالله، و«أربعة نقوش صفوية من المفرق بالأردن» للدكتور سلطان المعاني وإبراهيم صدقة. وختمت الدورية بعرض لكتاب «المنطقة العربية والعرب» تأليف: روبرت هويلاند، قدمه الدكتور ديفيد جراف.

العنوان: ص.ب: ٧١ ١٠٠ الرياض ١١٤٣٣
هاتف: ٤١٢٥٢٦٦ ـ ناسوخ: ٤٠٢٢٥٤٥

### عالم الفكر (مج ٣١، ع٤، أبريل ـ يونيو ٢٠٠٣م)




مجلة فكرية محكّمة تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت.

طغى مفهوم «حقوق الإنسان» على موضوعات هذا العدد من الدورية، فتناولته من جوانبه المختلفة: السياسية والاجتماعية والقانونية والفكرية. وقد بدأها الدكتور علي بن حسين المحجوبي ببحث عن «حقوق الإنسان بين النظرية والواقع»، وتناول الدكتور كمال عبداللطيف «حقوق الإنسان في العالم العربي»، والدكتور عبدالرحمن التليلي «الحق كإقصاء للعنف»، واستعرضت الدكتورة عطيات أبو السعود جهود الفيلسوف الألماني إيمانويل كانت في السلام العالمي من خلال استعراضها لكتابه «مشروع للسلام الدائم»، كما تناول الدكتور عبدالرزاق الدواي «الثورة في علم الهندسة الوراثية وحقوق الإنسان»، والدكتور محمد خليل الموسى «تكامل حقوق الإنسان في القانون الدولي والإقليمي المعاصر»، والدكتور محمد يوسف علوان «القانون الدولي لحقوق الإنسان»، وختم بحوث العدد الدكتور محمد الفيلي بعرض لكتاب «الحماية الجنائية لحقوق الإنسان» تأليف خيري الكباش.

وفي باب «آفاق نقدية» قدم الدكتور حسين الملخ دراسة بعنوان «الثابت والمتحرك في البنية النحوية للجملة العربية»، وختمت الدورية بدراسة الدكتور عطية العقاد التي جاءت بعنوان «الحضيض وأبطال جوركي الجدد».

**العنوان: ص.ب: ٢٣٩٩٦ ـ الصفاة**

**الرمز البريدي: ١٣١٠٠ دولة الكويت.**

**المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب**

## المجلة السعودية للتعليم العالي( مج١،ع١، المحرم ١٤٢٤هـ/ مارس ٢٠٠٣م)




دورية علمية محكّمة تصدر عن وزارة التعليم العالي في المملكة العربية السعودية.

هذا هو العدد الأول من هذه الدورية التي تعنى بشؤون التعليم العالي واهتماماته في المملكة العربية السعودية.

وقد جاء العدد في أربعة أقسام، الأول منها للدراسات والبحوث، وشمل خمسة بحوث، بدأها الدكتور محمد بن حسن المبعوث ببحث عنوانه «من منجزات خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز في تخطيط التعليم العالي في المملكة العربية السعودية»، وتناول خليل بن إبراهيم السعادات «استخدام أساتذة الجامعة لأسلوب التعلم الذاتي من وجهة نظر طالبات جامعة الملك سعود»، وخصص الدكتور سالم بن محمد السالم بحثه للتعرف إلى «مدى إسهام رسائل الماجستير والدكتوراه المقدمة في جامعات المملكة العربية السعودية لخدمة قضايا التنمية الشاملة»، ورصد الدكتور صالح بن مبارك الدباسي في البحث الرابع «آراء عيّنة من طلاب وطالبات كلية التربية في جامعة الملك سعود حول البث الفضائي وآثاره التربوية»، وشرح الدكتور محمد جعفر جمل الليل «مشكلات استخدام الحاسوب وطرق مواجهتها» في آخر بحوث العدد.

وخصص القسم الثاني من المجلة لمراجعات كتب في التعليم العالي قام بها بعض الأساتذة المهتمين بمجال التعليم العالي وقضاياه، وقد اختاروا مجموعة متنوعة من الكتب العربية والأجنبية، واستعرضوا أهم ما جاء فيها، وأبدوا بعض الملحوظات النقدية حولها من رؤيتهم الخاصة.

وجاء القسم الثالث عن ببليوجرافيا التعليم العالي في المملكة، إذ حاول القائمون على أمر المجلة رصد بعض ما سبق نشره من رسائل علمية وأبحاث وأوراق عمل وكتب في مجال التعليم العالي السعودي وقضاياه واهتماماته ومشكلاته، وذلك بالإشارة إلى تلك الأعمال مع ملخصات موجزة لها تساعد الباحثين والمطلعين على زيادة حصيلتهم المعرفية.

وختمت المجلة بالقسم الرابع الذي خصص لأخبار التعليم العالي، وذلك بغرض بناء جسور من التواصل بين ما تقوم به الوزارة بقطاعاتها وأجهزتها المتعددة والقراء باختلاف مواقعهم واهتماماتهم.

**العنوان: وزارة التعليم العالي ـ الرياض ١١١٥٣**

E-mail: Sjhe@Mohe.gov.sa

## نزوى (ع٣٤، أبريل ٢٠٠٣م، المحرم١٤٢٤هـ)




مجلة فصلية ثقافية تصدر عن مؤسسة عُمان للصحافة والأنباء والنشر والإعلان في مسقط.

كتب افتتاحية العدد رئيس التحرير سيف الرحبي، وكان عنوانها «الموسيقا طوال الليل حتى انفجرَ المحيطُ المتاخمُ واكتسح المدينة»، وقدم مسلم ابن أحمد الكثيري استطلاعاً عن «مركز عُمان للموسيقا التقليدية»، وجاء في باب دراسات عدد كبير منها: «من الهيمنة الخفية إلى (التدافع الواعي): نحو رؤية لغوية نقدية عربية» لعبدالله الحراصي، و«إطار نظري للتطور التاريخي للدولة العمانية» لعبدالملك بن عبدالله الهنائي،

و«التاريخ العالمي وصعود الراوي» لفيصل درّاج، وغيرها من الدراسات.

وفي عالم التشكيل تناول عمر شبانة «مأساة الفنان الفلسطيني مصطفى الحلاج»، وناقش عبدالمنعم الحسني «الأثر الفني بين الفنان والمتلقي»، وتطرق يوسف القعيد في مجال السينما إلى «عشرة أفلام هزت العالم»، كما روى صلاح سرميني «ألف حكاية وحكاية في فيلم بغداد (Baghdad on/off) للمخرج العراقي سعد سلمان، وحوار أجراه عمر بريكو مع خوليو كورتزار، وترجمه أحمد الويزي، وآخر أجرته أليات أرمل مع آسيا جبار، وترجمه: حكيم ميلود، وفي عالم المسرح جاءت مسرحية حسن رشيد «زوج وزوجة»، و«المسرح والمجتمع» لمحمد سيف.

وفي مجال الشعر جاء عدد من القصائد للشعراء: جورج تراكل، وهنس ماغنوس انسنزبيرغر، وخوان جلمان، وبشير البكر، ومحمد علي شمس الدين، ومحمد الغزي، وفاروق سلّوم، وعلي المقري، وفرج بيرقدار، وجرجس شكري، وإيمان إبراهيم، وعباس خضر، ومياسة دع، وإدريس علوش، وغيرها، كذلك جاء عدد من النصوص لإيفان كليما، وحسين العبري، ورسمي أبو علي، ومحمود الريماوي، وجوخة الحارثي، وغيرهم.

وختمت الدورية بباب متابعات الذي وردت فيه كثير من البحوث والدراسات النقدية.

العنوان: ص.ب: ٩٧٤ مسقط

الرمز البريدي: ١١٣ سلطنة عمان.

هاتف: ٦٠٤٤٧٧ ـ ناسوخ: ٦٩٩٦٤٣

## مجلة الخليج العربي للبحوث العلمية
## (مج ٢١، رقم ١، مارس ٢٠٠٣م)

دورية علمية محكّمة تصدرها جامعة الخليج العربي في البحرين.

يحتوي هذا العدد على ثمانية بحوث: اثنان منها باللغة العربية، وبقية البحوث باللغة الإنجليزية، وتغطي البحوث في جملتها محاور تخصصات مختلفة، من دراسات مهتمة بالبيئة وعلوم الأرض، إلى الرياضيات والفيزياء الكيماوية والهندسة الزراعية والعلوم الطبية، ففي مجال الاهتمام بصحة البيئة قدم كل من محمد سليمان عبيدو، ومحمد شاكر قربيصة وصفًا مفصلاً لواقع غابات اللزاب على سفوح سلسلة جبال لبنان الشرقية في الحدود مع جمهورية سورية، وكان البحث بعنوان «دراسة الواقع الحالي لغابات اللزاب السورية في سلسلة جبال لبنان الشرقية»، وقدم إبراهيم محمد الهلال وإبراهيم محمد المسلم تقريراً لتجربة حقلية في مجال الهندسة والاقتصاد الزراعي حول «تأثير التظليل على كفاءة نظام التبريد بالتبخير في البيوت المحمية».




وجاءت بحوث العدد الإنجليزية كالآتي: «دراسة بكتيريا العنقوديات الذهبية المقاومة للميثيلين في فلسطين اعتماداً على تفاعل البلمرة المتسلسل باستخدام نوعين من البادئ العشوائي» بقلم :كامل عدوان، وتناول كل من رضا ابن محمد خليل وفوزية محمد النويصر «تثبيط تآكل الألومنيوم بواسطة بعض مركبات الثيوسيانيت»، واستعرض عبدالله المالكي «أخلاقيات مهنة الطب: التعقيدات والتحديات»، وشرح فؤاد محمد السني «تصميم متحكمات لأنظمة ذات فترة»، وتناول كل من أحمد أبوبكر عمار، والسيد محمد عبدالرحمن، وحمدي إسماعيل حسانين، وخالد سليمان سليمان «التأويل الإشعاعي الصخري للخرائط الإشعاعية الطيفية التصويرية زائفة الألوان بالصحراء الشرقية لمصر»، وختم ع م عبدالكريم بحوث العدد بوصف «الخصائص الصخرية لجرانيتات وادي أخضر ـ وادي الشيخ جنوب غرب سيناء بمصر: دلائل من كيميائية الامفيبول والبيوتايت».

**العنوان: ص.ب: ٢٦٤٦٠ المنامة ـ البحرين.**

**هاتف: ٢٣٩٨٨٩ ـ ناسوخ: ٢٣٩٧٧٨**

# التكنولوجيا: وهم إبداع أم وهم استيراد؟

**هادي محمد جواد**
صنعاء - اليمن

فكرة للاستهلاك مسيطرة على عالم الجنوب كما يسمى أحياناً ونحن فيه ومنه، مسيطرة إلى درجة أن البحث في التخلص منها يؤدي بعد دوران طويل في (بيوت جحا) إلى استهلاك جديد، أما وقد أصبحت التكنولوجيا هي طريق الحد من الاستهلاك والتبديد بالوفر والتجديد، فإن الكثرة الكاثرة تتكلم عن (استيراد) التكنولوجيا لاستهلاكها.

إذا كان الحديث عن التكنولوجيا يعني الاكتفاء قدر ما كان لازماً أو ممكناً على الأقل، فلا بد أن المتحدث يقصد الإنتاج بشتى نواحيه بغية استقلال الإرادة ورخاء المجتمع المقصود بالحديث، وهذا يجرّنا بالضرورة إلى تعريف هذا الاصطلاح الذي شاع تداوله منذ أقل من خمسة عقود، لكن من قدموا التعاريف شرّقوا وغرّبوا، وإذا أصاب بعضهم فجلهم ابتعد عن الصواب لأسباب تتعلق بطبيعة فهمه أو فلسفته أو قدرته أو مصلحته، وأغلبية هذه التعاريف هي في التحليل النهائي تنصب على أن المقصود بالتكنولوجيا إنما هي المعامل والمصانع، ونحن نسميها الحديد وليس التكنولوجيا، فمكنات صناعة السجاير موجودة في بعض البلدان العربية منذ قرن من الزمان تقريباً، لكن حتى اليوم لم تقم تكنولوجيا صناعة سجاير عربية، بمعنى أن معمل صناعة سجاير قائم، فإذا تعطل أو استهلك بفعل القدم أو أي سبب، يجري استيراد معمل أو خطوط إنتاجية متكاملة أو على الأقل الأدوات الاحتياطية عند العطل. كنت مرة في زيارة لأحد معامل اللدائن في أحد البلاد العربية، منتصف الستينيات، وشهدت ثلاثة مكابس من خمسة متوقفة عن العمل، وسألت عن السبب فقيل لي: إنه النقص في قطع الغيار، وهذا ما أسميه استيراد حديد المعامل وليس التكنولوجيا، وعندما قلت لهم: اصنعوا قطع الغيار هذه ليسير العمل، تطلع جميع (الفنيين!) إلى المدير الذي كان يرافقنا وكأنهم يشهدونه على جنون «الضيف».

## حديد أم تكنولوجيا؟

دليلنا على أن أكثر المتحدثين عن التكنولوجيا إنما يقصدون حديد المعامل والمصانع قول الدكتور عادل أحمد جرار في كتابه «التكنولوجيا في عالم متغير»: «إن نقل التكنولوجيا يشبه ثورة اجتماعية وتغييراً في تصرفات ومواقف الأفراد والجماعات؛ وذلك لأن ما يضمن نجاح العملية هو نقل نظم العمل وعلاقاته التي تمت على مرّ السنين مصاحبة للتكنولوجيا الحديثة». بينما نجده يقول: ص ٣٤ من المصدر نفسه: «الثورات التكنولوجية يقوم بها رجال يجدون إجابات غير متوقعة لأسئلة لا تخطر بخيال أحد». وهذا عين الصواب، فمن هم هؤلاء الرجال الذين يصنعون الثورات التكنولوجية؟

يجيب عن تساؤلنا في (معنى التكنولوجيا) أسامة الخالدي، ويوسف الشيراوي ضمن تحليل الثورة الصناعية اليابانية (ص ٤٠) كان الدافع الأساسي وراء الثورة الصناعية في اليابان، الشعور القومي الذي أثير في محاولة لحماية اليابان من الغرب المتقدم صناعياً.

- دور القرار السياسي القاضي بالاستيعاب بالكامل للتكنولوجيا بدلاً من مجرد نقلها (كان هذا منذ سبعينيات القرن ١٩) فتمت بموجبه الاستعانة بالخبراء الأجانب ونقل خبرتهم إلى اليابانيين من أجل الاستغناء عنهم في أسرع وقت ممكن وليس نقل حديد مصانع، وذلك أن أي جسم مصنّع إنما صنّع بعدد من هذه الآلات أو كلها التي يمكن بها مجتمعة صنع أي شيء كائن أو سيكون، وهذه الآلات هي: الفريزة، والمثقب، والقاشطة، و المخرطة، والمكبس، والمنشار، ومكنة تلحيم، والمصهر، ومكنة التسنين، وقالب الصب.

الحديث ماتع عن الثورة الصناعية اليابانية وأمتع منه دقائق وتفاصيل إقامة التكنولوجيا الوطنية، لكن منذ البداية في اليابان كما لدينا وكما كان الحال في الغرب سيوجد بالطبيعة أو المصلحة من سيقف بصلابة ضد الآلة، لذلك من الطريف الاطّلاع على ما ينقله لنا دانيل بوستن في «جمهورية التكنولوجيا» ص٥٩: «وتعلن مجموعة من الأدباء خطر الآلة، فقد حذر (ثورو) قائلاً: لقد أصبح الرجال آلات لآلاتهم، وأعلن ماثيو آرنولد: أن الإيمان بالآلات هو الخطر المحيق بنا. وشخّصَ جورج مور عام ١٨٨٨م الرأي قائلاً: إن العالم يموت من الآلات هذا هو المرض الخطير، بل هو الطاعون الذي سوف يكتسح الحضارة ويدمرها». لسنا طبعاً بحاجة للرد على هذه الآراء حتى لو قال مفكر عصري مثل برترند رسل: «الآلات بشعة وبغيضة لأنها تفرض العبودية». ونحن نعتقد أن مثل هذه الآراء صحيحة من وجهة نظر أصحابها فقط، ولذلك نعتقد أن ما قاله د. جرار صحيح (ص٧٨): «يسود اعتقاد بأن العلم الحديث ووليدته التكنولوجيا يؤثران تأثيراً كبيراً على الثقافة المعاصرة».


فارق كبير بين صناعة التكنولوجيا واستهلاكها

فما هي هذه التكنولوجيا التي تفعل كل هذه الأفاعيل؟

التكنولوجيا هي كيفية وضع العلم والخبرة والتجربة في العملية الإنتاجية باستحداث وسائل (آلات مكنات وطرائق) لإنتاج سلعة أو خدمة جديدة، أي: ابتكارها واختراعها.

فحين كان كثير من البلدان يتعرض للمجاعة بسبب كسر الرياح الموسمية لسيقان محصولات الحبوب، وهو أمر يحدث منذ الخليقة، لم يلجأ (الرجال الذين يجدون أجوبة لأسئلة لا تخطر بخيال أحد) لم يلجؤوا إلى تغيير موعد اشتداد الرياح الموسمية، بل إلى استنبات نوع جديد من المحصولات هي من قصر الساق بحيث لا تكسّرها الرياح، وحين يكون مصدرك المائي شحيحًا تلجأ لتقصير المساقي وتضييقها، وهي تكنولوجيا (تقنية) تختلف عما لو كان مصدرك المائي يسمح بإطالة المسقى، طريقتا الري هاتان هما تكنولوجيتان مختلفتان لاختلاف الظروف، لكن المشكلة هي كما عبر الأديب العربي خالد محيي الدين البرادعي: «مصيبة كثرة المثقفين العرب أنهم ينظرون إلى كل ما يأتي من خارج الوطن نظرة تقديس! فكيف نكسّر هذه القداسة بإقامة تكنولوجيا على أساس اختراعات وطنية؟».

### ما المطلوب؟

من المستبعد أن يفكر عالم أو مخترع بصناعة نوع معين من الورق السليلوزي في بلد يخلو من الغابات لافتقار إلى المواد الأولية؛ لذلك فإن التوجه الطبيعي إنما يكون نحو الموارد المتاحة أو المطلوبة بمعنى أنه من الطبيعي أن يبذل عالم من المملكة العربية السعودية كل جهده ووقته لصناعة نوع جديد من اللدائن البلاستيكية أو طريقة جديدة لتقنية أو استقطار المياه الملوثة أو الأجاج، وإذا كان القرار السياسي مثل الدور الذي أشرنا إليه في حقل التكنولوجيا والاختراع فكيف يكون القرار السياسي المطلوب للبلاد العربية كلها أو لكل منها؟

### في حقل الإعلام:

أ. وضع خطط طويلة الأمد ومكثفة بإصدار دوريات متخصصة وعامة علمية، وتقديم برامج تلفازية كذلك للحديث وتقديم الأفكار والاختراعات الجديدة في العالم ليس من الناحية التجارية والتسويقية أو الترفيهية بل من الناحية الفنية والتخصصية بمعنى عرض الجوانب الخفية والإبداعية (المرتبطة حقيقة بمعلومات علمية يعرفها الجميع) من ذلك الاختراع.

ب ـ فسح أكبر الوقت والمساحة في وسائل الإعلام للمختصين للحديث عن تجارب وأبحاث وأنشطة حتى عن علوم مجردة مبسطة في شتى مجالات العلوم وخاصة التطبيقية.

ج ـ تشجيع أي محاولات وإبرازها حتى لو كانت بدائية لمفهوم الاختراع والابتكار وتطبيقاته، وإتاحة الفرصة لصاحبه للحديث عنه ومكافأته تشجيعًا بصرف النظر عن جدارة موضوعه وجدواه حتى لو كان تقليدًا لفكرة قائمة بهدف جعل مفردات الابتكار والاختراع في حياتهم اليومية.

د ـ تعبئة المختصين من الأكاديميين للمشاركة في مثل هذه الأنشطة، وزج أكبر عدد من الفريق الوسيط بالأنشطة نفسها، بحيث لا تقتصر هذه التعبئة على الشريحة الأكاديمية، فإن ذلك الفارس الفاتح العربي الذي اخترع طريقة طلاء سفن الفتح الإسلامي بالطين أو اللباد المبلول لحمايتها من (النار الإغريقية) في معارك الفتح البحرية لم يكن أكاديميًا، وأديسون أكثر من سجل براءات اختراع في تاريخ البشرية لم يتجاوز في دراسته المرحلة الابتدائية.

هـ ـ إقامة مراكز شباب علمية يحتوي قسم منها على مختبرات ومشاغل صناعية تضم أساسيات العمل الفني من مخرطة وقاشطة...إلخ.

بحيث يجري العمل على تحويل البحث العلمي إلى هواية مثله مثل هواية جمع الطوابع والرياضة والشطرنج.

### في حقل الدعم المالي

أ. توسيع قاعدة تمويل البحوث الأكاديمية التطبيقية إلى أقصى مدى ممكن، وتوسيع أرضية المكافآت عليها وربطها بالترفيع الوظيفي وأي حوافز أخرى.

ب ـ دعم استثمار أي براءة اختراع وطنية أو إقليمية أو عالمية في البلاد بشرط أن يكون الفريق الوسيط بأغلبيته إن لم يكن بإجمعه من المواطنين.

ج ـ تغطية جميع تكاليف إقامة أي مشروع يؤسس على أساس براءة اختراع وطني بكفالة وجود براءة الاختراع نفسها وبعد إتمام دراسة اقتصادية مهنية صرف، وبالنسبة إلى البراءة غير الوطنية مقابل رهن البراءة.

أما بصدد ما يمكن أن تفعله المدرسة والجامعة فإن هذا من اختصاص رجال التعليم والتعليم العالي، إذ يتوجب عليهم تقديم إجابات ممكنة التحقيق وضمن الإطار نفسه. وهو ما يمكن أن يكون مادة حلقة أخرى.